حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

فصلية علمية محكمة ـ مجلس النشر العلمي ـ جامعة الكويت

المسيحية من دعوة محلية إلى ديانة عالمية:
دراسة اجتماعية فلسفية في أسباب الانتشار وآليات التنصير في العالم الإسلامي

Christianity From a Local Movement to a Global Faith : A Study of the Causes of the Spread and the Techniques Used in Proselytization in the Muslim World

أ. د. نعيمة إدريس
مديرة مخبر تكوين المجتمعات
الجزائر

د. وسيلة يعيش
قسم علم الاجتماع ـ جامعة الشارقة
دولة الإمارات العربية المتحدة

جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

مجلس
النشر العلمي

ISSN: 1560 - 5248

الرسالة 635 ـ الحولية 44

1445 هـ / ديسمبر 2023 م

• ثمن العدد

الكويت: 500 فلس، البحرين: دينار واحد، قطر: 10 ريالات، الإمارات 10 دراهم، السعودية: 10 ريالات، عمان : ريال واحد.

ثمن النسخة في دول الوطن العربي ما يعادل دولاراً واحداً.

ثمن النسخة في الدول الأجنبية ما يعادل ثلاثة دولارات.

• الاشتراك السنوي (أفراد):

سنة واحدة: الكويت 4 دينار كويتي، الدول العربية: 6 دينار كويتي، الدول الأجنبية 22 دولار.

سنتان: الكويت 7 دينار كويتي، الدول العربية: 10 دينار كويتي، الدول الأجنبية 37 دولار.

ثلاث سنوات: الكويت: 10 دينار كويتي، الدول العربية: 14 دينار كويتي، الدول الأجنبية 52 دولار.

أربع سنوات: الكويت: 13 دينار كويتي، الدول العربية: 18 دينار كويتي، الدول الأجنبية 67 دولار.

• الاشتراك السنوي (مؤسسات):

سنة واحدة: الكويت 22 دينار كويتي، الدول العربية: 22 دينار كويتي، الدول الأجنبية 90 دولار.

سنتان: الكويت 37 دينار كويتي، الدول العربية: 37 دينار كويتي، الدول الأجنبية 150 دولار.

ثلاث سنوات: الكويت: 53 دينار كويتي، الدول العربية: 53 دينار كويتي، الدول الأجنبية 210 دولار.

أربع سنوات: الكويت: 67 دينار كويتي، الدول العربية: 67 دينار كويتي، الدول الأجنبية 270 دولار.

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر أو أية استفسارات أخرى

توجه إلى رئيس تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: 17370 الخالدية – الكويت: 72454 – تلفون: 24830256 – فاكس 24830256

ISSN 1560 - 5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

E-mail: aass@Ku.edu.Kw

http://apc.kuniv.edu.kw/AASS/

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى:

EBSCO Publishing Products

دار المنظومة: www.mandumah.com

UIrich's Periodicals Directory 263117

إصدارات مجلس النشر العلمي

مجلة العلوم الاجتماعية 1973، مجلة الكويت للعلوم والهندسة 1973، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية 1975، لجنة التأليف والتعريب والنشر 1976، مجلة الحقوق، 1977، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية 1980، المجلة العربية للعلوم الإنسانية 1981، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية 1983، المجلة التربوية 1983،المجلة العربية للعلوم الإدارية 1991.

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

مجلس النشر العلمي ـ جامعة الكويت

فصلية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل
تعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في تخصصات
العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب

الحولية الرابعة والأربعون
الرسالة الخامسة والثلاثون بعد المئة السادسة
1445 هـ / 2023م

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة الكويت

هيئـة التحريـر

- أ.د. **تغريد محمد القدسي**
رئيسة هيئة التحرير
قسم دراسات المعلومات – جامعة الكويت

- أ.د. **باقر سليمان النجار**
جامعة البحرين – البحرين
أستاذ زائر بقسم الاجتماع – جامعة الكويت

- أ.د. **نعمان محمود أحمد جبران**
جامعة إربد – الأردن
أستاذ زائر بقسم التاريخ – جامعة الكويت

- أ.د. **عدنان يوسف العتوم**
قسم علم النفس – جامعة اليرموك – الأردن

- أ.د. **مشاعل الحملي**
قسم اللغة الإنجليزية وآدابها – جامعة الكويت

- د. **عبد اللّه محمد الجسمي**
قسم الفلسفة – جامعة الكويت

- د. **إبراهيم ناجي الهدبان**
قسم العلوم السياسية – جامعة الكويت

- د. **أحمد مبارك الحصم**
قسم الجغرافيا – جامعة الكويت

- د. **أسعد هاشم الصالح**
قسم اللغة العربية – جامعة انديانا
الولايات المتحدة الأمريكية

- **مـها إبراهيـم المسعـد**
مديرة التحرير

الهيئـة الاستشارية

- **أ.د. باسـل حاتـم**
الجامعة الأمريكية - الشارقة
الإمارات العربية المتحدة

- **أ.د. إبراهيـم السعافين**
قسم اللغة العربية - الجامعة الأردنية

- **أ.د. حمدي حسن أبو العينين**
كلية الإعلام - جامعة مصر الدولية

- **أ.د. سـاري حنفـي**
رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتمـاع
الجامعة الأمريكية - بـيروت

- **أ.د. منـى بيكـر**
جامعة مانشستر - المملكة المتحدة

- **أ.د. عبدالقادر الفاسي الفهري**
قسم اللغة العربية - جامعة محمد الخامس

- **أ.د. عبد الله الوليعي**
قسم الجغرافيا - جامعة الملك سعود

- **أ.د. مـأمـون فنـدي**
مدير معهد لندن للدراسات الإستراتيجية
المملكة المتحدة

قواعد النشر في حَوْليّات الآداب والعلوم الاجتماعيَّة

- حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية: فصلية تنشرُ البحوثَ والدِّراساتِ الأصيلةَ باللّغتَيْن العربيَّةِ والإنجليزيَّة في مجال العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة ويتوفر فيها ما يأتي:
- أنْ تُمثِّلَ الدِّراسةُ إضافةً جديدةً في حقل التّخصّص.
- لم يسبق نشر الدراسة بأي صورة كانت، ولم يسبق أيضًا تقديمها للنشر إلى جهة أخرى أثناء ورودها إلى الحوليات. ويلتزم الباحث بكتابة إقرار وتعهد بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي وعاء نشر، أو أرسل إلى جهة أخرى.
- ألا يقل عدد كلمات الدراسة عن (15000) كلمة، شاملة المراجع والهوامش والجداول (بحدود 50 صفحة) وألا يزيد عدد الكلمات عن (60000) كلمة في حدود 200 صفحة.
- يطبع البحث بواسطة معالج النصوص Microsoft Word وعلى مسافة ونصف، وبنط Simplified Arabic 14 للبحوث باللغة العربية، وعلى مسافتين، وبنط Times New Roman 12 في حالة البحوث باللغة الإنجليزية. على أن يكون عنوان البحث معبراً عن الدراسة وبحدود 15 كلمة.
- يرفق الباحث ملخصاً للبحث، مطبوعًا باللغتين العربية والإنجليزية، في حدود (250) كلمة. على أن يحوي ملخص البحث: هدف الدراسة وأسئلتها، منهج الدراسة المستخدم، أبرز النتائج المستخلصة وأهم الإستنتاجات، إضافة إلى الكلمات الدالة (المفتاحية).
- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة، مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية، تشمل أهمّ مؤلفاته وأبحاثه.
- تقدم الخرائط والأشكال والرسوم (إن وجدت) بأصولها الصالحة للطباعة بصيغة JPG، وبمستوى دقة 600 × 800.
- في حالة رغب الباحث بنشر الصور أو الخرائط أو الأشكال البيانية الملونة يلتزم بدفع تكاليفها.
- يراعي الباحث عند كتابة البحث الالتزام بالنسخة الأخيرة (السابعة) من نظام جمعية علم النفس الأمريكية American Psychological Association (APA7) من حيث كتابة المراجع والهوامش في متن البحث، إضافة لقائمة المراجع. على الوجه الموضح أدناه.
- كتابة المرجع في المتن: اسم العائلة للمؤلف متبوعًا بفاصلة، ثم سنة النشر. (يرجى الرجوع إلى دليل التوثيق وفقًا لنظام (APA7).

مثال (Courtois, 2001)

- قائمة المراجع: يرجى الرجوع إلى دليل التوثيق وفقًا لنظام (APA7) للتفاصيل.

Jones, J. (2005). Writing with style. Style Writing Journal, 12 (6),1433

ويمكن زيارة موقع APA لمعرفة القواعد الخاصة بنظام (APA7) على:

http://www.apastyle.org

- يجب أن تشتمل جميع البحوث على قائمة المراجع كاملة في نهاية البحث، على أن يكون بنط الكتابة بالنص الروماني (Times Roman Script).
- لمعرفة قواعد النشر وأخلاقياته الرجاء مراجعة موقع الحوليات الإلكتروني:

http://apc.kuniv.edu.kw/

شروط قبول البحوث في الحوليات:

- يجب أن يقدم البحث عن طريق نظام الـ OJS وليس البريد الإلكتروني؛ ليتسنى للحوليات البدء بالتقييم. - تقبل الحوليات البحوث التي تقدم إلكترونياً فقط من خلال الموقع:

http:// journals.KU.edu.KW/aass

- لا تقبل مجلة الحوليات البحوث التي سبق نشرها بأي شكل أو وسيط.
- لا تقبل مجلة الحوليات نشر أبحاث الماجستير أو الدكتوراه أو أي مستلات منها.
- لا ترد ولا تسترجع أصول البحوث المقدمة للنشر، سواء نشرت أم لم تنشر.
- لا يجوز نشر البحوث مع جهات أخرى إلا بعد موافقة الحوليات على ذلك وإذا ثبت نشرها فستتخذ إدارة الحوليات الإجراءات القانونية المتبعة بهذا الشأن.
- يمكن للباحث نشر بحثه مع جهات أخرى، بعد الحصول على إذن كتابي سابق من رئيس التحرير، وبعد انقضاء ثلاث سنوات على نشره في الحوليات.
- يعرض البحث الذي تتوافر فيه القواعد المذكورة سابقًا وبعد موافقة هيئة التحرير، على محكمين إثنين لتقرير مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة، ويكون التحكيم ثنائي الحجب (Double Blind Review).
- تمنح المجلة للباحث ثلاثين نسخة مجانية مطبوعة من بحثه المنشور.
- ترسل جميع المراسلات الخاصة بالحوليات ما عدا البحوث، إلى رئيس التحرير عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة.

رئيس تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب : 17370 الخالدية

رمز بريدي : 72454 - الكويت

ISSN 1560 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

http://apc.kuniv.edu.kw/AASS

E-mail: aass@ku.edu.kw

الاصدار الثاني – الحولية الرابعة والأربعون – ديسمبر 2023م

يصدر هذا العدد مع نهاية عام 2023 ونحن نشرف على بداية العام الجديد نتمنى أن يكون عام خير ورفاه، عام عدل وسلام على الجميع. أما نحن في الحوليات؛ فلا نزال نصارع الوقت لنشر إصداراتنا في وقتها، ولعلنا في ذلك نعدّ مثالاً حيّاً لما تعانيه صناعة النشر في الوطن العربي، ناهيك عنها في الكويت.

الرسالة 633 هي الأولى في هذه الحولية وجاءت تحت عنوان *جدلية السرد والحوار: قراءة في خمريتين لأبي نواس*، وأعدّها الدكتور كمال محمَّد السَّيد محمَّد عبد البَر من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة. وهي دراسة مقارنة بين نصّبن لقصيدتين لأبي نواس، يختمها الباحث بدعوة الباحثين الحاليين أن لا يهملوا النصوص التراثية العربية، وأن يعطوها من جهدهم وطاقتهم، ويشبعوها بحثاً ودراسة.

الرسالة 634 هي الثانية في هذه الحولية وجاءت تحت عنوان *المكان وتشكلات العنف في رواية بثينة العيسى (خرائط التيه)* للدكتورة دلال بنت بندر المالكي من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية. وفيها تقرّب الباحثة الأشكال العديدة للعنف أمام القارئ، كما وردت في الرواية المذكورة، وتحاول الإجابة عن سؤال مفاده: كيف يعكس المكان نوع العنف؟

الرسالة الثالثة في هذه الحولية هي الرسالة 635 وأدرجت تحت عنوان *المسيحية من دعوة محلية إلى ديانة عالمية: دراسة اجتماعية فلسفية في أسباب الانتشار وآليات التنصير في العالم الإسلامي* للدكتورة وسيلة يعيش خزار من جامعة الشارقة والدكتورة نعيمة إدريس بنت مبروك من الجزائر. تبحث هذه الرسالة في تحوّل الديانة المسيحية من دعوة محلِّيّة مبنيّة على التسامح والمحبّة إلى دعوة عالمية تمتلك صفات المنافسة، على يد المبشّرين، كما تبحث في تخوُّفِ المتعصبين المسيحيين من الإسلام المتسارع في الانتشار؛ إذ رأوه منافساً لهم؛ ومن ثم عمدوا إلى مواجهته بوسائل غير مشروعة، من الواجب التصدّي لها؛ كالاستشراق.

الرسالة الرابعة هي الرسالة 636 وعنوانها *المفارقة في النص*، للدكتور صبري الحيقي من وزارة الثقافة باليمن. تبحث الدراسة في طبيعة مصطلح المفارقة ووظيفته، ويفسر فيها الباحث الخلط بين المفارقة والتهكم، ثم يعرّج على الاستخدامات العديدة للمفارقة، ويوضح بإسهاب الفرق بين المفارقة في النص الأدبي والمفارقة في الحياة اليومية.

أما الرسالة الخامسة 637 فهي بعنوان *أسلوب التعجب في العربية: دراسة وصفية إحصائية*، للدكتورة حليمة أحمد عمايرة من قسم اللغة العربية في جامعة البلقاء التطبيقية بالأردن. وتعرض لأسلوب التعجب في اللغة العربية، إحصائياً، في عدد من النصوص، وتعرّج على استخداماته في القرآن الكريم وعيّنة من النصوص الأدبية؛ لتخلص إلى ما طرأ على استخدامات هذا الأسلوب من تغيير.

الرسالة السادسة 638 بعنوان *أسواق العسكر ومنظومتها التجارية عبر عصور الحضارة الإسلامية: دراسة تاريخية منذ القرن الأول حتى نهاية القرن التاسع الهجري 1:9 هـ/7:15م*، للدكتور عطية فتحي الويشي من قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية القانون الكويتية العالمية. وفيها يتناول أسواق العسكر في الدول الإسلامية العديدة وأهميتها، ودواعي تأسيسها بدءاً بالقرن الأول وانتهاء بالقرن التاسع الهجري، وعرّج على الأثار الاجتماعية لأسواق العسكر، التي كانت جزءاً لا يتجزأ من النظم الاقتصادية للدول.

والرسالة الأخيرة في هذا الإصدار هي الرسالة 639 وجاءت تحت عنوان *تأويل الشطح في قول الحلاج: «أنا الحق»*. وهي تبحث في موضوع الشطح واستخداماته، وبخاصة في الفكر الصوفي، وهو موضوع قد يقود إلى تأويلات لا تحمد عقباها، كما تتناول نظرة الفلاسفة المسلمين؛ مثل الرازي، وابن خلدون، والغزالي، إلى الفكر التصوّفي وإمكانيات تأويله التي قد تقود إلى التنكيل بالتعبير وبالشخص.

أتمنى لجميع القراء الأعزاء قراءة ممتعة، عبر التنقل بين هذه الموضوعات المتنوعة التي نحرص على توافر التباين بينها؛ لتكون محوراً لمناقشات ثرية، وحوارات مثمرة، بين أهل الاختصاص على وجه الخصوص، والقراء على وجه العموم.

أ.د. تغريد القدسي - غبرا
رئيسة التحرير

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

مجلس النشر العلمي ـ جامعة الكويت

فصلية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل
تعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في تخصصات
العلوم الإنسانية والاجتماعية والآداب

الحولية الرابعة والأربعون
الرسالة الخامسة والثلاثون بعد المئة السادسة
1445 هـ / 2023م

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة الكويت

هيئـة التحريـر

- أ.د. **تغريد محمد القدسي**
رئيسة هيئة التحرير
قسم دراسات المعلومات – جامعة الكويت

- أ.د. **باقر سليمان النجار**
جامعة البحرين – البحرين
أستاذ زائر بقسم الاجتماع – جامعة الكويت

- أ.د. **نعمان محمود أحمد جبران**
جامعة إربد – الأردن
أستاذ زائر بقسم التاريخ – جامعة الكويت

- أ.د. **عدنان يوسف العتوم**
قسم علم النفس – جامعة اليرموك – الأردن

- أ.د. **مشاعل الحملي**
قسم اللغة الإنجليزية وآدابها – جامعة الكويت

- د. **عبد اللّه محمد الجسمي**
قسم الفلسفة – جامعة الكويت

- د. **إبراهيم ناجي الهدبان**
قسم العلوم السياسية – جامعة الكويت

- د. **أحمد مبارك الحصم**
قسم الجغرافيا – جامعة الكويت

- د. **أسعد هاشم الصالح**
قسم اللغة العربية – جامعة انديانا
الولايات المتحدة الأمريكية

- **مـها إبراهيـم المسعـد**
مديرة التحرير

الهيئـة الاستشارية

- **أ.د. باسـل حاتـم**
الجامعة الأمريكية - الشارقة
الإمارات العربية المتحدة

- **أ.د. إبراهيـم السعافين**
قسم اللغة العربية - الجامعة الأردنية

- **أ.د. حمدي حسن أبو العينين**
كلية الإعلام - جامعة مصر الدولية

- **أ.د. سـاري حنفـي**
رئيس الجمعية الدولية لعلم الاجتمـاع
الجامعة الأمريكية - بـيروت

- **أ.د. منـى بيكـر**
جامعة مانشستر - المملكة المتحدة

- **أ.د. عبدالقادر الفاسي الفهري**
قسم اللغة العربية - جامعة محمد الخامس

- **أ.د. عبد الله الوليعي**
قسم الجغرافيا - جامعة الملك سعود

- **أ.د. مـأمـون فنـدي**
مدير معهد لندن للدراسات الإستراتيجية
المملكة المتحدة

قواعد النشر في حَوْليّات الآداب والعلوم الاجتماعيَّة

- حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية: فصلية تنشرُ البحوثَ والدِّراساتِ الأصيلةَ باللّغتَيْن العربيَّةِ والإنجليزيَّة في مجال العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة ويتوفر فيها ما يأتي:
- أنْ تُمثِّلَ الدِّراسةُ إضافةً جديدةً في حقل التّخصّص.
- لم يسبق نشر الدراسة بأي صورة كانت، ولم يسبق أيضًا تقديمها للنشر إلى جهة أخرى أثناء ورودها إلى الحوليات. ويلتزم الباحث بكتابة إقرار وتعهد بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي وعاء نشر، أو أرسل إلى جهة أخرى.
- ألا يقل عدد كلمات الدراسة عن (15000) كلمة، شاملة المراجع والهوامش والجداول (بحدود 50 صفحة) وألا يزيد عدد الكلمات عن (60000) كلمة في حدود 200 صفحة.
- يطبع البحث بواسطة معالج النصوص Microsoft Word وعلى مسافة ونصف، وبنط Simplified Arabic 14 للبحوث باللغة العربية، وعلى مسافتين، وبنط Times New Roman 12 في حالة البحوث باللغة الإنجليزية. على أن يكون عنوان البحث معبراً عن الدراسة وبحدود 15 كلمة.
- يرفق الباحث ملخصاً للبحث، مطبوعًا باللغتين العربية والإنجليزية، في حدود (250) كلمة. على أن يحوي ملخص البحث: هدف الدراسة وأسئلتها، منهج الدراسة المستخدم، أبرز النتائج المستخلصة وأهم الإستنتاجات، إضافة إلى الكلمات الدالة (المفتاحية).
- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة، مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية، تشمل أهمّ مؤلفاته وأبحاثه.
- تقدم الخرائط والأشكال والرسوم (إن وجدت) بأصولها الصالحة للطباعة بصيغة JPG، وبمستوى دقة 600 × 800.
- في حالة رغب الباحث بنشر الصور أو الخرائط أو الأشكال البيانية الملونة يلتزم بدفع تكاليفها.
- يراعي الباحث عند كتابة البحث الالتزام بالنسخة الأخيرة (السابعة) من نظام جمعية علم النفس الأمريكية American Psychological Association (APA7) من حيث كتابة المراجع والهوامش في متن البحث، إضافة لقائمة المراجع. على الوجه الموضح أدناه.
- كتابة المرجع في المتن: اسم العائلة للمؤلف متبوعًا بفاصلة، ثم سنة النشر. (يرجى الرجوع إلى دليل التوثيق وفقًا لنظام (APA7).

مثال (Courtois, 2001)

- قائمة المراجع: يرجى الرجوع إلى دليل التوثيق وفقًا لنظام (APA7) للتفاصيل.

Jones, J. (2005). Writing with style. Style Writing Journal, 12 (6),1433

ويمكن زيارة موقع APA لمعرفة القواعد الخاصة بنظام (APA7) على:

http://www.apastyle.org

- يجب أن تشتمل جميع البحوث على قائمة المراجع كاملة في نهاية البحث، على أن يكون بنط الكتابة بالنص الروماني (Times Roman Script).
- لمعرفة قواعد النشر وأخلاقياته الرجاء مراجعة موقع الحوليات الإلكتروني:

http://apc.kuniv.edu.kw/

شروط قبول البحوث في الحوليات:

- يجب أن يقدم البحث عن طريق نظام الـ OJS وليس البريد الإلكتروني؛ ليتسنى للحوليات البدء بالتقييم. - تقبل الحوليات البحوث التي تقدم إلكترونياً فقط من خلال الموقع:

http:// journals.KU.edu.KW/aass

- لا تقبل مجلة الحوليات البحوث التي سبق نشرها بأي شكل أو وسيط.
- لا تقبل مجلة الحوليات نشر أبحاث الماجستير أو الدكتوراه أو أي مستلات منها.
- لا ترد ولا تسترجع أصول البحوث المقدمة للنشر، سواء نشرت أم لم تنشر.
- لا يجوز نشر البحوث مع جهات أخرى إلا بعد موافقة الحوليات على ذلك وإذا ثبت نشرها فستتخذ إدارة الحوليات الإجراءات القانونية المتبعة بهذا الشأن.
- يمكن للباحث نشر بحثه مع جهات أخرى، بعد الحصول على إذن كتابي سابق من رئيس التحرير، وبعد انقضاء ثلاث سنوات على نشره في الحوليات.
- يعرض البحث الذي تتوافر فيه القواعد المذكورة سابقًا وبعد موافقة هيئة التحرير، على محكمين إثنين لتقرير مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة، ويكون التحكيم ثنائي الحجب (Double Blind Review).
- تمنح المجلة للباحث ثلاثين نسخة مجانية مطبوعة من بحثه المنشور.
- ترسل جميع المراسلات الخاصة بالحوليات ما عدا البحوث، إلى رئيس التحرير عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة.

رئيس تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب : 17370 الخالدية

رمز بريدي : 72454 - الكويت

ISSN 1560 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

http://apc.kuniv.edu.kw/AASS

E-mail: aass@ku.edu.kw

الاصدار الثاني – الحولية الرابعة والأربعون – ديسمبر 2023م

يصدر هذا العدد مع نهاية عام 2023 ونحن نشرف على بداية العام الجديد نتمنى أن يكون عام خير ورفاه، عام عدل وسلام على الجميع. أما نحن في الحوليات؛ فلا نزال نصارع الوقت لنشر إصداراتنا في وقتها، ولعلنا في ذلك نعدّ مثالاً حيّاً لما تعانيه صناعة النشر في الوطن العربي، ناهيك عنها في الكويت.

الرسالة 633 هي الأولى في هذه الحولية وجاءت تحت عنوان *جدلية السرد والحوار: قراءة في خمريتين لأبي نواس*، وأعدّها الدكتور كمال محمَّد السَّيد محمَّد عبد البَر من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة. وهي دراسة مقارنة بين نصّبن لقصيدتين لأبي نواس، يختمها الباحث بدعوة الباحثين الحاليين أن لا يهملوا النصوص التراثية العربية، وأن يعطوها من جهدهم وطاقتهم، ويشبعوها بحثاً ودراسة.

الرسالة 634 هي الثانية في هذه الحولية وجاءت تحت عنوان *المكان وتشكلات العنف في رواية بثينة العيسى (خرائط التيه)* للدكتورة دلال بنت بندر المالكي من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية. وفيها تقرّب الباحثة الأشكال العديدة للعنف أمام القارئ، كما وردت في الرواية المذكورة، وتحاول الإجابة عن سؤال مفاده: كيف يعكس المكان نوع العنف؟

الرسالة الثالثة في هذه الحولية هي الرسالة 635 وأدرجت تحت عنوان *المسيحية من دعوة محلية إلى ديانة عالمية: دراسة اجتماعية فلسفية في أسباب الانتشار وآليات التنصير في العالم الإسلامي* للدكتورة وسيلة يعيش خزار من جامعة الشارقة والدكتورة نعيمة إدريس بنت مبروك من الجزائر. تبحث هذه الرسالة في تحوّل الديانة المسيحية من دعوة محلِّيّة مبنيّة على التسامح والمحبّة إلى دعوة عالمية تمتلك صفات المنافسة، على يد المبشّرين، كما تبحث في تخوُّفِ المتعصبين المسيحيين من الإسلام المتسارع في الانتشار؛ إذ رأوه منافساً لهم؛ ومن ثم عمدوا إلى مواجهته بوسائل غير مشروعة، من الواجب التصدّي لها؛ كالاستشراق.

الرسالة الرابعة هي الرسالة 636 وعنوانها *المفارقة في النص*، للدكتور صبري الحيقي من وزارة الثقافة باليمن. تبحث الدراسة في طبيعة مصطلح المفارقة ووظيفته، ويفسر فيها الباحث الخلط بين المفارقة والتهكم، ثم يعرّج على الاستخدامات العديدة للمفارقة، ويوضح بإسهاب الفرق بين المفارقة في النص الأدبي والمفارقة في الحياة اليومية.

أما الرسالة الخامسة 637 فهي بعنوان *أسلوب التعجب في العربية: دراسة وصفية إحصائية*، للدكتورة حليمة أحمد عمايرة من قسم اللغة العربية في جامعة البلقاء التطبيقية بالأردن. وتعرض لأسلوب التعجب في اللغة العربية، إحصائياً، في عدد من النصوص، وتعرّج على استخداماته في القرآن الكريم وعيّنة من النصوص الأدبية؛ لتخلص إلى ما طرأ على استخدامات هذا الأسلوب من تغيير.

الرسالة السادسة 638 بعنوان *أسواق العسكر ومنظومتها التجارية عبر عصور الحضارة الإسلامية: دراسة تاريخية منذ القرن الأول حتى نهاية القرن التاسع الهجري 1:9 هـ/7:15م*، للدكتور عطية فتحي الويشي من قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية القانون الكويتية العالمية. وفيها يتناول أسواق العسكر في الدول الإسلامية العديدة وأهميتها، ودواعي تأسيسها بدءاً بالقرن الأول وانتهاء بالقرن التاسع الهجري، وعرّج على الأثار الاجتماعية لأسواق العسكر، التي كانت جزءاً لا يتجزأ من النظم الاقتصادية للدول.

والرسالة الأخيرة في هذا الإصدار هي الرسالة 639 وجاءت تحت عنوان *تأويل الشطح في قول الحلاج: «أنا الحق»*. وهي تبحث في موضوع الشطح واستخداماته، وبخاصة في الفكر الصوفي، وهو موضوع قد يقود إلى تأويلات لا تحمد عقباها، كما تتناول نظرة الفلاسفة المسلمين؛ مثل الرازي، وابن خلدون، والغزالي، إلى الفكر التصوّفي وإمكانيات تأويله التي قد تقود إلى التنكيل بالتعبير وبالشخص.

أتمنى لجميع القراء الأعزاء قراءة ممتعة، عبر التنقل بين هذه الموضوعات المتنوعة التي نحرص على توافر التباين بينها؛ لتكون محوراً لمناقشات ثرية، وحوارات مثمرة، بين أهل الاختصاص على وجه الخصوص، والقراء على وجه العموم.

أ.د. تغريد القدسي - غبرا
رئيسة التحرير

Doi 10.34120/0757-044-635-001

الرسالة (635)
قدمت في : 2021/6/22
أجيزت في: 2021/9/13
● **للاستشهاد:**
إدريس، نعيمة ويعيش، وسيلة. (2023). المسيحية من دعوة محلية إلى ديانة عالمية: دراسة اجتماعية فلسفية في أسباب الانتشار وآليات التنصير في العالم الإسلامي. *حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية* (44) 635.

المسيحية من دعوة محلية إلى ديانة عالمية: دراسة اجتماعية فلسفية في أسباب الانتشار وآليات التنصير في العالم الإسلامي

Christianity From a Local Movement to a Global Faith : A Study of the Causes of the Spread and the Techniques Used in Proselytization in the Muslim World

أ. د. نعيمة إدريس
مديرة مخبر تكوين المجتمعات
الجزائر

د. وسيلة يعيش
قسم علم الاجتماع - جامعة الشارقة
دولة الإمارات العربية المتحدة

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ـ الحولية الرابعة والأربعون 1445هـ/2023م

المؤلف:

أ. د. نعيمة إدريس

- دكتوراه فلسفة علوم في الفلسفة المسيحية و الغربية.
- مديرة مخبر تكوين المجتمعات وديناميكية الأقاليم FOSDYT 2021 حتى يومنا هذا.
- رئيسة اللجنة العلمية لقسم الفلسفة 2018.
- عضو المجلس العلمي للمدرسة العليا للأساتذة.
- عضو لجنة أخلاقيات الأستاذ الجامعي.

الإنتاج العلمي:

أولاً- الكتب:

1- أبو عمران الشيخ، رجل الحوار الحضاري، الجزائر، صادر من منشورات الوطن، 2022.

2- مقاربة حسن حنفي للتراث أصول الفقه أنموذجا، ضمن كتاب بعنوان حسن حنفي من التراث والتجديد إلى الإستئناف والتأسيس ، منشور بـ أوراق فلسفية 82-83 كرسي اليونسكو للفلسفة فرع جامعة الزقازيق، إصدار ملتقى الفلاسفة العرب، القاهرة ، 2022.

3- النزعة الإنسانية في الدين وامتداداتها في العالم العربي والإسلامي ،كتاب جماعي دراسات وأبحاث في مقارنة الأديان، منشورات مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، 2022.

4- الفلسفة الأنجلو أمريكية من تفكيك الواقع إلى إعادة بنائه كتاب جماعي. الجزائر، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، 2016.

5- الأخلاقيات التطبيقية جدل القيم والسياقات الراهنة للعلم، كتاب جماعي، إشراف خديجة زتيلي، منشورات ضفاف، منشورات الإختلاف، لبنان، 2015.

6- فلسفة التاريخ ،جدل البداية والنهاية والعود الدائم، كتاب جماعي، إشراف علي عبود المحمداوي، ابن النديم للنشر، دار الروافد الثقافية ناشرون، 2013.

7- الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، إشراف وتحرير سمير بلكفيف، منشورات ضفاف، منشورات اختلاف، 2013.

8- الحوار المسيحي الإسلامي بين المصداقية والتشكيك، منشورات كنوز المعرفة،2011.

ثانياً- الأبحاث:

1- الإنسان الكامل بين المرجعية الدينية والصوفية في الخطاب الصوفي الإسلامي بين مضامين الخصوصية ومقاصد الأخلقة والتعايش. الجزائر. منشورات كلية أصول الدين مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، 2019.

2- الفكر الإسلامي المعاصر وإشكالية المنهج، الإسلاميات التطبيقية لأركون أنموذجا. في قراءات للنماذج المعرفية في مجال العلوم الإنسانية. الجزائر، منشورات مؤسسة كنوز الحكمة، 2018.

3- شوقي الزين ملامح من فكره. منشور في موسوعة الفلاسفة العرب المعاصرين. مصر، إصدارات ملتقى الفلاسفة العرب،2017.

4- تحرر المرأة وسلطة النص الديني. مجلة الجمعية الفلسفية المصرية. القاهرة، منشورات مركز الكتاب للنشر،2017.

5- فلسفة الدين عند كانط . مجلة منتدى الأستاذ. منشورات المدرسة العليا للأساتذة، 2016.

المؤلف:

د. وسيلة يعيش خزار

- أستاذ مشارك، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة، الجزائر، من 2012 إلى 2017.
- أستاذ التعليم العالي، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة، الجزائر، من 2017 إلى 2018.
- أستاذ مشارك، قسم علم الاجتماع، جامعة الشارقة، من 2018 إلى يومنا هذا.
- المنسق الأكاديمي لكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بفرع الذيد من 2019 إلى 2023.

الإنتاج العلمي:

أولاً- الكتب:

1- الإيديولوجيا وعلم الاجتماع: جدلية الانفصال والاتصال، لبنان، صادر من منتدى المعارف، 2013.

2- تقنيات تصميم وتفريغ الاستبيان، الجزائر، صادر من ألفا للوثائق، 2018.

ثانياً- الأبحاث:

1- ريادة الأعمال النسائية بدولة الامارات العربية المتحدة: السمات، المحفزات والتحديات. منشور بمجلة الآداب (148) – جامعة بغداد، مقبول للنشر، 2024.

2- التعايش الإسلامي في الغرب وتحدياته: دراسة اجتماعية في ضوء القرآن والسنة. منشور بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، 2023.

3- ريادة الأعمال النسائية بين الواقع والمأمول: دراسة وصفية تحليلية. منشور بمجلة الآداب (145)، جامعة بغداد، 2023.

4- تنمية الموارد البشرية في إمارة دبي من منظور قيادي: دراسة ميدانية على عينة من القياديين في القطاع الحكومي وشبه الحكومي والخاص. منشور بمجلة الآداب (146)، جامعة بغداد، مقبول للنشر، 2023.

5- واقع التنمية البشرية للمرأة الإماراتية في إمارة دبي: دراسة سوسيولوجية على عينة من العاملات بإمارة دبي. منشور بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشارقة، مقبول للنشر، 2023.

6- آثار التنمر المدرسي على ضحايا التنمر من وجهة نظر المعلمين وسبل مواجهتها: دراسة ميدانية على عينة من المعلمين بمدارس الشعلة الخاصة بمدينة الشارقة. منشور بمجلة الآداب (143)، جامعة بغداد، 2022.

7- قراءة في الآراء التربوية لابن خلدون من منظور سوسيولوجيا التربية. منشور بمجلة الآداب (139)، جامعة بغداد، 2021.

8- مراجعة الدراسات السابقة: ضوابط واعتبارات. منشور بمجلة الآداب (134)، جامعة بغداد، 2020.

9- القيادة التحويلية لدى رؤساء الأقسام بجامعة محمد الصديق بن يحي الجزائر. منشور بمجلة الآداب (132)، جامعة بغداد، 2020.

10- الأيديولوجيا في الفكر الغربي بين تنوع الرؤى وتعدد الدلالات. منشور بمجلة الآداب (130)، جامعة بغداد، 2019.

فهرس المحتـوى

الملخص **15**

المقدمة **17**

المبحث الأول: ظهور المسيحية وانتشارها وعلاقتها باليهودية **23**

1 - ظهور المسيحية وانتشارها **23**

(أ) مولد المسيح: حياة قصيرة ودعوة محدودة **23**

(ب) أسباب انتشار المسيحية **25**

2 - الأصول اليهودية للمسيحية **27**

3 - القديس بولس وعالمية المسيحية **30**

المبحث الثاني : المسيحية في بلاد العرب قبل الإسلام **37**

1 - دخول المسيحية البلاد العربية ومواضع انتشارها **37**

2 - طرق انتشار المسيحية في بلاد العرب وتسربها إليها **39**

3 - عدم تقبل العرب للمسيحية وجدالهم مع رجالها **41**

المبحث الثالث : ظهور الإسلام بأرض الحجاز بين العرب **43**

1 - موقف النصارى من الدّين الجديد **43**

2 - اللقاء الأول للإسلام بالمسيحية **44**

3 - تطور العلاقات المسيحية الإسلامية **46**

(أ) المرحلة الأولى **46**

(ب) المرحلة الثانية **47**

4 - انتشار الإسلام واستمرار العلاقة **48**

المبحث الرابع : التنصير في العالم الإسلامي .. البداية والتطورات 53
1 - تاريخ التنصير (التبشير) 54
2 - مدارس إعداد المنصـرين المبشـرين 56
3 - مراحل التنصير التبشير 59
4 - تحالفات التنصير لتحقيق أهدافه 63
(أ) تحالف التنصير مع دوائر الاحتلال 63
(ب) تحالف التنصير مع مؤسسات حوار الأديان 69
(ج) تحالف التنصير مع الاستشـراق 71
المبحث الخامس: واقع التنصير في العالم الإسلامي وسبل مواجهته 77
1 - دوافع التنصير في العالم الإسلامي 77
2 - أهداف التنصير في العالم الإسلامي 79
3 - وسائل التنصير في العالم الإسلامي 81
(أ) الوسائل الصـريحة 82
(ب) الوسائل الخفية 84
(ج) الوسائل المساندة 95
4 - آليات مواجهة التنصير في العالم الإسلامي 97
الخاتمة 105
المراجع 108

الملخّص

هدف الدراسة: تهدف الورقة البحثية إلى الكشف عن حقائق تتصل بالديانة المسيحية، وكيف تحولت من مجرد دعوة محلية مقتصرة على بني إسرائيل، إلى دعوة عالمية عبر التحريف الذي تعرضت له على يد المبشرين، وأبرزهم شاؤول اليهودي المعروف ببولس الرسول، مؤسس عقائد التثليث، وتأليه المسيح، وصلبه وتجسده. كما تهدف إلى تشخيص العلاقة التاريخية للمسيحية بالإسلام، هذا الدين الجديد الذي نجح في الانتشار، مثيرا تخوف المسيحيين المتعصبين الذين رأوا فيه منافسا خطيرا، فعمدوا إلى محاربته بنشاط تنصيري مخطط، مستخدمين وسائل غير شرعية لخدمة أغراضهم التي لا علاقة لها بالدين، ومن هنا تأتي ضرورة كشف خطورة التنصير الجاري في العالم الإسلامي ومواجهته. **المنهج**: اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي في تتبع تطورات الديانة المسيحية والتنصير الذي تحول إلى علم قائم بمناهجه وأهدافه، والمنهج الوصفي في رصد واقع التنصير في العالم الاسلامي ووسائله الصريحة والمستترة، والمنهج النقدي في الوقوف على دوافع النشاط التنصيري وأهدافه. **النتائج**: خلصت الدراسة إلى أن التنصير لا يهدف إلى حمل البشر على اعتناق المسيحية دين المحبة والتسامح، بقدر ما يسعى جاهدا لضرب الإسلام وإضعاف شوكة المسلمين في جميع بقاع العالم. كما أنه لا يعمل بمفرده، وإنما من خلال التحالف مع قوى علمانية معادية للدين والأخلاق كقوى الاحتلال الذي طال العالم الاسلامي، وعديد الهيئات العلمية كالاستشراق، والمؤسسات السياسية من منظمات وحكومات علمانية داعمة له بالمال والوسائل التكنولوجية، فضلا عن استغلاله لآلام الفئات المسلمة الضعيفة داخل وخارج أوطانها، لحملها على اعتناق المسيحية. مما يوجب الحذر وعدم الثقة فيما يقوم به رجال الدين المسيحي، والعمل على مواجهة خطط التنصير بكل الآليات الممكنة، وتنبيه الشباب المسلم المستهدف لخطورة ما يحاك ضده.

الكلمات الدالة (المفتاحية): المسيحية، النصرانية، التبشير، التنصير، العالم الإسلامي.

المقدمة

يشهد العالم الإسلامي نشاطاً تنصيرياً واضحاً، تُنفق من أجله الأموال الطائلة، وتُبذل الجهود الهائلة، وتُعد الخطط، وُتحاك المؤامرات، وتُنظم المؤتمرات؛ الهدف منه تنصير أكبر عدد ممكن من المسلمين، أو إفساد عقيدتهم، وتشويه فكرهم بأنواع الشبهات، وأصناف المغالطات، أو إخراجهم من الإسلام جملة وتفصيلاً إلى أي دين آخر أو مذهب فلسفي، أو حتى إخراجهم من الإسلام إلى الإلحاد.

لقد أدرك المنصّرون عبر تاريخهم الطويل، أن الأمة الإسلامية قد تضعف، ولكنها لا تموت، وقد تغفو، ولكنها لا تنام، وقد تُهزم، ولكنها لا تباد، ومهما كانت الحرب معها سجالاً، فالغلبة لها في النهاية ما جعلت إعلاء كلمة **الله** هدفها المنشود. لذلك نجدهم يلجؤون كل يوم إلى بدائل جديدة، ويفكرون في أساليب مستحدثة تفتح أمامهم أقصر السبل وأسرعها إلى هدم هذه العقيدة الراسخة.

لقد أصبح التنصير علماً قائماً بذاته، له مؤسساته التعليمية، ومناهجه، ودراساته، ونظرياته، ولأنه يمثل شكلاً من أشكال الغزو الفكري والعقدي الذي يهدد كيان الأمة الإسلامية، ويعمل جاهداً لضرب أواصر وحدتها، فإن الوقوف على حقيقة دوافعه، وخطورة أهدافه، ونوعية الوسائل التقليدية والمعاصرة التي يستخدمها بذكاء كبير لتحقيق هذه الأهداف، يعتبر أولوية ملحة.

وقبل الخوض في حيثيات العمل التنصيري، فإن الضرورة العلمية تفرض الرجوع أولاً إلى بداية الديانة المسيحية وتطورها، ثم انتشارها، باعتبارها الديانة التي يتخذها المنصّرون مصدراً ومتكأً لتبرير نشاطهم التنصيري وإعطائه الشرعية؛ لنعرف وبعمق مدى صدق ادعاءات المنصرين،لاسيّما أن أغلب البحوث التاريخية المتصلة بالمسيحية، التي قام بها متخصصون ورجال لاهوت، تؤكد أن المسيح –عليه السلام– لا علاقة له بالمسيحية الحالية، ولا بعقائدها وطقوسها من تأليه وصلب وتجسد...إلخ، ولا بالتبشير المزعوم الجاري تنفيذه.

أهداف الدراسة

تروم الدراسة تحقيق الأهداف التالية:

1- المعرفة التاريخية بحقيقة الديانة المسيحية، والوقوف على تطوراتها، وأسباب انتشارها خاصة التي تعود للقديس بولس.

2- الوقوف على حقيقة التنصير وبداياته وتطوره، وممارساته اللاأخلاقية لتحقيق أهدافه في العالم الإسلامي.

3- توعية الشباب المسلم بالخطر المحدق بعقيدتهم، وتعريفهم بالوسائل المستخدمة في تشويه فكرهم العقدي، واستمالتهم إلى اعتناق العقيدة النصرانية.

4- الإسهام في وضع إستراتيجية مقاومة، شاملة، حديثة، مكافئة، وقادرة على مواجهة هذا الغزو التنصيري.

تساؤلات الدراسة

على ضوء ما تقدم، تطرح الدراسة التساؤلات التالية:

- هل دعا المسيح –عليه السلام– حقيقة إلى التبشير؟
- أنفّذ تلاميذ المسيح وصية معلمهم وبشروا بكلمة السيد المسيح؟ أم أن السيد المسيح لم يُرسل إلا لبني إسرائيل، وأن دعوته محلية تخص قومه فقط؟
- كيف تطورت المسيحية من ديانة محلية إلى ديانة عالمية؟
- كيف بدأ العمل التنصيري في العالم الإسلامي؟ وما أهدافه ووسائله التقليدية منها والمعاصرة؟
- ما الآليات التي يمكن توظيفها لمواجهة الغزو التنصيري؟

أهمية الدراسة

يحظى موضوع الدراسة بأهمية بالغة؛ بالنظر إلى تعاظم الخطر التنصيري في الحقبة المعاصرة؛ بحيث يمكن القول إن الثورة الاتصالية التي نعيشها اليوم تمثل علامة فارقة بين عصرين من عصور الحركة التنصيرية: عصر التنصير التقليدي الذي اعتمد بشكل أساسي على البعثات التبشيرية، والتحالف مع الجهود الاستشراقية والاستعمارية، وعصر التنصير الجديد الذي يعتمد بشكل مكثف على الوسائط الإعلامية المتنوعة التي تتيحها شبكة المعلومات العالمية، والتي تسمح باختراق المسلمين واستهداف شبابهم فكرياً وعقائدياً. لقد لعبت الخدمات التفاعلية التي تتيحها هذه الشبكة، وما توفره من استقلالية وحرية في التواصل، دوراً بارزاً في ظهور شبكات تنصير عالمية– كاتحاد التنصير عبر الإنترنت– تستخدم تكنولوجيا الاتصال لتنفذ إلى مساحات كانت محظورة عليها في الماضي، وتتفاعل مع شرائح ديمغرافية متنوعة؛ مما أدى إلى اتساع رقعة التنصير، وتحديث وسائله؛ مما يعني أن ظاهرة التنصير في العالم الإسلامي ظاهرة متجددة متطورة، تستلزم إستراتيجيات مواجهة على المستوى نفسه من التخطيط والتحديث، وهو ما تسعى الدراسة إلى بيانه.

منهج الدراسة

اعتمد في إعداد هذه الدراسة على ثلاثة مناهج:

- **المنهج التاريخي**: استخدم عند التعرض لبداية دعوة المسيح، وأصولها اليهودية، وعند تشخيص مختلف المراحل التي قطعتها المسيحية في انتشارها، وتحديداً في البلاد العربية، وعند تتبع التطور التاريخي للعلاقات المسيحية الإسلامية، وأيضاً عند الوقوف على البدايات التاريخية للتنصير كعلم قائم بذاته، والتطورات الحاصلة في أهدافه ووسائله وإستراتيجياته.
- **المنهج الوصفي**: استخدم عند وصف أهداف التنصير، ووسائله، وآليات مواجهته.

- **المنهج النقدي**: وظّف في ثنايا الدراسة وفي مواضع عدة؛ من أجل الوقوف على حقيقة تطور الديانة المسيحية، والأسباب الفعلية في انتشارها، والدوافع الحقيقية للنشاط التنصيري، وفي إبراز بشاعة التحالفات والمؤامرات التي قام بها المنصّرون لضرب الإسلام والمسلمين.

لهذا الغرض قسمت الدراسة إلى خمسة مباحث، مذيلة بمقدمة تمهيدية تضمنت التعريف بموضوع الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، ومناهجها، ومباحثها. وخاتمة استنتاجية تضمنت أهم نتائج الدراسة. مع التطرق بإيجاز للصعوبات التي تواجه الباحث الذي يروم الكتابة عن الديانة المسيحية.

تطرق المبحث الأول إلى **ظهور المسيحية وعوامل انتشارها وعلاقتها باليهودية**، وقد تضمن العناصر التالية:

1- ظهور المسيحية وانتشارها.

2- الأصول اليهودية للمسيحية.

3- القديس بولس وعالمية المسيحية.

تطرق المبحث الثاني إلى **ظهور المسيحية وانتشارها في بلاد العرب قبل الإسلام**، وقد تضمن العناصر التالية:

1- دخول المسيحية البلاد العربية ومواضع انتشارها.

2- طرق انتشار المسيحية في بلاد العرب وتسرّبها إليها.

3- عدم تقبل العرب للمسيحية وجدالهم مع رجالها.

تطرق المبحث الثالث إلى **ظهور الإسلام بأرض الحجاز بين العرب** وتطور العلاقات المسيحية الإسلامية، وقد تضمن العناصر التالية:

1- موقف النصارى من الدين الجديد.

2- اللقاء الأول للإسلام بالمسيحية.

3- تطور العلاقات المسيحية الإسلامية.

4- انتشار الإسلام واستمرار العلاقة.

تطرق المبحث الرابع إلى **بدايات التنصير في العالم الإسلامي وتطوراته**، وقد تضمن العناصر التالية:

1- تاريخ التنصير «التبشير».

2- مدارس إعداد المنصّرين «المبشرين».

3- مراحل التنصير «التبشير».

4- تحالفات التنصير «التبشير» لتحقيق أهدافه.

وتطرق المبحث الخامس إلى **واقع التنصير في العالم الإسلامي من حيث دوافعه، أهدافه، وسائله وآليات مواجهته**، وقد تضمن العناصر التالية:

1- دوافع التنصير في العالم الإسلامي.

2- أهداف التنصير في العالم الإسلامي.

3- وسائل التنصير في العالم الإسلامي.

4- آليات مواجهة التنصير في العالم الإسلامي.

المبحث الأول

ظهور المسيحية وانتشارها وعلاقتها باليهودية

تدخل دعوة المسيح –عليه السلام– ضمن سلسلة أنبياء بني إسرائيل، وعلى الرغم من بساطة دعوته وقصرها، إلا أنها عرفت تطورات عجيبة ومعقدة، جعلت الباحثين يبذلون جهوداً مضنية، لفك طلاسم هذا التطور والتعقيد. والحقيقة أن الباحثين المختصين في المسيحية، ما زالوا على الرغم من النتائج المعتبرة المحققة، يقولون إنهم في بداية الطريق، وسبب ذلك أن المسيحية تشربت من روافد أديان وحضارات وثقافات متعددة، ما جعل معالمها الأصلية تكاد تغيب.

1 - ظهور المسيحية وانتشارها

إن ظهور المسيح أو المسيحية ديانة لا يطرح أي إشكال؛ فالحدث لا يعتبر غريباً أو خارقاً في جوهره عن العادة والمألوف، على العكس؛ فظهور نبي جديد أمر مألوف بالنظر إلى سلسلة الأنبياء السابقين للمسيح، عليه السلام؛ إذ ظهرت المسيحية ديناً سماوياً جديداً في الشرق القديم على وجه التحديد في بلاد الشام التي قد شهدت صراعاً بحكم موضعها المهمّ معبراً بين قارات العالم القديم. إن ظهور نبي جديد بأرض الشام أمر تعوّد عليه الناس، لكن غير العادي هو ميلاد المسيح نفسه الذي أثار الكثير من الدهشة والجدل الذي وصل حد الفتنة والافتراء.

(أ) مولد المسيح: حياة قصيرة ودعوة محدودة

كما هو معروف ومذكور في الإنجيل والقرآن الكريم، فقد ولد عيسى –عليه السلام– من غير أب وأمه مريم العذراء، في بيت لحم «على أيام الإمبراطور الروماني الأول أغسطس *Auguste* عام 4 ق م، وهيرودس *Hérode* ملك اليهودية، ولا نجد اليوم سجلاً موثوقاً به لحياة سيدنا عيسى، عليه السلام (العثماني، 1982، ص: 104). من هنا تبقى الأناجيل هي المصدر الأول على الرغم من التحفظات الكثيرة حولها. وقد اختلف في تحديد تاريخ ميلاده بالضبط، لكن العام الرابع ق م هو المرّجح لدى أغلب المؤرخين.

من هنا بدأت رحلة المسيحية، وما أثير حولها من قصص ومعجزات، بدأت بمعجزة ميلاده أصلاً دون أب، ثم نطقه في المهد كما يذكر القرآن، ولم تتعرض له الأناجيل، المهم الدهشة تملكت الجميع وأطلق على ليلة مولده «الليلة العجيبة».

وتذكر معظم الأناجيل حادث ميلاد المسيح؛ ففي إنجيل متّى مثلاً ورد: «**أما ولادة يسوع المسيح: فكانت هكذا، لما كانت مريم مخطوبة ليوسف، قبل أن يجتمعا، وجدت حُبلى من الروح القدس، فيوسف رجلها إذ كان باراً... ولم يشأ أن يشهرها**» (متى الإصحاح 18: 19/1) بل لم يذكر ذلك إطلاقاً؛ لأنه رأى رؤيا تقول له إن مريم حبلى، ولكنها عفيفة، المهم بعد ميلاده تربّى المسيح في حضن أمه ويوسف النجار.

نشأ المسيح كأي طفل عادي في ظل أسرته، إلى أن بدأت تظهر عليه علامات النبوة، فاضطرت أمه لأن تهاجر به؛ خوفاً من اليهود، فذهبت به إلى مصر ثم عادت به. وكان من عادة اليهود أن يحتفلوا بالطفل عندما يبلغ سن الثانية عشرة. «إذ يصير ابن الناموس، ويتحمل تكاليف الدّين، ويباح له أن يذهب إلى الأعياد» (عثمان، 1966، ص: 28)، فكانت فرصة أن يذهب المسيح رفقة والديه إلى القدس، ويحضر عيد الفصح، وكان قد لفت انتباه رجال الدين اليهود بعد مناظرته لهم؛ بحيث دهشوا «من فهمه وأجوبته، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها» (عثمان، 1966، ص: 28).

بعد هذا الحادث أو الرحلة رجع المسيح إلى مدينة الناصرة، وواصل مرحلة شبابه التي سجلت اشتغاله بالنجارة، خاصة بعد وفاة يوسف النجار. في هذه الأثناء كان يوحنا المعمدان يعلن للناس قرب ظهور المسيح، الذي تحدثت عنه التوراة، ويدعو الناس للتوبة، وأخذ يُعمّد الناس بنهر الأردن للتكفير عن خطاياهم استعداداً لاستقبال المسيح. في هذه الأثناء كان المسيح قد بلغ الثلاثين من عمره، وجاء هو أيضاً من الجليل إلى الأردن ليُعمّد بحسب الطقوس اليهودية، لكن يوحنا رد عليه قائلاً: «**أنا محتاج إلى أن أتعمد منك وأنت تأتي إلي**» (متى الإصحاح 3: 14). المهم عيسى –عليه السلام– تعمّد، وبعدها مباشرة، كما تذكر الأناجيل، تعرّض لمطاردة الشيطان؛ بهدف اختباره. هذه المطاردة استغرقت أربعين يوماً، ليخرج منتصراً، ويعود إلى الجليل ليلتقي بتلاميذه، ويبدأ في نشر دعوته التي استغرقت ثلاث سنوات، كما يذكر.

دعوة بدأت عادية وهادئة، ببعض التلاميذ والأنصار من بني إسرائيل لفعل الخير، أعلن فيها قرب ملكوت **الله**، «**وكان يسوع يطوف كل الجليل، يعلّم في مجامعهم، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مريض وكل ضعف في الشعب، فذاع خبره في جميع سورية**» (متى الإصحاح 23: 4/24).

بدأت الأحداث المؤلمة تأتي من قبل اليهود، الذين لم يؤمنوا بالمسيح، وكادوا له بكل الوسائل ليقرروا قتله في نهاية الأمر، بعد محاكمة صورية، أصدرت قرار الموت أو بالأحرى الصلب، الذي أنهى حياة المسيح.

هذا باختصار موجز حياة المسيح ودعوته، كما وردا في الإنجيل. وعلى فرض صحة أن المسيح صُلب، ثم صعد إلى السماء، فإن الأحداث والتطورات التي وقعت بعده كانت بعيدة عن كل التوقعات، بل إن المسيح نفسه لم يخطط أو يتطلع لها في حياته، فهو لم يكن إلا صاحب دعوة جديدة لبني إسرائيل، تقوم على التوحيد بالله –سبحانه وتعالى– والابتعاد عن الغلوّ، بعد أن فقدت اليهودية جوهرها، ثم إن المسيح دعا إلى أنبل القيم الإنسانية، وحتى معجزاته كانت ذات دلالات روحية، وكأنه يريد القول لبني إسرائيل: الإنسان مادة وروح، وليس مادة فقط. لكن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة:

كيف آلت المسيحية إلى هذا المصير الذي تعرفه اليوم، من عقائد الصلب والتجسّد والتثليث...، التي لا علاقة لها بالمسيحية الأولى أو تعاليم المسيح، عليه السلام، والسؤال الأهم، كيف وصلت إلى العالمية بعد أن كانت دعوة محدودة تخص اليهود فقط؟

(ب) أسباب انتشار المسيحية

إن الإجابة عن هذه التساؤلات يكتنفها ظلام دامس، وعلى الرغم من ذلك فإن المصادر والمعلومات المتاحة، تدل على أن تلاميذ المسيح، عليه السلام، بعد صعوده إلى السماء، حملوا على عاتقهم التبشير بالمسيحية، مقاومين عواصف المعارضات، وكان النجاح الملموس حليفهم على الرغم من الصعوبات (العثماني، 1966، ص: 104)،

ومع ذلك لا يمكن رد نجاح المسيحية وانتشارها والتحريف الذي لحق بها إلى تلاميذ المسيح، وإنما إلى عوامل كثيرة، أسهمت في جريان الأحداث على ذلك المنوال.

يقول اللاهوتي **شارل جنيبر**:

«إن سر نشأة هذا الدين وطبيعته الأولى، يجب الرجوع في دراسة جوانب كثيرة منها، إلى حضارات سوريا وآسيا الصغرى ومصر، وكذلك بلاد ما بين النهرين، وكل هذه البيئة الشرقية التي ظهر فيها بادئ ذي بدء، ثم وجد العناصر الأولى للحياة والانتشار» (د ت، ص: 19).

وفعلاً تأثر المسيحية بهذه العوامل الخارجية القريبة منها والبعيدة، يمكن أن يكشف عن سر تلك التحولات التي نجد ما يشبهها ويماثلها، خاصة في الحضارات الشرقية والفلسفة اليونانية، من هنا نحاول الوقوف على أهم الأسباب التي ساعدت في انتشار المسيحية لتصبح عالمية.

هي أسباب عديدة، منها ما يعود إلى مبادئها التي دعت إلى الحب والتسامح، ومنها ما يعود إلى عوامل خارجية دخيلة عليها، المهم أن كلاً من السببين الداخلي والخارجي أسهم في انتشار هذه الديانة، ويمكن حصر أهم الأسباب في الآتي:

- جاءت المسيحية والمناخ الفكري السائد مهيأ لها، باعتبار أن بريق الفلسفة اليونانية بدأ في الأفول، وآلهة الوثنية لم يعد الناس يعبؤون بها؛ لتأثرهم بكتابات فلاسفة اليونان أنفسهم، والشيء نفسه يقال عن سلوك الرومان نحو الآلهة، الذي كان ينمّ عن سخرية واستهزاء، من هنا كان استعداد الناس للإيمان بإله واحد من خلال الدين الجديد متوافراً (جنيبر، دت؛ راسل، 1966).
- كذلك شهدت المسيحية توسع الإمبراطورية الرومانية، التي كان على أرضها شعوب وثقافات وأديان مختلفة، وعندما ظهرت المسيحية على هذه الأراضي، التقت هذه الثقافات والأديان واستطاعت أن تجلب إليها الكثير من الشعوب والأجناس؛ لأنهم وجدوها ديانة سماوية توحيدية من جهة، ومن جهة أخرى لا تنبذ معتقداتهم الوثنية التي تعوّدوا عليها. فمثلاً «فكرة الثالوث: الأب والابن

وروح القدس، إنما هي الفكرة التي كانت فاشية عند المصريين باسم **أسوريس وإيسيس وهورس**، وقد يسّر هذا التداخل على الناس الإيمان بالدين الجديد» (موسى، 1967، ص: 39)، فعلى الرغم من أن مصر كانت بلداً وثنياً حتى عام 300م «غير أنه في عام 330م غدت بلداً يدين معظم أهله بالمسيحية» (مطر، 1998، ص: 422).

هذا المثال يفسر لنا مدى التمازج الذي حدث، بين عناصر المسيحية الأولى والعناصر الأخرى التي وجدت في مختلف الأديان والعقائد المجاورة، بما فيها الفلسفة اليونانية؛ مما سهل الإقبال عليها.

- إضافة إلى هذا لا ننسى أن المسيحية دعت إلى الحب والخير والتعاطف بين القوي والضعيف والفقير والغني، «وهذه كلها فضائل يقدرها الفقير أكبر تقدير... وقد كان الفقر من نصيب تسعة أعشار سكان الإمبراطورية الرومانية؛ لذلك انتشرت المسيحية» (موسى، 1967، ص38).

- كذلك من أهم عوامل انتشار المسيحية، أنها لم تكن ديانة عنصرية تقتصر في دعوتها على جنس معين –على عكس اليهودية، شعب **الله** المختار– وإنما مست كل الألوان والأجناس دون تمييز؛ مما جعل الإقبال عليها أكثر من اليهودية، على الرغم من أن كلاً منها ديانة موحدة، بل إن المسيحية فرع من اليهودية لكنها استقلت عنها فيما بعد.

هذه أهم العوامل التي جعلت المسيحية تتسع وتنتشر، لكن ربما أهم عامل في نجاح المسيحية وعالميتها هو اسم **شاؤول اليهودي**، الذي تحول إلى اسم **القديس بولس**. من هنا لا يمكن تجاهل التأثير الكبير لليهودية على الديانة الجديدة، على الرغم من العداء الظاهر بينهما.

2- الأصول اليهودية للمسيحية

على الرغم من محاربة اليهود للمسيح، عليه السلام، ورفضهم لدعوته وطعنهم في شرف أمه مريم، فإن المسيحية «تنبع أساساً من حركة يهودية، وهي تبدو أولاً على

وجه التخصيص، كظاهرة تهم الحياة الدينية لليهود، وتتميز بها البيئة الفلسطينية، ولا يمكن تصور قيامها خارج نطاق العالم اليهودي» (جنيبر، دت، ص: 25).

من هنا لا يمكن إغفال هذا التأثير القوي إلى جانب العناصر الأخرى، لكشف تطور هذه الديانة. المهم «أن أصل المسيحية الأولى، التي تعتبر كظاهرة تاريخية، يوجد في عمق اليهودية، التي انبثقت عن ديانة بني إسرائيل، كما عرفتها كتب العهد القديم، التي أسهمت في إثرائها» (Bultman, 1950, p13).

لكن إذا نظرنا إلى اليهودية كديانة، نجدها هي الأخرى قد تعرضت لتأثيرات وتشوهات وتغييرات جوهرية، نُقلت بدورها إلى المسيحية، وهذا يعقد الأمور أكثر؛ فقد تعرض الدّين اليهودي لتغيرات مشابهة تماماً فرضت عليه فرضاً؛ فاليهودية الهلينية التي كانت تهتم في مبدأ العهد المسيحي، بالأجناس الإنسانية وتعتبر الشعب الإسرائيلي في الأساس وسيلة لهداية الإنسانية في عمومها، هذه اليهودية الهلينية هي التي أنتجت في النهاية القديس بولس **وفكرة التوسع في الكنيسة المسيحية**، على حين رجعت اليهودية التقليدية *Orthodox* ؛ أي اليهودية الإقليمية في فلسطين، إلى موقفها العنصري تحت ضغط ظروف رجعية ضد التقدم السريع للهلينية من جهة، وظروف سياسية في طابعها من جهة أخرى. (ديلاسي، 1961).

هذا يبرز بوضوح مدى تأثر اليهودية بعناصر الثقافة الهلينية، وبالموازاة كان فلاسفة اليونان ومفكروها يحاولون التأثير في العقيدة اليهودية، بإدخال آلهتهم في مختلف تصوراتهم، إلا أن اليهود المحافظين حاولوا الدفاع ضد هذا التيار، لكن الثقافة اليونانية تسربت على الرغم من كل هذا إلى العقيدة اليهودية، بل اتخذتها الأرستقراطية اليهودية مثالاً يحتذى، وتهاونت في تطبيق الشريعة الموسوية (ديلاسي، 1961)، خاصة اليهود الذين استقروا بالإسكندرية، واتخذوا من نمط الحضارة اليونانية أسلوباً لهم في الحياة، لدرجة تخلّيهم عن اللغة الأم وتفضيلهم للغة اليونانية.

مثال ذلك **فيلون** *Philon* الذي كان يهودياً معاصراً للمسيح، وهو كفيلسوف متمسك بدينه إلا أنه «كان في الفلسفة أفلاطونياً قبل كل شيء، وإلى جانب الأفلاطونية، كان الرواقيون والفيثاغوريون المحدثون من أهم العوامل التي تأثر بها»(راسل، 1977، ص: 33) اشتهر باستعمال التأويل الرمزي، وكان له تأثير كبير في المسيحية والفلسفة الأفلاطونية المحدثة فيما بعد. كذلك كان فيلون فيلسوفاً موحداً، ومرد ذلك إلى «الدين الذي كان يعتنقه، فقد قال بوجود إله قديم لا يجري عليه التغيير، وليس ذا شهوة أو هوى، وهو مخالف تمام المخالفة لعالم الظواهر، باعتباره العلة الأولى لكل موجود، وهذا توحيد فلسفي يمكن أن يتناسب مع العهد القديم، ولكنه لا يصدر عنه بالطبع» (ديلاسي، 1961، ص. 29–30).

أما عن طبيعة علاقة اللغوس أو الكلمة **بالله** «فهو واسطته إلى الخلق، ورسوله إلى الناس، وهو أيضاً الذي ينقل إليه تضرعاتهم، فهو ابن **الله** ورسوله، ووسيلته في خلق العالم» (راسل، 1977، ص. 33).

ولا يخفى تأثير هذا الكلام الخطير فيما بعد على المسيحية وتطورها، الذي ظهر بصورة واضحة في إنجيل يوحنا، وترى الدراسات بشأنه أن كاتبه تأثر كثيراً بفيلون. ويعلق راسل على تأثير فيلون بقوله: «وبينما ترى فيلون أنه لم يعد له من أثر في اليهودية بعد سقوط أورشليم، ترى الآباء المسيحيون قد وجدوا فيه رجلاً، عرف كيف يوفق بين الفلسفة اليونانية والإيمان بالكتاب المقدس العبري» (راسل، 1977، ص. 33).

هكذا نرى بوضوح التأثير القوي لليهودية – المحرفة– على المسيحية واللاهوت، خاصة من قبل **فيلون**، ولكن مهما ذكر اسم **فيلون** ومدى تأثيره، فإنه سيكون في مقام ثان، أمام اسم يهودي آخر، لا يمكن عدّه عنصراً مؤثراً أو مساهماً في انتشار المسيحية، بل المؤسس الحقيقي لها، والمبشر بها، الذي أوصلها إلى العالمية، بدلاً من المسيح نفسه، إنه شاؤول الذي اشتهر باضطهاده للمسيحيين وتعصبه لليهود، لكنه فجأة يعتنق المسيحية، ويصبح من أشد أنصارها، ويلقب بالقديس **بولس**.

3- القديس بولس وعالمية المسيحية

إن العلاقة بين اليهود وأنصار المسيح عرفت توتراً منذ البداية، وبلغ التوتر حد العداوة بعد حادث صلب المسيح، الذي دبّره اليهود، كان هذا الحادث بمثابة الانفصال الحقيقي بين الطرفين.

ومن بين اليهود الذين لم يستسيغوا العقيدة الجديدة، واعتبروها بدعة، شاول (أو شاؤول) الذي كان ابناً لتاجر اسمه كيساي بنيامين، ونظراً لثراء الوالد؛ فقد نال الولد حظاً طيباً من التعليم، وحقق بذلك حلم والده بأن يصبح حاخاماً. من هنا شبّ شاول محباً لليهودية، مقتنعاً بها، وطبعاً كان ضد المسيحيين الذين اعتبروا فرقة يهودية منشقة، لكن شاول لم يكترث كثيراً لها، خاصة بعد عملية الصلب، معتقداً أن الخطر قد زال، إلا أن الذي حدث كان عكس التوقعات، فقد ازداد أتباع عيسى، عليه السلام، فكان أن قام شاول بهجومات منظمة ضد المسيحيين، بداية بأورشليم، ثم قصد الرحيل إلى دمشق، التي وصلت الأنباء منها مُخبرة بأن عدد الأنصار بها قد كثر، لكن ما حدث جاء مغايراً لمقصد الرحلة، فما الذي حدث تحديداً؟

حصل خلال ذلك حادث غيّر مجرى الأوضاع، وهو أن العالم اليهودي الشهير شاول، الذي ظّل يضطهد المسيحيين بعنف حتى الآن، آمن بالمسيحية فجأة، وزعم أنه أشرق له نور في طريق دمشق وسمع صوت المسيح من السماء، الذي يقول له: «**لماذا تضطهدني**» (أعمال الرسل الإصحاح 8-9/3-30) مما جعل قلبه يرتاح إلى المسيحية.

من هذا الحادث، بدأت **نقطة التحول الكبرى في المسيحية**، وبدأت معها نقطة الانحراف الكبرى أيضاً عن سيرة المسيح ورسالته السمحة؛ بحيث يعتنق شاول المسيحية عام 33م، ويلقب بالقديس **بولس** ورسول الأمم، مجنّداً نفسه للتبشير، فدعا العامة من اليهود، ثم اتجه إلى أقوام أخرى، وكان لابد أن يغري أصحاب الأديان والمذاهب المخالفة، حتى يُقبلوا على الدّين الجديد.

لتحقيق ذلك لجأ إلى أسلوب الاقتباس، لبعض تعاليم هذه الأديان وطقوسها، وإدماجها في المسيحية؛ بحيث أدخل الفلسفة الإغريقية فيها لكسب اليونانيين، فبدأ بنشر فكرة أن عيسى منقذ ومخلص وسيد للجنس البشري. ويرجع الفضل **لبولس** في أنه أول من نادى بعالمية المسيحية، بعد أن كانت المسيحية منحصرة بفلسطين وبلاد الشام عموماً، تمكنت من الانتشار في أنحاء العالم كافة، خاصة أن رسولها الجديد فتح الباب لجميع البشر لاعتناقها؛ حيث قال بالتثليث، وبنزول المسيح، عليه السلام، وبعدم الختان، وغير ذلك من العقائد والشعائر التي لها صلة بالديانات والمعتقدات المنتشرة آنذاك؛ ولذلك فإن معظم الدراسات تجمع على اسم القديس **بولس** أكثر من غيره.

راسل *Russel* مثلاً، يرى أن المسيحية ما كانت لتعرف هذا الانتشار، «لولا القديس بولس الذي صمم على قبول غير اليهود، دون مطالبتهم بالختان، أو الخضوع للتشريع الموسوي» (1977، ص: 36). ونفس النتيجة وقف عليها **سبينوزا** *Spinoza* من خلال دراسته للكتاب المقدس؛ حيث رد أكبر نصيب من التأويل والتحريف الذي حصل في العقائد المسيحية لبولس. يقول:

> «...وعلى ذلك فلكيلا يصدم الناس بشدة بهذه العقيدة الجديدة، كيّفها الحواريون على قدر استطاعتهم مع روح عصرهم... وأقاموها على أكثر الأسس شيوعاً، وأوسعها قبولاً في ذلك العصر؛ لذلك لم يتفلسف أي حواري، بقدر ما تفلسف بولس الذي دعا للتبشير بين الأمم» (1981، ص. 335).

ما يستخلص من هذه الأحداث، أن المسيح نفسه لم يكن يتوقع أن رسالته ستؤول إلى هذا الانتشار؛ لأن أحاديثه كانت عموماً تدور حول قرب ملكوت **الله**، والاستعداد لهذا اليوم بالتطهر من الذنوب، حتى إن تلاميذه لم يلجؤوا إلى تدوين أحاديثه؛ لأنه لا جدوى منها، ولا يمكن الانتفاع بها، بما أن نهاية العالم قد قربت. لهذا لم يشعر أنصار المسيح « بالحاجة إلى تدوين ذكرياتهم، أو رسم شعورهم عنه، إنهم لم يفكروا في أن يكتبوا إلى أجيال قادمة كانوا على يقين من أنها لن تأتي» (جنيبر، د ت، ص. 26).

وبهذا كان المجال مفتوحاً **لبولس** ليقول ما يشاء، ويسجل ما يشاء، ويلقى التصديق من طرف الكثيرين، خاصة بعد المعجزة التي روّج لها، والتي حدثت له في طريقه إلى دمشق، وجعلت منه موضع تقديس، لدرجة أن التعاليم التي قال القديس بولس إن عيسى أوحى بها إليه روحياً، كانت تبدو أكثر ثقة ويقيناً من كل ما يحكيه له صاحبا المسيح بطرس ويعقوب (جنيبر، د ت) المفروض أن تحذف لكن فيم تتمثل هذه التعاليم، التي أصبحت عقائد معتمدة؟

التعاليم التي اعتمدها بولس في دعوته

استمر **بولس** في ادعاءاته حتى أتم تأسيس تعاليم المسيحية كما أرادها، على الرغم من الاعتراضات التي تلقاها من الحواريين، الذين شككوا في إيمانه، ولم ينسوا عداوته السابقة للمسيح، واضطهاده لأتباعه، إلا أنه واصل عملية التبشير، لدرجة الادعاء أنه تلقى من يسوع مباشرة وبلا واسطة، وأنه لا يجوز لأحد أن يقبل تعليماً آخر غير ما يجيء هو به (الحمد، 1961، ص. 36). وبهذا تحول اليهودي الذي لم يتلق أي تعليم عن اليسوع أو عن تلاميذه إلى معلم أول، فأخذ ينشر مبادئ استمدها، كما سبق ذكره، من أديان ومذاهب أخرى، ليغري أهلها بالدخول في المسيحية، مع الإشارة إلى أن مسيحيي الشرق كانوا أكثر الناس نفوراً من تعاليم **بولس**، وأهمها:

- **القول بالتثليث**

أهم العقائد المسيحية، وبلغة بسيطة يعني أن **الله** ثلاثة أقانيم: الأب، الابن، الروح القدس، وثلاثتهم يشكل إلها واحداً. لكن المشكل لا يقف عند هذا التعريف، فقد أثار التثليث تساؤلات عديدة، وشكّل جدلاً حقيقياً، لدرجة انقسام المسيحيين إلى عدة طوائف، ثم انقسام الكنيسة نفسها. من هنا يحق لنا التساؤل: لماذا قال **بولس** بالتثليث؟

إن **بولس** عندما جنّد نفسه للتبشير بالمسيحية، بحسب الرؤيا التي ذكرها في أعمال الرسل، حاول نشر دعوته بين كل الأديان والمذاهب التي كانت سائدة، ولجلب أكبر عدد ممكن، اضطر إلى إدخال مبادئ جديدة ذات صلة بالديانات الأخرى، لكنها

مخالفة تماماً للمسيحية. من هذه العقائد التثليث الذي وجد عند المصريين، وفي الفلسفة الأفلاطونية من خلال نظرية الفيض والأقانيم الثلاثة، كما عند **أفلوطين**؛ حيث نجد المطلق الذي هو **الله** الواحد، والذي يفيض عنه العقل يمثل الابن، ثم النفس الكلية كأقنوم ثالث تمثل الروح القدس.

لكن التثليث المسيحي خلق مشكلة التوفيق، بين التوحيد الإلهي الموجود في التوراة وفي الإنجيل، وبين القول بالأقانيم الثلاثة. المهم أن بولس لجأ إلى أسلوب التلفيق والاقتباس، وأخطر ما مسّه هو مبدأ التوحيد الذي نصّت عليه كل الأديان السماوية والعقول الراجحة؛ حيث أراد أن يجمع بين التوحيد والتعدد لكي يرضي أطرافاً كثيرة، ويكسب بذلك أكبر عدد من المناصرين، ولو كان الأمر على حساب العقيدة الصحيحة.

- ألوهية المسيح

ثاني مبدأ نص عليه **بولس**، ويحمل من الخطورة الكثير، بل إنه وطيد الصلة بالمبدأ السابق، القول إن عيسى –عليه السلام– إلـه، وهو قول لم يتفق عليه المسيحيون، فانقسموا إلى قسمين: قسم مؤيد لألوهية المسيح وآخر ينكرها، وأول من دعا بالألوهية هو **بولس**، الذي اعتبر عيسى إلهاً وابن إله وأنه صلب ليكفر ذنوب البشر أو خطاياهم.

وقد بلغ اختلاف المسيحيين حول ألوهية المسيح مداه، إلى أن اعتلى **قسطنطين** السلطة السياسية، واعتنق المسيحية ديناً، وأراد أن يجد حلاً لهذا الإشكال والاختلاف، فدعا إلى اجتماع بنيقية *Nicée* عام 325م، والغريب في الأمر أن المجتمعين نصروا ألوهية المسيح، إلى جانب عقيدة التثليث، وحاربوا المعارضين لذلك، خاصة منهم **آريوس** *Arius* أحد قساوسة الإسكندرية، الذي حُرِّم كغيره من المعارضين.

- الروح القدس

وهو ثالث مبدأ اعتمده **بولس**، وأقرته المجامع المقدسة فيما بعد، والمسيحيون يعتقدون أن الروح القدس ليس قصراً على الأنبياء، بل ينزل على الآباء والقدّيسين،

ويقدم لهم التعاليم التي ينبغي أن تكون لها سلطة الوحي. وطبعاً بدأ بولس بنفسه، حيث كان يتحدث في رسائله كما يقول سبينوزا «وفقاً لتفكيره الخاص» (سبينوزا، 1981، ص. 328) بعيداً عن وحي أو تفويض إلهي، وينسب الأمر إلى الروح القدس، الذي أصبح يتصل به في أي وقت، ويعطيه التعاليم وكأنه هو النبي (رسالة بولس إلى أهل غلاطية 1: 12/11).

- صلب المسيح

يؤمن المسيحيون أن المسيح صلب من طرف اليهود، كما ورد في الأناجيل: «... **وكانت الساعة الثالثة فصلبوه وكان عنوان علته مكتوباً ملك اليهود**» (مرقص الإصحاح 26: 27/15)، وهو بيلاطس البنطي. لكن المسيحيين اختلفوا في الطريقة التي صُلب بها، أو هل الصلب وقع على اللاهوت، أو الناسوت، أو الاثنين معاً؟ إلا أن الغالب عندهم أن الصلب لم يتم على أقنوم الابن، الذي هو إله، وإنما تم على المسيح الإنسان المخلوق. المهم أن الإيمان بالصلب إيمان راسخ كيف ما جاء، لكن لماذا صلب المسيح؟ وما العبرة من ذلك؟

إننا نعثر على الإجابة في الإنجيل؛ فالمسيح صلب ليخلّص البشر، وينقذهم من الهلاك، لقد توسّط للناس لينالوا رحمة رب العالمين، لذلك يقول لشخصين مغتمين لصلبه، يظهر لهما ثانية بعد صلبه ووفاته: «**أيها الغبيان، والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلّم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده**» (لوقا الإصحاح 25: 26/24). المهم أن عقيدة الصلب لم تكن حديثة عهد بالمسيحية، وإنما سبق إليها الهنود وغيرهم، وحتى إن رجعنا إلى الأناجيل لا نجد اتفاقاً في سرد تفاصيل الصلب، لكن الاتفاق حاصل في الحكمة منه، هذا يقودنا للحديث عن المبدأ الخامس الذي اعتمده **بولس**.

- عقيدة الكفارة والخلاص

من تعاليم بولس، أنه بدلاً من أن يحاسب **الله** –سبحانه وتعالى– عباده يوم الحساب، ترك هذه المهمة لابنه المسيح؛ حيث يعتقد المسيحيون أن الأب أعطى سلطان

الحساب أو يوم الدينونة للابن؛ وذلك لأن الابن أولى بمحاسبة الإنسان باعتبار أن عيسى ابن **الله** المقدس، فله الحق في النيابة عن أبيه في محاسبة البشر عن أخطائهم. والمسيح ليس هو المسؤول عن محاسبة الناس فقط، بل هو منقذهم ومخلّصهم من العذاب الأبدي، بل إن محور المسيحية وهدفها الوجودي عقيدة الخلاص أو الفداء، لذلك «تشتمل رسائل **بولس** على كثير من اللاهوت، خصوصاً فيما يتعلق بالخلاص، وتدل تلك الرسائل على إلمام واسع بالثقافة اليونانية» (عثمان، 1966، ص. 422).

هذه أهم المبادئ التي اعتمدها **بولس** إلى جانب التعميد، وتحولت إلى عقائد إيمانية راسخة في المسيحية بعد قبولها وانتشارها، وبذلك يكون **بولس** صانع المسيحية الحقيقي، بدلاً من المسيح نفسه، لكن ما الوضع الذي آلت إليه المسيحية بعد بولس وبعد انتشارها؟

على الرغم من توسع نفوذ **بولس** بتوسع أتباع الديانة الجديدة، فإن المسيحية عرفت اضطهاداً ثانياً بعد اضطهاد اليهود، هذه المرة من قبل السلطة الرومانية، التي على الرغم من تسامحها مع بقية الأديان، استثنت المسيحية ومعتنقيها، «فشرّدوا وعذّبوا وقتلوا وصلبوا، حتى كادت تختفي معالم المسيحية من الأرض بسبب تلك الاضطهادات» (الحمد، 1961، ص.33). واستمر هذا الاضطهاد كما تذكر كتب تاريخ الأديان، ثلاثمائة سنة «بدأت بعهد نيرون وانتهت بحكم دقلديانوس» (مظهر، 1995، ص.441). لكن هذا الوضع المزري زاد من تمسك المسيحيين بعقيدتهم، وكان الأمل والفرج بعد هذا العهد تحديداً عام 306م، حيث عُدّ «عاماً سعيداً جداً في تاريخ المسيحية؛ إذ عُين الإمبراطور **قسطنطين** الأول ملكاً على روما، واعتنق المسيحية؛ مما أكسب المسيحية قوة وإحكاماً دائمين» (العثماني، 1982، ص. 106).

بهذا الإجراء وُضع حد للاضطهاد الديني المسيحي، تحت ظل الإمبراطورية الرومانية في عهد **قسطنطين الأول**، الذي قام بتشييد الكنائس، إلا أنه بعد رفع الاضطهاد، دخل المسيحيون في خلافات عقائدية، وبدأت تظهر الطوائف والفرق العديدة، التي تدّعي كل واحدة منها المصداقية. ولحسم هذه الاختلافات بدأت تُعقد تجمعات رسمية، تشمل مختلف الطوائف الدينية، من مختلف أنحاء العالم، لتناقش

الخلاف فيما بينها علّها تخرج بإجماع، وأهم اجتماع عقد بنيقيه 325م، و انطلاقاً منه نالت العقائد المسيحية لأول مرة صيغة الضبط والتدوين (العثماني، 1982)، وبهذا المؤتمر كان الانتصار الرسمي لتعاليم **بولس**.

بهذا العرض الموجز لنشأة المسيحية، وأسباب انتشارها، وتأثرها باليهودية، يمكننا–مبدئياً– الوقوف على بعض النتائج:

- إن تطور المسيحية **سلك خط بولس دينياً وقسطنطين سياسياً**.
- يعتبر **بولس** أهم مؤسس للمسيحية بشكلها الحالي، وقد حدّد عقائدها المعتمدة، التي لا تمت بصلة إلى المسيح، كما أثبتت الدراسات الإسلامية والغربية الحديثة والمعاصرة.

ولهذا؛ فالقول بالتحريف ليس تعصّباً، وإنما شيّد على معطيات علمية موضوعية، أكّدها النقد التاريخي لمصادر المسيحية، التي تفتقر إلى أي توثيق مباشر لحياة المسيح أو أثرٍ عنه؛ لأن الجيل الأول انقضى دون تسجيل اعتقاداً في قرب الساعة، فلما جاءت الرغبة والضرورة للكتابة «لم يعد هناك شهود (مباشرون) لحياة المسيح» (جنيبر، د ت، ص. 27)؛ وبذلك كان الباب مفتوحاً لمختلف التيارات المؤثّرة، كما وقفنا على ذلك مع اليهودية والتيارات الفلسفية.

لكن، هل انتشار المسيحية ووصولها إلى أماكن بعيدة، يعني أنها وصلت إلى البلاد العربية وأرض الحجاز قبل الإسلام؟ وهل تم اعتناقها من قبل العرب؟

المبحث الثاني

المسيحية في بلاد العرب قبل الإسلام

من المؤكد أن أرض العرب، عرفت وجوداً لبعض المسيحيين، الفارين من بطش اليهود وغيرهم، كما وجد بها الرهبان للتعبد، بالنظر لموقعها الملائم للعزلة وممارسة التعبد وسط الصحراء؛ مما جعل العرب يتعرفون هذه الفئة ويحتكون بها، وهي التي تختلف في معتقداتها الدينية عن ديانتهم الوثنية، لكن إلى أي مدى وصل هذا المد المسيحي؟ وهل حقق النتائج المرجوة من استمالة العرب نحو العقيدة المسيحية، خاصة أنهم كانوا ينكرون عليهم عبادة الأوثان؟

1- دخول المسيحية البلاد العربية ومواضع انتشارها

اختلفت الآراء في تحديد تاريخ دخول المسيحية جزيرة العرب؛ نظراً لقلة المصادر التي تؤرخ لتلك الفترة إن لم نقل انعدامها، غير أن الكثير من المسيحيين يرجعون ظهورها إلى العهد الأول لظهور المسيحية، وليس مهماً معرفة تاريخ دخولها بلاد العرب، إنما الأهم أن نعرف مدى انتشارها، وهل تقبلها العرب كديانة؟

لقد وجدت المسيحية في قبائل معينة، خاصة التي كانت على حدود الرومان؛ ففي الطرف الشمالي للجزيرة العربية قديماً، كانت مملكة غسان بواديها الفسيح تدين بالنصرانية، وهي في هذا التدين متأثرة بديانة جارتها الدولة الرومانية القديمة، وقد سجّل التاريخ من ملوك الغساسنة من كان نصرانياً وهو «الحارث بن جبلة 528–570م، الذي كان معاصراً للإمبراطور **جستنيان**، وهذا الحارث كان نصرانياً على مذهب اليعاقبة» (شلبي، 2005، ص. 113–114).

إلى جانب مملكة غسان، عرفت المسيحية انتشاراً في قبائل أخرى، كربيعة وبعض قُضاعة وتغلب ومملكة الحيرة ونجران، ويذكر صاحب السيرة، قصة دخولها بنجران:

«وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل، أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له **عبد الله بن الشامر**، وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر

العرب كلها أهل أوثان، يعبدونها وذلك أن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين يقال له **فَيْمِيُون** وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه فدانوا به» (ابن هشام، د ت، ص. 42).

وعلى الرغم من اختلاف الروايات، فإنها تجمع على أن **فيميون** هذا رجل صالح، مستجاب الدعوة، يدين بالمسيحية السمحة، وأن **عبد الله بن الشامر** تعلّم عنه الدين الذي اعتنقه أهل نجران، «ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران» (ابن هشام، د ت، ص. 36).

لكن هذه المسيحية السمحة بدأت تتعرض للتحريف والتبديل، على يد أبنائها وفرقها المختلفة، وبسبب الاضطهاد الذي تعرضت له من طرف الروم واليهود على حد سواء، حتى كادت تُطمس معالمها تماماً. هذا الاضطهاد مسّ حتى معتنقي المسيحية من العرب بنجران، الذين هُوجموا وقُتلوا وشُردوا من طرف (ذي نواس)، الذي أراد إكراههم على اليهودية، وخيّرهم بين اعتناقها والقتل، «فاختاروا القتل فخذلهم الأخدود، فحرق من حرق بالنار، وقتل بالسيف ومثّل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً (ابن هشام، د ت، ص. 36).

ففي ذي نواس وجنده، أنزل **الله** تعالى على رسوله سيدنا ﷺ: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ ﴾ (البروج: 6/4)، وربما كان هذا من حظ اليمن السيئ، التي تعتبر نجران من مدنها؛ فقد انتشرت بها اليهودية، أولاً ثم تحول الأمر إلى المسيحية؛ مما أدى إلى انتقام ذي نواس الذي كان على دين اليهود، «ذلك أن اليمن وقعت تحت نير قوتين مختلفتين في الملة والحكم والسياسة» (شلبي،2005، ص. 115) وهما الفرس والروم، وطبعاً كان لهذا الوضع أثره السلبي على أهل المنطقة وعلى عقيدتهم، التي تأرجحت بين مجوسية الفرس ونصرانية الإمبراطورية الرومانية.

2- طرق انتشار المسيحية في بلاد العرب وتسربها إليها

انتشرت المسيحية في بلاد العرب عبر طرق مختلفة، منها:

- تجارة الرقيق

كان عرب الجاهلية يتاجرون في العبيد، ويجلبونهم من مناطق مختلفة وبأثمان متباينة، بحسب قيمة العبد، وما يحمله من مؤهلات كحسن عمله. من هنا كان العرب يفضلون جلب عبيدهم من الرجال والنساء من الفرس والروم.

«وذلك نتيجة لمميزات كثيرة امتازت بها عن الرقيق المستورد من إفريقية مثلاً؛ حيث كان نوعهم من الصنف الرفيع، الذي يمتاز بالحسن والجمال، والإتقان لبعض الحرف، وهناك ميزة أخرى هي أن الروميات والصقليات والجرمانيات، منهن من كن أمهات لأولاد اعتبروا من صميم العرب، فضلاً عن أن بعضهن كن على الديانة النصرانية» (ذراع، 1991، ص. 149).

وطبعاً لا يخفى تأثير هذه الفئة، حتى ولو كانوا عبيداً، فضلاً عن تأثير النساء اللاتي كن يتمتعن بحظوة عند بعض رجال العرب.

- التجار المسيحيون

هم أنفسهم كانوا رسلاً، يعملون على نشر تعاليم دينهم، في مختلف المناطق التي يصلونها بتجارتهم، التي تميزت «بربح مزدوج، ربح في التجارة وربح في الدين؛ لأنهم يرون أن هذه الممارسة تؤدي بهم إلى كسب الدنيا والآخرة معاً» (ذراع، 1991، ص: 150).

- البعثات التبشيرية

سبق أن ذكرنا أن أتباع المسيح، عليه السلام، اضطهدوا وشردوا، من طرف حكام الإمبراطورية الرومانية، وبإيعاز من اليهود خاصة، لكن رُفع عنهم الاضطهاد، باعتناق الإمبراطور **قسطنطين الأول** للمسيحية وإعلانها ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية منذ سنة 312م. منذ هذا التاريخ وجد رجال الدين المسيحي متنفساً، وجواً ملائماً للعمل، فشرعوا «في إرسال البعثات التبشيرية، لنشر النصرانية في أصقاع العالم، ومنها بلاد الحجاز، التي كانت أحد أهداف الدولة الرومانية، وكذا

رجال الدين المسيحيين؛ لأن سكانها وثنيون» (ذراع، 1991، ص. 150). وفعلاً أنكر رجال الدين المسيحي على العرب عبادة الأوثان، ودعوهم إلى عبادة **الله**، ومن هنا عرفوا جدالا مع وثني العرب.

- ميزة الجزيرة العربية

تتميز بلاد العرب بخصائص جغرافية صعبة، إلا أن هذا أكسبها ميزة؛ فقد كانت منفذاً لكل هارب بعقيدته إلى حيث يتعبد براحة وأمان، ومن هؤلاء الفارين بعض المسيحيين الذين خالفوا المذهب اليعقوبي، الذي اتخذته الإمبراطورية الرومانية مذهباً رسمياً ووحيداً، لحسم الخلاف الذي كان سائداً بين الطوائف الأخرى كالنسطوريين والملكانيين؛ فهؤلاء تعرضوا لاضطهاد حكامهم، فوجدوا في بلاد العرب المنفذ الوحيد، خاصة أن نفوذ الروم كان يمتد إلى العراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى ومصر، وسائر بلاد العالم بما في ذلك شمال إفريقيا (ذراع، 1991).

من هنا عرفت المسيحية انتشاراً في مدن الحجاز خاصة في :

مدينة يثرب: عرفت يثرب وجود بعض المسيحيين، وكانوا أناساً بسطاء يمارسون بعض الأنشطة الاقتصادية، أغلبهم أجراء عند سادة العرب وأثريائهم، «لكن هذه الفئة رغم قلة عددها، وضعف مكانتها الاجتماعية، فإنها عملت على تمسيح العرب، كما فعل أبو عامر الراهب مع شباب الأوس الذي اعتنق النصرانية» (ذراع، 1991، ص. 152).

مدينة مكة: دخلت المسيحية مكة عبر مختلف الطرق المذكورة، سواء كانت التجارة أم الرقيق أم البعثات التبشيرية، وكانت هذه الفئة بمكة مثل سابقتها، لا تملك نفوذاً كالذي وجد عند اليهود، بل على العكس «لم يكونوا إلا ناساً فقراء، يحتلون الأحياء المتطرفة من مكة، يمارسون مهناً بسيطة، ولا يوجد لديهم أي تأثير، على الرغم من الدعم الذي كان من الممكن أن تمدهم به الدول المسيحية، وبعض المدن كالقسطنطينية والحبشة والغساسنة واللخميين» (Bloud et Gay,1954, p204). هذا بمكة، كذلك وجد بعض المسيحيين بالطائف.

هذه أهم المواضع الحجازية التي عرفت وجود المسيحية، ومن ذلك يمكن أن يستنتج: أن المسيحية وجدت حقيقة وكان لها أثرها؛ ففي الجاهلية دخل كثير من العرب

في النصرانية، فانتقلت إليهم بعض الثقافات التي كانت عند النصارى، وكانوا متأثرين بفلسفة الإسكندرية... وقد أثار النصارى كاليهود حركة جدل ونقاش في الجاهلية (أبو زهرة، 2010)، وكانوا يملكون ثقافة وعلماً؛ مما أكسبهم القدرة على الإقناع والتأثير لاستمالة بعض العرب.

وكان من وسائل تأثيرهم العلاج؛ فمعرفتهم بمبادئ الطب قرّبتهم من سادة العرب، ونجاحهم في شفاء بعض الأمراض، وردّهم ذلك إلى المعجزة الإلهية، كان له أثره في انتشار المسيحية عند بعض العرب.

لكن لو قارنا هذا الانتشار بانتشار الوثنية لوجدناه ضعيفاً ومحدوداً، فما السبب في ذلك؟ **لماذا لم يتقبل العربي المسيحية أو النصرانية؟**

3- عدم تقبل العرب للمسيحية وجدالهم مع رجالها

إن المسيحية دين توحيد لاشك في ذلك، وقد جاء المسيح –عليه السلام– بتعاليم سمحة، كلها رقة وعطف وإيمان، كما دعا بني إسرائيل للتعقل والتراجع، عما أسرفوا فيه من حب الدنيا وابتعاد عن تعاليم اليهودية كما جاءت في التوراة، إلا أن المسيحية أصابها ما أصاب شريعة موسى –عليه السلام– من تحريف وتبديل وخروج عن جادة الصواب والأسباب في ذلك كثيرة؛ ففقدت بذلك روحها وصفاءها، وقوبلت بالرفض من طرف عقلاء العرب، خاصة «الباحثين عن حقيقة العدل الديني، ولم يرتضوها كدين حنيف يجدون فيه رضوان **الله** وطمأنينة النفس، واقتناع العقل وإرضاء الفطرة» (شلبي، 2005، ص. 114).

ثم إن المسيحية نفسها أصبحت عقيدة جد غامضة؛ فالعقل العربي «لم يستسغ عقيدة التثليث ولا الإيمان برب مصلوب»(أبو زهرة، 2010، ص: 34). لقد واجه رجال الدين المسيحي هذا التعقيد أو الغموض، ولم يتمكنوا من إزالته، بل عجزوا «عن تفهم وتوضيح أقانيمهم، وكانت شروحهم تزيد الغموض غموضاً وتعقد المعقد تعقيداً... وتضيف إلى المبهم إبهاماً» (شلبي،2005، ص. 114).

إلى جانب هذه الأسباب في عدم تقبل العربي للمسيحية، نسجل اختلاف المبادئ والطبائع بين عرب الجاهلية والمسيحيين في تلك الفترة؛ فالمسيحية دعت إلى

التسامح وعدم الرد على الظالم... بينما أخلاق الجاهلية، كانت ترى في ذلك جُبناً، وتفضل الشجاعة والأخذ بالثأر، بذلك دخل عرب الجاهلية من حنفاء أو مشركين في جدال مع رهبان المسيحية وقساوستها.

المسيحيون دعوا العرب إلى عقيدتهم، وبشّروا بها وذكروا لهم الثواب والعقاب والجنة والنار... وطبعاً رد عليهم العرب، وهكذا كانت المنافسة بين الفريقين، التحام عقل ساذج فطري لا يدرك تعقيداً، وعقل معقد يدعو إلى عقيدة ليس من السهل استساغتها (أبو زهرة، 2010). وفي هذا المقام نورد مناظرة ذكرها الأستاذ محمد أبو زهرة نقلاً عن المستشرق دوزي حيث يقول:

«أراد الأساقفة أن ينصّروا المنذر الثالث ملك الحيرة حوالي 513 من الميلاد، وإن المنذر ليصغي إليهم إذ دخل عليه قائد من قواده، فأسرّ إليه بضع كلمات، ولم يكد ينتهي منها حتى بدت على أسارير الملك أمارات الحزن العميق، فتقدم إليه قسيس من القسيسين، يسأله عما أشجاه، فأجابه الملك: يا له من خبر سيّئ، لقد علمت أن رئيس الملائكة قد مات، فواحسرتاه عليه. فقال القسيس هذا محال، وقد غشك من أخبرك، فإن الملائكة خالدون يستحيل عليهم الفناء. فأجابه الملك: أحقاً ما تقوله؟ وتريد أن تقنعني بأن **الله** ذاته يموت» (أبو زهرة، 2010، ص. 35).

ويعلق **محمد أبو زهرة** على هذه الحادثة بقوله:

«انظر إلى تلك المناقشة، التي تلمح فيها قوة العقل، التي ترد أعقد المسائل إلى أقرب البديهيات، ليدركها النظر السليم، وليفحم المجادل العنيد، وألا تلمح سذاجة الفطرة القوية، فقد التقت مع التفكير المعقد فحلت عقدته، وبينت له ما ينبغي أن يدركه الفكر القديم» (2010، ص. 35).

مما سبق نستنتج أنه على الرغم من بساطة العربي أو سذاجته في تلك الفترة، فإنه لم يستعص على عقله إدراك بديهيات الأمور، ومع ذلك كثيراً ما كان النصراني يتفوق في حلبة الجدال؛ نظراً لثقافته الأوسع ولامتلاكه أساليب الجدل والإقناع.

هذا الوضع قبل مقدم الإسلام، فكيف استقبل المسيحيون الدّين الجديد؟

المبحث الثالث

ظهور الإسلام بأرض الحجاز بين العرب

جاء الإسلام الذي بُعث به سيدنا محمد صلى **الله** عليه وسلم والمسيحية تمضي في قرنها السابع، دين جديد يقوم على التوحيد الإلهي، يرفض كل ألوان الشرك والإلحاد، ليلتقي بالمسيحية وبقية الأديان السائدة بجزيرة العرب، ويحتك بها. هذا الاحتكاك عرف مواجهات عديدة، تأرجحت بين الشدة والعنف واللين والتسامح؛ فالعرب قبل ظهور الإسلام دخلوا في جدل مع الأديان، التي كانت موجودة في المنطقة من مسيحية ويهودية على الخصوص، لكن بظهور الإسلام ازداد هذا الجدل، ليس مع العرب الرافضين للإسلام فقط، ولكن مع أهل الكتاب أيضاً.

1 - موقف النصارى من الدّين الجديد

يستند الدّين الجديد إلى وحي إلهي، أتى ليصحح الكثير من المفاهيم العقدية المُحرفة والخاطئة، فكان من الطبيعي أن يلقى كل ألوان الرفض والمعارضة، خاصة من قبل مشركي قريش واليهود الذين شككوا في صحة دعوته، وكذلك سلك النصارى اتجاه الدعوة الجديدة، وإن كان عداؤهم لها في البداية أقل كما يذكر القرآن الكريم وكتب السيرة، وكما سنوضحه بتعرفنا اللقاءات الأولى التي جرت بين الإسلام والمسيحية وتطورها، ولنا أن نتساءل: **كيف تم اللقاء بين الإسلام والمسيحية؟ وكيف كانت ردود الأفعال الأولى؟**

أتى الإسلام والمسيحية منتشرة ببلاد العرب انتشاراً محدوداً، وعلى الرغم من علم رهبان الدين المسيحي ورجاله بمقدم الرسول الجديد وصدق دعوته، فإن موقفهم من الإسلام كان العداء، خاصة أن القرآن الكريم ذكر بالتفصيل قصة المسيح، عليه السلام، وأمه مريم وصحة ولادتها له، وقصة صلبه المزعومة... أي أنه ذكر العقائد المسيحية، وذكر التحريف الذي وقع فيها؛ فكان من الطبيعي أن يحدث اختلاف بين الطرفين. وبدأ النقاش بين الإسلام والمسيحية في هضبة الحبشة، حول حقيقة المسيح والكلمة، ثم أتى وفد نصراني من نصارى نجران إلى المدينة،

وجادل النبي، عليه الصلاة والسلام ... ثم وصل الإسلام إلى الشام والعراق، فبدأت المسيحية تنازعه نزاعاً فكرياً شديداً (النشار، 1966). وكان هذا النزاع بين المسلمين والمسيحيين من جهة، وبين المسيحيين أنفسهم من جهة أخرى؛ فقد كانت الفرق المسيحية الثلاث اليعقوبية والملكانية، والنسطورية موجودة بين المسيحيين في البلاد العربية والإسلامية المفتوحة، وطبعاً هذا التعدد في المذاهب غذى النقاش القائم أكثر؛ حيث كان المسلمون يناقشون كل فرقة، ويحاولون دحض أفكارها المتعارضة مع القرآن الكريم.

2 - اللقاء الأول للإسلام بالمسيحية

عندما نرجع إلى كتب التاريخ والسيرة النبوية، نجد أن الرسول –عليه الصلاة والسلام– لم يلتق المسيحيين في بداية دعوته، وأول لقاء للمسلمين بالمسيحيين، كان في الحبشة بعد الهجرة، حيث تم» أول حديث مذهبي بين المسيحيين والإسلام الحديث الولادة « (Bouamama,1988, p12). لنقف عند هذا الحدث المهم؛ استقبل **النجاشي** ملك الحبشة المسلمين الفارين بدينهم، وأمّنهم على أنفسهم، إلا أن قريشاً أرسلت رسلها محملين بالهدايا سعياً لرد هذه الفئة الصابئة. وفعلاً وقف الوفد برئاسة **عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص** بين يدي **النجاشي**، طالباً رد الجماعة الفارة، لكن عدل **النجاشي** أبى ذلك، وفضّل الاستماع للطرفين، فطلب المسلمين، وسألهم: «ما هذا الدّين الجديد الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟» (ابن هشام، د ت، ص. 358).

سؤال وجيه ومعقول، وكان الرد الشهير من طرف **جعفر بن أبي طالب**:

« أيها الملك كنا قوم جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش.. فكنا على ذلك حتى بعث **الله** إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى **الله** لنوحده ونعبده... فقال له **النجاشي**: هل معك مما جاء به عن **الله** من شيء.. فقرأ عليه صدر (كهيعص)... فبكى **النجاشي** حتى اخضلت لحيته... ثم قال **النجاشي**: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرجا من مشكاة واحدة، انطلقا **والله** لا أسلمهم إليكما» (ابن هشام، د ت، ص. 358–360).

ويقصد رئيسي الوفد القريشي. هذا أول حدث أو لقاء يسجل بين المسيحيين والمسلمين.

لكن الرجلين لم ييئسا، خاصة **عمرو بن العاص** الذي قال:

«**والله** لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد» (ابن هشام، د ت، ص. 360)، وفعلاً كان له لقاء ثانٍ **بالنجاشي**؛ حيث قال له: «أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم، فسألهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم فسألهم عنه فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال **جعفر بن أبي طالب**: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبد **الله** ورسوله وروحه وكلمة ألقاها إلى مريم العذراء البتول... فضرب **النجاشي** بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: «**والله** ماعدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود» (ابن هشام، د ت، ص. 360):

يعتبر البعض، هذا اللقاء والنقاش، أول لقاء فكري عقدي مسيحي إسلامي، وسيعرف تطورات مهمة. ويعلق الباحث **بوعمامة** على هذا الحدث بما يأتي:

«هذا الحدث مهم جداً، أولاً لأنها المرة الأولى التي تلتقي فيها الديانتان معاً، والمسيحيون لا يعلمون شيئاً عن الديانة الجديدة، فكان همهم الاستعلام خاصة، فلا يبدو –مبدئياً– أي عداوة ومن أي نوع في سلوكهم أو نيتهم ضد المسلمين، فوق ذلك أظهروا نوعاً من القلق عندما كان رسل العرب الوثنيين يؤكدون أن المهاجرين يرددون أشياء لا تليق تخص المسيح. كذلك هذه المواجهة تثير ملاحظة أخرى؛ ففي إجابات المسلمين عن أسئلة النجاشي، كان مرجعهم مباشرة القرآن. ثم إنه بعد حوالي خمس سنوات من نزول الوحي الأول، الإسلام وعن طريق فم رسوله كان قد حدد النقاط الأساسية لموقفه تجاه المسيحية. هذه النقاط وأخرى ستضاف إليها، سوف تتطور وتتوضح وتحدد في حدود ما يأتي به الوحي، والقرآن هو الشاهد الوحيد، الموثوق به لدراسة هذه الفترة، إن بداخله أهم المواضيع للحوار العقائدي المسيحي الإسلامي» (1988, p12).

نجد هذا التحليل صحيحاً إلى حدود بعيدة؛ فالهجرة إلى الحبشة كانت اللقاء الأول، وسؤال النجاشي عن المسيح –عليه السلام– كان أول نقاش عقائدي بين الديانتين، قاد إلى سلسلة من اللقاءات والمناظرات والحوارات، ما زالت مستمرة إلى يومنا هذا، ولكن بمنظور وأطروحات جديدة.

لكن بعض الغربيين والمستشرقين منهم خاصة، يعودون بتاريخ معرفة محمد ﷺ بالمسيحية إلى ما قبل بعثته، وتحديداً يعودون إلى فترة طفولته معتبرين حادث الراهب بحيرا، أول لقاء للإسلام –الذي ما زال لم يظهر– بالمسيحية، وطبعاً لهم في هذا أغراض معينة. المهم وجدت العلاقة بين الطرفين وعرفت تطوراً.

3 - تطور العلاقات المسيحية الإسلامية

(أ) المرحلة الأولى

كانت المرحلة الأولى جيدة، وهذا ما تثبته النصوص القرآنية، ثم «إن الإسلام الجديد أظهر استقبالاً جيداً ومودة واستلطافاً للمسيحيين» (Bouamama,1988, p15)، كما أن أول من استقبل المسلمين وأمّنهم على دينهم النجاشي ملك الحبشة، وهذا بتوجيه من الرسول ﷺ، وعلى العموم، فالعلاقات كانت حسنة؛ لأن موقف الإسلام نحو المسيحيين غاية في الإيجابية ، مقارنة بالعلاقة مع اليهود.

كذلك كان موقف المسيحيين تجاه الإسلام، فعلى الرغم من حذرهم، فإن كثيراً منهم انشرح صدره للإسلام وللقرآن الكريم، الذي وصف عيسى –عليه السلام– بصفات كلها بر وتقوى ورحمة، بل إن البعض منهم «رأى في قدوم محمد تكملة للعهد الذي قطعه **الله** مع المسيح، لهذا أعطى **الله** مكانة مبجلة للمسيحيين» (Bouamama,1988, p18).

وهنا نتساءل عن سر هذه الصداقة بين الطائفتين، أو العوامل التي أدت إلى وجود مثل هذا الانسجام. لو جئنا إلى حصر هذه العوامل وجدناها كثيرة، لكننا نقتصر على ذكر أهمها:

العامل الأول: يتمثل في القرآن الكريم نفسه؛ فهو لم ينكر المسيح كما فعل اليهود، ولا طهارة أمه، بل ذكرهما وبجّلهما، وفي الوقت نفسه وضع عيسى نبياً كرّمه **الله** وأيّده بالمعجزات، لكن ليس «إلهاً أو ابن إله» أبداً، ومثل هذا الموقف يبعث على الرضا في نفوس المسيحيين المعتدلين منهم خاصة، وهذا ما ساعد على «غياب أي عداوة أو خصومة أو صراع بين محمد والمسيحيين في فترة دعوته بمكة» (Bouamama,1988, p18).

العامل الثاني: يتمثل في اختيار الرسول ﷺ لحاكم مسيحي وأرض مسيحية ليهاجر إليها أصحابه فراراً من اضطهاد قريش؛ فهذا الاختيار له دلالات، أهمها، أنه يبرز المكانة المفضلة التي أعطاها محمد الرسول للمسيحيين، كما يبرز صحة الاختيار، وأن الثقة التي منحها لحاكم الحبشة كانت في محلها.

العامل الثالث: يرتبط بالمصالح المسيحية على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، المسيحيون قبل البعثة المحمدية، ومقارنة مع اليهود كانوا في أحطّ درجة، لا يملكون أي نفوذ داخل المجتمع العربي، وعموماً «قوتهم السياسية والاقتصادية غير مهمة حتى لا نقول منعدمة»(Bouamama,1988, p18). هذه الوضعية بدأت تتغير نحو التحسن بمقدم الإسلام، وبانتصار محمد ﷺ وأصحابه، انتصاراً أدى إلى تراجع العرب الوثنيين من جهة، واليهود المتغطرسين من جهة أخرى، «الذين عملوا بكل جدية على إبعاد المسيحيين عن القضايا الاقتصادية والسياسية»(Bouamama,1988, p19). لكن بعد نجاح الدين الجديد وامتداد نفوذه، أصبح المسيحيون هم أصحاب المناصب الإدارية في بلاط الخلافة الإسلامية ودولتها، خاصة في العهدين الأموي والعباسي ومالت الكفة إليهم.

هذا فيما يخص المرحلة الأولى التي اتسمت بالانسجام والتوافق.

(ب) المرحلة الثانية

العلاقة بين الطرفين لم تعد تعرف الجو الودي دائماً، بل بدأ يشوبها التوتر بسبب نجاح الإسلام وانتشاره. هذا النجاح أصبح مصدر قلق وحقد لرجال الدين المسيحي، خاصة بعد تحول آلاف المسيحيين لعقيدة الإسلام، وهنا بدأ يظهر التعصب الديني،

وبدأت نواقيس الخطر تدق، خاصة أن القرآن دعا كلاً من المسيحيين واليهود إلى عقيدة التوحيد، وصرّح أن ما يعتمدونه من عقائد وكتب محرّف، كما فصل في عقيدة التثليث المنافية للتوحيد الإلهي.

المهم عندما تحددت النقاط الأساسية الفاصلة بين العقيدتين، وأهم نقطة هي رفض التثليث وتأليه المسيح وصلبه، والدعوة إلى اعتماد عقيدة التوحيد الصحيحة. كان هذا الرفض نهائياً قطعياً، لا يحمل أي مجاملة؛ فالقرآن فضح أهل الكتاب الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويعرفون الحقائق لكن ينكرونها. هذا الفضح وهذه التعرية أديا إلى زعزعة العلاقات المسيحية الإسلامية، التي كانت تتسم في بداية عهدها بالحسنى.

4 - انتشار الإسلام واستمرار العلاقة

انتشر الإسلام، وبلغت الفتوحات بلاد المشرق بفلسطين وسوريا ومصر وفارس، هذه البلاد يقطنها آلاف المسيحيين، الذين وجدوا أنفسهم فجأة تحت ظل الحكم الإسلامي، فإما الإسلام يرتضونه ديناً، وإما دفع الجزية مقابل حمايتهم، لكن لا إكراه في الدين، والشهادات لا تعد ولا تحصى عن احترام الحرية الدينية.

وعلى سبيل المثال نذكر الخليفة عمر بن الخطاب، رضي **الله** عنه، وتعاطفه مع أهل الكتاب بإسقاطه للجزية عن الفقراء والمحتاجين منهم، «مع أنه كان شديداً في دين **الله**، ولكن الشدّة التي عرف بها لا تعني التعصب الأعمى، والضغينة القاسية على المخالفين للدين من أهل الكتاب» (الغزالي، 2005، ص.41)، ولا أدل على ذلك ما رواه يحيى بن آدم في كتاب الخراج من: أن عمر لما قد أتى أجله، أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله: «أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم» (الغزالي، 2005، ص.41).

ثم إن المسيحيين أنفسهم يعترفون بهذا التسامح الذي مارسه الرسول، ﷺ، وأوصى به أتباعه، نذكر من ذلك شهادة المؤرخ الكبير **أرنولد توينبي** *Toynbee* الذي يقول:

«وثمة على الأقل، حالة نابهة الذكر لهذا التسامح المنشود، يفرضها نبي على أتباعه وهو في موضعه الجليل، فإن محمداً قد أمر أتباعه بالتسامح الديني تجاه اليهود والمسيحيين الذين خضعوا سياسياً للحكم الإسلامي، **وقدم محمد لقاعدة التسامح** تفسيراً قوامه أن أفراد هاتين الجماعتين الدينيتين غير المسلمتين، هم أهل كتاب كالمسلمين أنفسهم، **وليس أدّل على روح التسامح** التي بعثت الحياة في الإسلام منذ بدايته،من تطبيق المسلمين مبدأ التسامح الديني على أتباع زرادشت، الذين خضعوا للحكم الإسلامي وإن لم يقل بذلك الرسول الكريم نفسه» (توينبي، 1967، ص: 42).

والشهادة نفسها يدلي بها الفيلسوف راسل، الذي أشار إلى أن الرسول ﷺ أوجب على المسلمين نشر الإسلام، وفتح العالم بشرط «ألا يسمح خلال ذلك باضطهاد المسيحيين واليهود أو الزرادشتيين، وهم أهل الكتاب كما يسميهم القرآن، أي أولئك الذين اتبعوا تعاليم كتاب من الكتب المنزلة» (1968، ص: 186).

وحتى لو رجعنا إلى بعض الشهادات المسيحية في العهد الإسلامي الأول، لوجدنا مثل هذا الإطراء على التسامح الديني الإسلامي نحو الأديان، من ذلك ما ذكره **س. ترتون** مؤلف كتاب «أهل الذمة في الإسلام» قائلاً:

«وفي الأخبار النصرانية شهادة تؤيد هذا القول، وهي شهادة البطريرك «عيشويابه» الذي تولى منصبه 647-657؛ إذ كتب يقول: إن العرب الذين مكّنهم الرّب من السيطرة على العالم، يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملّتنا، ويوقرون قديسينا وقسيسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا» (نقلاً عن الغزالي، 2005، ص. 41).

على العكس تماماً من المسيحيين الذين عرفوا بالتعصب الديني، وبدؤوا الهجوم على الإسلام، واتهامه بأبشع الصفات، من ذلك أنه انتشر بالسيف والعنف .

عندما نرجع إلى القتال الذي حدث في عهد الرسول؛ أي المواجهة التي حدثت بين مشركي مكة ويهود يثرب من جهة، وبين المسلمين من جهة أخرى، نجد أنه معروف

وثابت تاريخياً، أن العرب المشركين واليهود، نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، وهذا يوجب القتال في أي شريعة أو قانون، ثم بعد ذلك تم فتح مكة والمسلمون في أوج قوتهم، وكفار قريش في قمة ضعفهم، لم يدفع ذلك بالمسلمين إلى الانتقام، بل قيل لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وقيل «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن...». كذلك بالنسبة للقتال الذي حدث مع دولتي الفرس والروم، فكلاهما أهان الإسلام والمسلمين، وكلاهما بدأ يستعد لقتال المسلمين، ثم إن إمبراطور الروم أمر بقتل مبعوث الرسول ﷺ، وهذا مخالف لكل أعراف احترام الرسل ومعاملتهم، وعدم التعرض إليهم. والشيء نفسه يقال عن الفرس «فقد أرسل ملكهم كسرى إلى واليه على اليمن يطلب منه قتال الرسول ﷺ، وإرسال رأسه إذا لم يرجع عما يدعو إليه» (علي، 1978، ص. 58)، فكان هذا رده على دعوة الإسلام بعد أن مزّق الرسالة.

أي عاقل يمنطق الأحداث، أكيد سيقول لابد من رد الإهانة والاستعداد للهجوم على غرار الخصم، غير أن المسلمين الفاتحين لهذه البلاد، لم يجبروا أهلها على اعتناق الإسلام، وهذا طاعة للأمر الإلهي ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (البقرة: 256).

ثم لننظر إلى ما حدث بموضوعية أكثر، هل كل بلاد وصلها الإسلام، تحقق ذلك عن طريق الفتح أو الغزو كما يفضل البعض؟

إن التاريخ إلى جانب ذكره لبلدان دخلها الإسلام عن طريق الفتوحات، يذكر بلداناً أخرى أسلمت عن طريق التجار المسلمين لا غير، فالإسلام كان «ينتشر بقوته الذاتية ومبادئه القوية، عن طريق التجار المسلمين، الذين رأى فيهم أصحاب تلك البلاد الأمانة والورع والتقوى، وكانوا يشاهدونهم وهم يقومون بشعائر دينهم، فيسألون عن هذا الدين فيشرحونه لهم، ويقتنعون هم به... لدرجة أن هناك دولاً بأكملها أسلمت دون أن يدخلها جيش المسلمين، ومنها –على سبيل المثال– التي أسلمت جميعها بمن فيهم ملك البلاد على يد رجل تاجر من المسلمين» (علي، 1978، ص. 60).

وفي مقابل انتشار الإسلام وامتداده باعتباره دعوة للعالمين، يحق لنا أن نتساءل: كيف انتشرت المسيحية وهي الدعوة المحدودة في أصلها؟ بل كيف يعمل المنصّرون

على نشرها حالياً في عالمنا الإسلامي، وهي التي عرفت الرفض والنفور في ربوع الحجاز، وبين العرب الذين لم يستسغ أغلبهم عقائد التثليث والتجسد والكفارة؟

هذا يقودنا للحديث عما يعرف بالتنصير أو التبشير، الذي مورس بعد صلب المسيح وعدم عودته المنتظرة كما رأينا مع التلاميذ أو مع بولس، لكن بعد مجيء الإسلام وانتشاره، وتحول آلاف المسيحيين إلى الدين الجديد، جن جنون رجال الدين المسيحي لهذا التحول، وبدؤوا يؤسسون لمشروعهم التنصيري هذا، علماً كاملاً وترسانة من المجندين، وهو ما يعرف بعلم البعاثة أو الإرساليات، الذي يقوم بمهمة التبشير.

المبحث الرابع

التنصير في العالم الإسلامي .. البداية والتطورات

ربما «أصدق ترجمة لكلمة تنصير هي *Evangélisation*؛ أي حمل الناس بصورة أو بأخرى كأفراد أو كجماعات من عقيدة وثنية، أو إسلامية، أو بوذية، أو غيرها إلى العقيدة المسيحية» (الكعاك، 1973، ص. 1133)؛ لأن كلمة «إنجيل» لا تعني سوى «البشارة *Message de joie*»، ولكي يُحمل الناس على اعتناق المسيحية، أسس علم مستقل بموضوعه ومناهجه يساعد في تحقيق هذا الهدف، ويسمى «التخطيط التبشيري *Missiologie*، ويجوز أن نسميه البعاثة كصناعة بأصول ومنهاج البعثات التبشيرية» (الكعاك، 1973، ص. 1133).

من جهة أخرى، نؤكد أن كلمة التبشير تستخدم بدل التنصير، في مختلف المراجع والأدبيات المتداولة عند الطرف المسيحي بداهة، ولكن أيضا عند الكثير من المؤلفين والمترجمين المسلمين؛ أمثال: علال الفاسي، عماد شرف، إبراهيم سليمان الجبهان، عبد الجليل التميمي، أحمد عبد الوهاب وغيرهم[1]، الذين فضّلوا الالتزام بالمصطلح المسيحي كما هو؛ أي التبشير بدل التنصير، ومنه يأتي تفضيل القول رجل مبشر بدلاً من القول منصّر؛ لأنه يقدم نفسه مبشراً بكلمة المسيح.

أما من جهتنا، فنشير إلى أننا لن ندخل في الجدل حول أي المصطلحين أصح، وإنما سنستخدم كلاً من التنصير والتبشير معاً وبالمعنى نفسه؛ نظراً لترادفهما في المعنى المتداول من جهة، ولاستخدامهما معاً في مصادر البحث ومراجعه من جهة أخرى، دون الدخول في تفاصيل لغوية تؤدي إلى تفضيل أحدهما على الآخر، فهذا لا يدخل في اهتمامات البحث وأهدافه، وإنما يأتي تركيزنا على العمل التنصيري أو التبشيري الذي يستهدف العالم الإسلامي، الذي يتقاطع في مهمته مع مفاهيم وتخصصات أخرى مختلفة، لكن ذات صلة وطيدة، كالاستشراق والاستعمار، ويتضح ذلك فيما يأتي:

(1) ينظر قائمة المراجع المرفقة بالبحث، حيث تتضمن جميع هذه الأسماء وعناوين مؤلفاتهم.

1- تاريخ التنصير (التبشير)

ترجع أغلب الدراسات المختصة، بما فيها الصادرة عن المسيحيين القائمين على التبشير[2]، نشأة علم التبشير إلى الإسباني **ريمون لول**، وهذا بعد فشل الحروب الصليبية. وهو ما يتفق مع ما ذكره أحد الدارسين قائلاً عن التنصير:

> «(جريشة، 1986، ص. 28)، لكن بوسائل غير السلاح والحرب، إنها وسائل علمية بالدرجة الأولى. لكن نجد من يخالف هذا الرأي، راداً نشأة التنصير إلى المراحل الأولى للمسيحية؛ أي أنه علم قديم عند النصارى قام به الحواريون *Apôtres* أصحاب عيسى، ونظمته البابوية؛ باعتبار أن وراثة القيام بالدعوة التبشيرية النصرانية، راجع إلى الكرسي الرسولي*Saint siège*؛ أي إلى كرسي الرسول *Apôtre* بطرس الذي يجلس عليه البابا، ويقوم بجميع الوظائف التي يقتضيها، وفي مقدمتها التبشير وتنظيمه» (الكعاك، 1973، ص. 1134).

هذا الطرح يرد تاريخ التبشير إلى ما قبل الإسلام، وهو افتراض يجد قبولاً من زاوية أخرى غير علاقته بالإسلام؛ لأنه فعلاً بعد صلب المسيح كما يعتقد النصارى وظهور الكنيسة، سيطر الاعتقاد بأن دعوته وبشارته عالمية، ولا تقتصر على «خراف بني إسرائيل الضالة»، كما ورد على لسان المسيح، عليه السلام؛ ومن ثم انطلق الأتباع في مختلف الأمصار يبشرون بكلمة المسيح، ورسائل الإنجيل تثبت هذا الفرض. هذا التبشير تم قبل الإسلام وهو مختلف تماماً في وسائله وحتى أهدافه، لكن إذا ربطنا التبشير كعمل منظم مؤسساتي انطلق بعد مجيء الإسلام، فالأرجح أن يكون نشأ فعلاً في أعقاب الحروب الصليبية، فبعد الهزيمة، فكّر رجال الدين والسياسة والحرب والفكر (المستشرقون منهم خاصة) في إيجاد وسائل بديلة فكان التبشير، كما اصطلحوا عليه (دريس، 2011).

---

(2) ينظر في شاتليه، أ. ل. (1980). *الغارة على العالم الإسلامي* (ط2). ترجمة محب الدين الخطيب وساعد اليافي، جدة: منشورات العصر الحديث، يذكر فيه المؤلف: تاريخ التبشير ومختلف الجمعيات والإرساليات في كل القارات، مقيماً نشاطها، كذلك يقدّم أرقاماً للمسلمين الذين تنصروا، خاصة الصفحات من 27–45.

وفي محاولة تحديده لبدايات التنصّير في العالم الإسلامي يذكر **أحمد سعد الدين البساطي**، اختلاف الآراء بشأن هذه القضية؛ حيث يرصد لنا خمسة آراء مختلفة هي على التوالي: (نقلاً عن علي، 1987، ص.ص. 16–22).

■ الرأي الأول

يذهب إلى أن ملك فرنسا لويس التاسع، عندما أسر بالمنصورة إثر فشل حملته الصليبية، فكّر بعمق في السياسة التي يجدر على الغرب انتهاجها إزاء المسلمين، وقد انتهى به تفكيره هذا إلى قناعة، مفادها أنه لم يعد في وسع فرنسا مواجهة الإسلام وحدها، وأن هذا العبء لابد أن تقوم به أوروبا كلها لتضييق الخناق على الإسلام، ثم القضاء عليه؛ مما يكفل لها التخلص من العائق الذي يحول دون تملكها لآسيا وإفريقيا. وذلك لن يكون إلا بتحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية. وهذا يعني أن بدايات التنصير عند أنصار هذا الرأي إنما تعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وتحديداً بعد عام 1250م؛ أي عقب عودة لويس التاسع إلى بلاده بعد أن فك المسلمون أسره.

■ الرأي الثاني

يذهب إلى أن التنصير في البلاد الإسلامية قد بدأ في الربع الأول من القرن 14 للميلاد، بعد المؤتمر الكنسي الذي عقده قساوسة أوروبا في فيينا 1311/1312، وفيه قرروا إرسال بعثات نصرانية إلى البلاد الإسلامية لتحويل المسلمين وغيرهم إلى نصارى.

■ الرأي الثالث

يذهب إلى أن مراكز التنصير بدأت عملها بجزيرة مالطة في أواخر القرن 16 للميلاد، واعتبرت هذه الجزيرة قاعدة هجوم على الشرق الإسلامي كله.

■ الرأي الرابع

يذهب إلى أن التنصير في البلاد الإسلامية قد بدأ في القرن 17 للميلاد، مستندين

في ذلك إلى تصريحات القس اليسوعي الفرنسي ميليز، في كتابه عن الحروب الصليبية؛ حيث يقول: «إن الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن 17 لا تزال مستمرة إلى أيامنا. إن الرهبان الفرنسيين والراهبات الفرنسيات، لا يزالون كثيرين في الشرق ...ولقد احتفظت فرنسا طويلاً بروح الحروب الصليبية، وبالحنين إلى تلك الحروب حية في نفسها، وكثيراً ما فكر ملوكها بحملة صليبية جديدة».

■ الرأي الخامس

يذهب إلى أن التنصير في البلاد الإسلامية قد بدأ مع مطلع القرن 19 للميلاد؛ وذلك لأن قوى التنصير قد وجدت الطريق أمامها مفتوحاً وميسراً بفضل ما وفره لها النفوذ الاستعماري من امتيازات أجنبية ونفوذ القناصل، وسيطرة على الحكام العرب.

واستناداً إلى ما سبق يمكننا القول: إن حركة التنصير في العالم الإسلامي قد بدأت في القرن 13 للميلاد بعد عودة «لويس التاسع» إلى بلاده، ثم نمت وترعرعت بعد ذلك، ووصلت إلى أوجها مع مطلع القرن التاسع عشر بفضل ما وفرته لها قوى المستعمر من عوامل مشجعة.

ومهما تنوعت الآراء في تحديد تاريخ انطلاق التنصير كعمل مؤسساتي منظم، فإن المؤكد أنه ما كان لينطلق إذا لم تعد له العدة اللازمة، فجاءت مدارس البعاثة وتطورت، حتى صارت جامعات متخصصة.

2 - مدارس إعداد المنصرين «المبشرين»

بدأ التفكير في البرامج والمناهج والمدارس الخاصة بالتنصير، بل وتحميس الناس لبعث أولادهم لهذه المدارس، حتى يتخرجوا مبشرين بكلمة المسيح. وأول خطوة في هذا المشروع الضخم، كانت تعلم وتعليم لغات الشعوب التي سيرسل إليها المبشرون، اللغات الأصلية، كالعربية والصينية والهندية والمالوية واليابانية واللهجات المختلفة، للاندساس بين القبائل الإفريقية السوداء والبيضاء (الكعاك، 1973).

وبديهي أن يتبع ذلك تأليف كتب تخص النحو والقواعد وتاريخ اللغات ثم الشعوب، وهنا تداخل عمل المبشر أي المنصّر مع المستشرق، بل غالباً ما كانا شخصاً واحداً يقوم بالمهمتين معاً: فهو يدرس ويتقصى بروح الباحث المستشرق، ليقوم بتوظيف ما وصل إليه من نتائج بروح المبشّر، بعد أن تمكّن من معرفة الثغرات ونقاط الضعف والقوة، وهذا يقودنا إلى الحديث عن عملية إعداد المبشرين.

إن مهمة صعبة وخطيرة كالتبشير، تستوجب إعداد رجال ونساء مؤهلين للقيام بها، وفعلاً أعدّت المدارس والبرامج لذلك منذ بداية التخطيط التبشيري، وكان المبشّر يُلقن القناعة الآتية: «من أدخل شخصاً غير مسيحي في المسيحية ضمن الجنة»؛ مما أدى إلى ارتفاع عدد المقبلين على هذا العمل، الذين كانوا يتلقّون معلومات عن بلاد الشرق يغلب عليها الزيف والتشويه، بحيث

> «يدرس الذين يريدون أن يعملوا في التبشير مناهج خاصة، مبنية على تفهمهم روح الشرق. توجد سياسة تهيمن على المنهاج، هي تصوير الشرق بصورة من التأخر والسوء تحمل طالب التبشير على أن يندفع في مهمته اندفاعاً أعمى، وقد أوجدت مدارس لهذه المهمة منذ زمن بعيد، في روسيا وفي باريس وفي طليطلة بإسبانيا، أضافت إلى مناهجها تدريباً عسكرياً للتبشير بالقوة» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 47).

وتضافر عمل هؤلاء مع سلك الرهبنة الذي قام بنشاطات تبشيرية واسعة منذ أوائل القرن الثالث عشر. ولم يدّخر المبشرون جهداً في استغلال كل الفرص التي تمكن من التبشير، فكان الطب والتعليم، والمساعدات الإنسانية، والجمعيات الرياضية، والنوادي... جميعها وسائل تصلح للتبشير، مع تأكيد **ضرورة تجنب المجادلات اللاهوتية**، والتركيز على مناقشة المسائل الاجتماعية الإنسانية والاقتصادية. (دريس، 2011). وفي هذا يقول محمد الغزالي:

> « في بقاع كثيرة من دار الإسلام وجد البائسون، ووجد الأغنياء المستعلون! وقد استغل التنصير هذا التفاوت لمصلحته! لاسيما بعد تلقّي تعليمات مسدّدة أن يبتعد عن الجدل الديني، وأن يكتفي مثلاً بتقديم العون الصحي والاجتماعي للمحتاجين! مؤكداً لصاحبه أنه عون مجرد من «يسوع» الذي يجير المستجيرين ويعطف على المساكين...» (الغزالي، 1992، ص. 115).

وبتعبير آخر:

«كان المبشرون والمبشرات يتقدّمون إلى الإنسانية بوجه من فعل الخير والسهر على المتألمين بينما هم ينفذون من خلال هذه الآلام المبرّحة إلى طرق جديدة للتبشير. ومع أنهم لم ينجحوا إلا قليلاً، فإنهم أدخلوا إلى نفوس الكثيرين آلاماً جديدة كثيرة، ووصموا الضمير الإنساني بالنفاق» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 49).

لكن، لمتسائل أن يسأل:

ألا يحتاج هذا الإعداد للتمويل المالي؟ من يموّل هذه المؤسسات التنصيرية الضخمة التي تجوب العالم وتحتاج إلى أموال طائلة في ذلك؟

إن المرء ليستغرب إذا علم أن التمويل يأتي من مؤسسات الدول العلمانية، التي حاربت المسيحية في عقر دارها، وإنها لمفارقة عجيبة أن تساعد الدول والمؤسسات العلمانية رجال الدين المسيحي؟!

إنّ هذه المساعدة تكشف بكل بساطة عن مدى علاقة التنصير بتحقيق المصالح الإمبريالية للدول الغربية، بل عن علاقته بالموجات الاستعمارية أيضاً. (دريس، 2011).

فمثلاً فرنسا أول دولة علمانية في التاريخ، نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج، إن اليسوعيين المطرودين من فرنسا هم خصوم فرنسا في الداخل، وأصدقاؤها الحميميون في مستعمراتها (خالدي وفروخ، 1986). السلوك نفسه سلكته بريطانيا، إيطاليا، أمريكا وحتى روسيا، وهذا قليل من كثير، يكشف أن الأهداف الحقيقية للتنصير لم تعد العمل على نشر المسيحية والروح الدينية والإيمان بالمسيح، بقدر ما تهدف إلى تحقيق مآرب الدول الاستعمارية.

وبما أن عملية التنصير كما أشرنا استندت إلى نظام تعليمي، تشرف عليه مؤسسات وهيئات علمية كبرى، وتصرف عليه ميزانيات ضخمة، فقد عرف هذا العلم تطورات مختلفة؛ بحيث يجري المبشرون مراجعات وتقييمات لما تم إنجازه،

على أساسها توضع خطط جديدة في عملية التنصير، حتى يتم تحقيق الأهداف المرجوة منه. ومنه يمكن أن نحدد المراحل الكبرى التي عرفها علم التبشير أو البعاثة أو الإرساليات التبشيرية.

3 - مراحل التنصير «التبشير»

قطع التبشير مراحل وأشواطاً عديدة، المسؤولون عليه يحاولون دائماً تقييم مدى النجاح أو الفشل في الأعمال المنجزة. وبما أن التبشير استهدف في المقام الأول الإسلام والمسلمين، فإننا نحاول تقييم المراحل التي قطعها قياساً على نشاطه داخل المجتمعات الإسلامية، وهنا نميز بين ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى

استهدفت تحويل المسلمين إلى مسيحيين، سواء بمجادلتهم أو تشكيكهم في عقيدتهم أو باستخدام القوة والتهديد وحتى الرشوة، المهم كان الهدف منصباً على أن يصير المسلم مسيحياً، وقد انطلقت هذه المرحلة مع بداية التبشير عقب الحروب الصليبية (جريشة، 1986).

لكن تُرى هل نجح المبشرون في مسعاهم هذا؟

في الحقيقة لا وجود لأي نجاح يُذكر، وإن حدث فهو محدود جداً، وهذا ما وقف عليه التقييم الذي تم أثناء انعقاد أول مؤتمر عالمي يجمع إرساليات التبشير، للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين، الذي انعقد تحديداً بتاريخ 4 أفريل 1906 بالقاهرة، تحت إشراف القسيس **صموئيل زويمر** (شاتليه، 1980).

إذن. من الصعوبة تنصير المسلمين، بل إن الدخول في النصرانية أو الردة أو الكفر سواء بالنسبة للمسلمين، وفي هذا المقام يستشهد **إيتين دينيه** المسيحي الذي أسلم، على لسان الكونت **دي كاسترا** قائلاً:

> «الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا نجد فيه مرتدين، ومن العسير بل من المحال أن نتصور صورة دقيقة للحالة النفسية التي يكون عليها المسلم

إذا ما حاول أحد المسيحيين أن يقنعه باعتناق المسيحية، لعلنا نجد صورة مقاربة شيئاً ما لهذا، إذا ما تخيلنا إحساسات وشعور رجل مسيحي مستنير، يحاول أحد الوثنيين أن يجتذبه إلى اعتناق خرافاته المرذولة» (دينيه وإبراهيم، د ت، ص.ص. 271–272) والنص لا يحتاج إلى تعليق.

بعد فشل تحقيق هذا الهدف– تنصير المسلمين– أعطيت التعليمات بتنحيته في أعمال المرحلة التالية ووضع أهداف أخرى.

- المرحلة الثانية

هنا تغيرت الإستراتيجية، من تمسيح المسلمين إلى العمل على إخراجهم من الإسلام (جريشة، 1986، ص: 30)، ليدخلوا في أي مذهب، أو دين آخر، بل حتى أن يتحولوا إلى الإلحاد، فإن هذا ليس مهمّاً، كذلك العمل على إثارة الشك فيما يعتقده المسلم، وقد ساعد على ذلك وجود متغيرات جديدة في البيئة الإسلامية التي صاحبها التخلف والاستعمار، وعلى الرغم من الجهود التي بُذلت لتحقيق «الإخراج من الإسلام» فإنها لم تحقق نجاًحا ملموساً، ففكر المسؤولون عن التبشير في وسيلة أخرى.

- المرحلة الثالثة

بعد أن اقتنع المبشرون بأن الخروج عن الإسلام هكذا، بصورة واضحة وصريحة أمر صعب، خططوا لما يعرف «بالإبعاد عن الإسلام»؛ أي أن يبقى المسلم على دينه، لكنه بعيد عنه في الوقت نفسه فكيف يتحقق ذلك؟

بعد أن تأكد المبشرون «أن الإخراج من الإسلام كلية صعب صعوبة التنصير؛ لأنه يستوي في حس المسلم أن يقال له: إنك صرت نصرانياً أو يقال له: إنك صرت مرتداً... ومن ثم كانت زحزحة عن الإخراج إلى الإبعاد... ليتزحزح المسلم عن الالتزام الكامل إلى الالتزام النصفي أو الرُبعي... فبدلاً من أن يقيم الصلوات جميعاً فلا بأس أن يكتفي برمضان أو بجزء منه...» (جريشة، 1986 ، ص. 33).

وطبعاً لا يمكن أن تتحقق هذه الأهداف –التي تحققت فعلاً على نطاق واسع– إذا لم يتم التمهيد لها بوسائل، أهمها: العلم والثقافة الغربيان، خاصة عن طريق طلبة البعثات التكوينية بالخارج؛ حيث عاد أغلب هؤلاء المتكوّنين أنصاف مسلمين أو أشباه مسلمين، وتقلدوا المناصب العليا في الدولة، وشرعوا في تطبيق المبادئ التي تلقوها عن أساتذتهم المستشرقين خاصة. وبهذا أفلح المبشرون فعلاً في تمرير الكثير من خططهم، بعد أن فشلوا في تنصير المسلمين.

هذا ما خرج به مؤتمر القاهرة الذي سبقت الإشارة إليه، حيث قال المستشرق زويمر المشرف على أعمال المؤتمر ما يلي:

«إن أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مائة سنة، كانت حجة لاهوتية دينية محضة، أما الآن؛ فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية، وكان يُنظر في سابق الأيام إلى المبشرين نظرة قوم يشنون حرباً صليبية ترمي إلى التنصير فقط، فتحولت الأفكار وصارت الأعمال التبشيرية تشفّ عن فكرة الإصلاح الاجتماعي، وعن رفع الشعوب غير المسيحية» (شاتلييه، 1980، ص. 150).

وفعلاً فقد تحسنت النظرة إلى هؤلاء المبشرين المنصرين من قبل المسلمين، الذين بات كثير منهم يفضل إدخال أبنائه إلى مدارس الإرساليات أو الآباء البيض؛ للقناعة بأنها أقدر على تخريج أبنائهم أكثر وعياً وإدراكاً للأمور، متجاهلين خطورة التعليم بهذه المدارس، مركزين على مزاياه فقط.

وهذه **بعض توصيات مؤتمر القاهرة** آثرنا إدراجها كنماذج نظراً لدلالتها: (شاتلييه، 1980).

- يجب ألا تثير نزاعاً مع مسلم.
- يجب ألا يُحرّض مسلم على الموافقة والتسليم بمبادئ النصرانية إلا عرضاً، وبعد أن يشعر المبشّر بأن الشروط الطبيعية والعقلية والروحية قد توافرت في ذلك المسلم.

- إذا حدث سوء تفاهم حول الدين المسيحي، يجب أن يُزال في الحال ولو أفضى الأمر إلى المناقشة.

وهذا قليل من كثير يبرز مدى أهمية هذا العلم –علم التبشير– وخطورته على المجتمع الإسلامي؛ لأن الحقد مازال خلفية أساسية للتنصير.

وعموماً التبشير مر بمراحل، وعرف تطورات ومراجعات، كذلك نميز فيه أنواعاً مختلفة، بحسب الفئة الموجه إليها؛ رجال، نساء، شباب، كبار، ثقافة الشعوب، طبيعتها، مدى تشددها وانفتاحها، مدى تمسكها بالإسلام أو ابتعادها عنه...يعني بحسب العينة المستهدفة تكون خطة المبشر.

- أنواع التبشير

التبشير ليس واحداً وإنما يتخذ ألواناً مختلفة، أهمها:

(أ) **التبشير الصريح**: مورس سابقاً، وكان يعتمد الجدل و المناظرة للإقناع، وبعد هزيمته تطور إلى تبشير يعتمد على بث الشك، وذلك بقلب الحقائق والتحقير من شأن الحضارة الإسلامية، وفعلاً نجح هذا الأسلوب في التشكيك في قدرة الإسلام، ولغة القرآن على استيعاب مفاهيم الحضارة الغربية المعاصرة وعلومها؛ بدليل واقع التعليم الذي تعرفه بلدان إسلامية كثيرة، تستورد برامج البلدان الغربية ولغتها، خاصة الدول التي تبنت العلمانية، كتركيا وتونس؛ حيث تضمنت برامجها العلمية نظريات وأيديولوجيات مرفوضة من قبل المسلمين، وكان لها تأثير كبير على الشباب؛ حيث ساهمت في تغيير قناعته الإسلامية والإقبال على القيم الغربية المستندة إلى العلمانية وقيم الحداثة (الشرفي، 1968).

(ب) **التبشير المُقنّع**: يتخذ الطب والمساعدة الاجتماعية والإغاثة، والتعليم والروح الرياضية، والبرامج الفنية .. غطاء له. هذا التنصير أنفع من السابق في رد المسلم عن إسلامه، المسلم الذي يقف مبهوراً عاجزاً أمام إنجازات الغرب العلماني التي تجاوزته كثيراً. هذه الصدمة الحضارية جعلت الكثير من المسلمين يفقدون ثقتهم في أنفسهم وحضارتهم، وحتى في دينهم الإسلام؛ حيث أقنعهم البعض أنه

سبب المشكلات والمعاناة والتخلف والضعف... والمغلوب مولع بتقليد الغالب، وهكذا يتبين أن للتبشير ظاهراً وباطناً (دريس، 2011).

هذه توطئة عن التنصير، كتكوين، وإعداد، وتنفيذ غاية في التخطيط والدقة والأهمية، يخضع لمنهج صارم، اتضح لنا أنه ليس بالعمل المستقل، فهو لا يعود لدائرة الشؤون الدينية المسيحية فقط، وإنما تتضافر دوائر وتخصصات عديدة على إنجاحه، أكثرها لفتاً للانتباه دائرتا الاستعمار والاستشراق كأنموذج عن الممارسات المشبوهة للمنصرين.

4 - تحالفات التنصير لتحقيق أهدافه

تحالف المنصرون مع دوائر وأطراف عديدة لتحقيق أهدافهم وعلى رأسها الإطاحة بالإسلام، نذكر منها:

(أ) تحالف التنصير مع دوائر الاحتلال

هو أمر كشفته الدراسات الحديثة خاصة، فلم يكن يُتصور أن رجال الدّين يخدمون مصالح الدوائر الاستعمارية الإمبريالية، ويتحولون عن رسالتهم السامية؛ ليخدموا مصالح من أطاحوا بهم وألقوا بهم على الهامش، بل تم إقصاؤهم من أي نشاط بعد إبعادهم من معترك الحياة، ووصفهم بأبشع الصفات بالنظر إلى تاريخهم الذي أساء إليهم خاصة في الحقبة الأوروبية الوسيطة.

إن علاقة النشاط التبشيري بالمؤسسات الاستعمارية العسكرية، كشفته تصريحات الكثير من رجال الدين المسيحي وجنرالات الحرب، ومع ذلك «إن ارتباط الكنيسة بالاستعمار ما يزال في حاجة إلى دراسات علمية مركزّة، تعتمد خاصة وثائق الكنيسة من جهة ووثائق الجهة الاستعمارية من جهة أخرى» كما يقول الباحث الجنحاني في محاضرته(1973، ص. 1053)، التي قدم فيها شواهد تاريخية عن التنصير الذي تعرضت له دول المغرب العربي، وأخطرها الذي وقع بالجزائر، لذا نفضل الحديث عن التبشير وتحالفه مع القوى الاستعمارية ببلاد المغرب العربي أولاً.

كُشف عن هذا التعاون بين جنرالات العسكر ورجال الدين في كل الحملات الاحتلالية التي مست بلدان العالم الإسلامي؛ مثال ذلك ما حدث عند احتلال فرنسا للجزائر؛ حيث يذكر الباحث التميمي الجهود التاريخية التي كانت تهدف للتبشير، والمدعّمة عسكرياً والتي شارك فيها الملك شارل العاشر ووزرائه قائلاً:

«إنهم كانوا يأملون أن يعقب الانتصار الحربي على الجزائر، إرجاعها إلى حظيرة الدين المسيحي، وفاء وتخليداً للقديس *أوغسطينوس St. Augustin* وسانت سيبريان *St. Cypirien*، (1973، ص. 955)، وطبعاً لا يخفى قدر وموقع القديس **أوغسطين** في المسيحية الكاثوليكية، المولود بالجزائر، وعلى هذا الأساس يجب أن تتمسح بلاد أو موطن **أوغسطين**! (دريس، 2011، ص. 135).

كذلك ذكر **التميمي**: «وشارك وزير الحربية، رئيس وزراء فرنسا الذي خلع على الحملة الفرنسية على الجزائر صبغة صليبية، معلناً أن سقوط الجزائر في أيدي الفرنسيين، سيجلب أجلّ الخدمات وأكبر الفوائد للمسيحية جمعاء» (1973، ص.ص. 955–956)، على أساس أهمية الجزائر وموقعها الإستراتيجي على مستوى القارة السمراء وحوض البحر المتوسط.

كذلك لا يُجهل أمر الراهب **شارل دوفوكو** المتجول في الصحراء الجزائرية، الذي كان يعمل جاسوساً لصالح الجهاز العسكري الفرنسي، وعندما افتضح أمره لقي حتفه على يد التوارق، الذين كانوا يجلّونه؛ لاعتقادهم أنه زاهد قصد الصحراء للخلوة والتعبد... يُعلق **علال الفاسي** على **دوفوكو** بقوله:

«ومن هذا العمل الذي صاحب **دوفوكو** غاية التبشير الاستعماري في الشمال الإفريقي، فهذا **القديس الاستعماري** بدأ بالريادة السرية والتخطيطات الطبوغرافية، وعاش يهودياً في صورته، **ولكنه يقوم مقام طابور عسكري بحاله، ومقام مراقب مدني، ومستشار فني للحكام الفرنسيين** في المناطق المحتلة. وقد اعتبر واقتنع وبذل جهده لإقناع حكومته، على أن تنصير المسلمين هو الوسيلة الوحيدة لتعيدهم لفرنسا بصفة دائمة» (1973، ص. 1105).

وقد ذكر ذلك **دوفوكو** نفسه معترفاً في مذكراته التي نشرت فيما بعد، والتي تنم عن حقد صليبي، والملاحظ أن دوفوكو ميز بين السكان العرب والبربر، معتقداً أن البربر أقرب للتنصير؛ لأنهم ينحدرون من سلالة طيبة! (دريس، ص: 136–137).

لقد حولت فرنسا المساجد الكبرى إلى كنائس بعد غلق الكنائس ببلادها، والتعليم العربي إلى فرنسي، والقضاء الشرعي إلى القانون الفرنسي، وكل هذا بدعم واستشارة رجل الدين حتى تسهل السيطرة على الشعب الجزائري.

والتعاون نفسه نجده بالمشرق العربي بين رجل الدين والمحتل، خاصة في سوريا ولبنان ومصر؛ فقد استغل المبشرون فترة الانتداب حيث تحكموا بالدول المنتدبة، وراحوا يختلقون المشكلات الدينية والقومية بين أبناء الوطن، بإتيانهم أعمالاً تستفز الشعور وتزيد البغضاء في القلوب، تلك البغضاء التي لا تنفجر أحياناً دينياً، وإن كانت تنفجر دائماً، بلا ريب سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وأدبياً (خالدي وفروخ، 1986، ص. 53)، وما حدث من مآسٍ في لبنان دليل وأنموذج على ذلك.

لقد عملت السياسة الاستعمارية بالتعاون مع النشاط التبشيري، على الفصل بين المسلمين والمسيحيين مواطني البلد الواحد منذ قرون، بل إن هذه السياسة «وضعت في لبنان خطاً فاصلاً ظاهراً ورسمياً، ثم حمّلت البلاد مشكلات كانت في غنى عنها. ولقد انتقد جميع الحكام والمؤرخين، فيما بعد، قسمة جبل لبنان قسمين مسيحياً ومسلماً» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 140)، والمسؤول في ذلك فرنسا ورجال دينها وعسكريوها؛ لهذا نجد اليوم وبعد ويلات الحرب الأهلية، يعد لبنان حكومة وأفراداً من أشد أنصار الحوار الديني، حتى يعرف الاستقرار والأخوة الوطنية التي ينشدها.

لقد أسهم المبشرون إلى جانب العسكريين الفرنسيين في انقسام لبنان وتشتته، هذا الشعب الذي يتشكل من طوائف متعددة مسلمة ومسيحية وغيرها، لكنها كانت تتعايش فيما بينها، وتعمل في مؤسسات ومصالح مشتركة دون أية مشكلات، لكن بوصول الانتداب الفرنسي، ونشر بعض المفاهيم القومية منها خاصة، ثارت النعرات، وبدأت الأمور تتغير.

وكان أكبر المشكلات طرحاً «**هوية لبنان**» نفسه، أيمكن عدّه بلداً ينتمي إلى القومية العربية بالدرجة الأولى؛ لأنه يحمل الكثير من خصائص الحضارة العربية، التي تعني أيضاً أنها إسلامية؛ من ثم من مصلحته أن ينتمي إلى الأمة العربية، أم أنه بلد ينتمي إلى الحضارة المسيحية بالدرجة الأولى؛ أي أوروبا اللاتينية، ويكون من مصلحته أن ينتمي إلى الغرب الأقوى كما يفضّل بعض اللبنانيين؟ (دريس، 2011).

> «إن اختيار اللبناني للغرب يثير إشكالاً آخر، فكيف يمكن أن يتقبل المسلمون اللبنانيون هذه السياسة التي تقوم على التبعية للغرب في الثقافة والتقاليد، وما السبيل لجعل النصف المسلم من سكان لبنان يقبل بتلك الرؤيا والسياسة اللتين لم تستهويا سوى نصفه المسيحي؟ كيف يمكن إنشاء دولة متعددة الطوائف، وقائمة على أساس المساواة مع احتفاظ المسيحيين بالسلطة العليا على السياسة فيها؟ وكيف يمكن تجنب ضرورة الاختيار بين العرب والغرب؟ هذه هي المآزق التي يجد القومي المسيحي اللبناني نفسه فيها» (حوراني، د ت، ص: 385) كما يقول أحد المسيحيين، وكذلك الأمر بالنسبة للقومي المسلم اللبناني.

إنها إشكالات تطرح نظرياً وعملياً، بل حتى على مستوى تعريف لبنان نفسه؛ حيث راح أنصار كل فريق يعرف بلده بشكل مختلف «وهكذا نشأ شعب وحيد من نوعه لا يمكن وصفه بتعابير غير التعابير الخاصة به» (حوراني، د ت).

وقد حاول الميثاق اللبناني الذي أسس عام 1943 حل هذه الإشكالات، مشترطاً من بين قوانينه أن يكون رئيس الدولة مسيحياً على أساس إحصاء فرنسا بأن عدد المسيحيين يمثل 53%، ومناصفة المجلس الوزاري بين المسلمين والمسيحيين، ولكنه ميثاق لم يصمد، وكانت الحرب الأهلية عام 1958 التي جرّت المآسي للمسيحيين والمسلمين، بل للشعب الواحد، ويذكر كتاب التبشير والاستعمار تفاصيل مهمة عما حدث في لبنان من فتنة حققت للدول الأجنبية هدفاً عظيماً حيث «انعقد في بيروت مؤتمر دولي حضره المفوض السلطاني مع خمسة من وكلاء الدول ومفوضيهم، أعني دولة إنجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا... وقرروا أن تكون

إدارة الجبل بواسطة متصرف مسيحي برضا الدول، هذا المتصرف (الحاكم) يجب أن يكون نصرانياً أوروبياً من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لا وطنياً مسلماً أو مسيحياً» (خالدي وفروخ، 1973، ص.ص. 138–143).

هذا ما جرّه التعاون بين التبشير والاستعمار، تبشير ظاهره نشر الإيمان بالله والعلم والحضارة، وباطنه ضرب مقوّمات الوحدة الإسلامية والعربية حتى تسهل السيطرة. وعندما افتُضح العمل التبشيري وتآمره، راح يغطي ويحمي نفسه –كما فعل البعض– بفكرة التسامح والحوار بين الأديان، لهذا رفض بعض مفكري الإسلام دعوة الحوار رابطاً بينه وبين التنصير (دريس، 2011).

ثم إن هناك عائقاً أكبر لا يمكن غض الطرف عنه، وهو موقف الكنيسة السلبي من قضية فلسطين. إن الموقف العدائي التاريخي بين اليهود والمسيحيين معروف، يعود لأسباب عقدية بالدرجة الأولى؛ أي اعتقاد المسيحيين أن اليهود هم من صلب المسيح، إلا أن هذا العداء لم يبق كما كان في الماضي، والصلح بين المتخاصمين أكثر من مُلاحظ، وهو أمر غير مرفوض مبدئياً؛ فاليهودية ديانة سماوية، ولها مكانتها والصلح معها أحسن من العداوة، لكن حينما يكون على حساب الطرف المسلم الذي يبجّل ويوّقر المسيح، عليه السلام، فإن الأمر يصبح محل ريبة وشك وتساؤل.

> الأحداث تجاوزت الشك إلى اليقين؛ فقد ثبت تعاون المبشرين مع اليهود ومع الصهيونية؛ «لأنهم كانوا يتفقون معها في عدائهم للعرب والمسلمين، ولم يُصرّ المبشرون على إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، إلا لأن إنشاءه يُضعف العرب إضعافاً شديداً أو يفتح أبواب فلسطين العربية أمام التبشير، وإلا لأن فلسطين إحدى نقاط الهجوم في العالم العربي الإسلامي» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 179).

وبدأ التمهيد لإنجاز هذا الهدف المتمثل في جمع اليهود في أرض فلسطين، وسيلة لنشر العرب –مسيحيين كانوا أو مسلمين– في مدارس التبشير والإرساليات بهدف استمالتهم، هنا يبرز تعاون المبشرين مع اليهود ضد المسلمين، ومع الحركة الصهيونية ثم مع الماسونية، تعاون يبرز التآمر من جهة و ضعف الكنيسة وتراجعها

من جهة أخرى، وهو خضوع لا مبرر له غير التخلي عن الرسالة المسيحية، وعن الإيمان بالله، وعن استمرار الحقد الصليبي اتجاه المسلمين، وعموماً، فإن الواقع يبين سيطرة اليهود على النصارى في كل المحافل والمناسبات، كما يبين نصرة النصارى لليهود ضد المسلمين في أي قضية تعرض (دريس، 2011).

فقد «استطاعت الماسونية أن تسيطر على الكنيسة وبعض أتباع المسيحية، وكان أكبر انتصاراتها اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بها، وكانت الكنيسة الكاثوليكية تنبذ كل فرد نصراني يثبت لديها اشتراكه في عضوية المحافل الماسونية وتسقط عنه الإيمان المسيحي باعتبار أن الماسونية عقيدة صهيونية يهودية، والغرض منها محاربة الأديان وتطويع المعتقدات الأخرى للسيطرة اليهودية، غير أنها ما لبثت أن خضعت لنفوذ الصهيونية» (الجندي، 1985، ص. 48).

وفي توزيع الأساقفة الكاثوليك في روما بياناً بالسماح للكاثوليك بالانضمام إلى المحافل الماسونية، دليل على استرداد النفوذ الصهيوني داخل الكنيسة، وكيف بدأ تهويد العقلية النصرانية، ومسخ تقليدها الديني (الجندي، 1985)، وهذا ما يعبر عنه بظاهرة «**تهويد النصارى**».

وللإنصاف والموضوعية، يجب التذكير أن بعض المسيحيين لا يتجاهلون قضية فلسطين، ويدركون جيداً الخطر اليهودي الصهيوني، وينصفون العرب في هذه المسألة، من ذلك ما وجدناه في مقال **جون كوربان** اللاهوتي المعروف الذي عبّر عن هذه القضية «بالشوكة الصهيونية»؛ حيث يقول:

«هذه الشوكة في قلب العالم العربي، هذا التلميح الذي يغطي حقائق مأساوية يقودنا بالتحديد لوجه من أوجه السيطرة. فمأساة فلسطين وخاصة القدس، والنتيجة الطبيعية التي خصت لبنان، إنها تشكل فرصة للتشويش داخل المعلومات، إن الصهيونية ظاهرة سياسية تنطلق من إيديولوجية دينية غريبة عن العقيدة اليهودية، الندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين (بيروت ماي 1970) والندوات الجهوية التي تبعتها بأوربا

وأمريكا... كان لها وعلى العكس كمبدأ أساسي، كشف الزيف والكذب اللذين كانا يريدان أن يغطيا وباعتبارات دينية الظاهرة السياسية الصهيونية» (Corbon,1985, p184).

وما يستشف من هذا الكلام وعي بحقيقة ما تعنيه الصهيونية، وأنها بعيدة كل البعد عن الأهداف النبيلة للدّين، لكن هذا الوعي المسيحي نسبي وضئيل، خاصة بعد ما تأكد التعاون بين رجال الدين المسيحي واليهود ضد الإسلام والمسلمين.

ومن هذا المنطلق كان رفض الحوار المسيحي الإسلامي، مادام موقف الكنيسة سلبياً[3] من القضية الجوهرية للعالم الإسلامي، وهي قضية فلسطين والقدس؛ لذا من الضروري الوقوف على علاقة الحوار الديني بالعمل التنصيري.

(ب) تحالف التنصير مع مؤسسات حوار الأديان

يقول أحد الرافضين المشككين لعملية الحوار، الذي دعت إليه الكنيسة في مؤتمر الفاتيكان الثاني 1965 رابطاً بينه وبين التنصير: «أعتقد أن هناك لوناً جديداً من السياسة التبشيرية، وتحطيم معالم الشخصية العربية الإسلامية... لا يقل خطراً عن سياسة التبشير القديمة، فهو يملك وسائل جديدة مقنعة ناجعة تمكّنه من التأثير، دون إثارة رد الفعل الذي حدث أيام الاستعمار» (الجنحاني، 1973، ص. 1073).

ويوضح أكثر قائلاً: «بصرف النظر عن معطيات الحوار وأساليبه، والشروط التي يجب أن تتوافر فيه ليتم، فإني أرى أنه يجب مقاومة محاولات الحوار هذه، الذي تحوم حول الكثير منها الشبهات، ويحيط بها الغموض» (الجنحاني، 1973، ص: 1073)، وهذه ليست بالرؤية الناتجة عن تعصب، بل رؤية صادرة عن تحليل لوقائع الماضي والحاضر، وتخوف من الحوار، له مبرراته الموضوعية.

فبعد فشل التبشير الكلاسيكي الصريح، نجح التبشير غير المباشر، المقنّع، الذي اتخذ من الحوار أحد الأقنعة، إلى جانب أقنعة الطب، التعليم،

(3) التوصيات التي خرج بها مؤتمر الحوار الذي انعقد بليبيا 1976 التي تخص السلام العالمي، رفض الطرف المسيحي التصويت والتوقيع على البنود التي تدين اليهود في فلسطين! انظر دورية إسلاميات– مسيحيات، العدد الثاني، 1976.

والرياضة، الفن... ومن هنا يمكن الرجوع بالحوار إلى ما قبل تصريح الفاتيكان الرسمي عام 1965م؛ لأن «الحوار بين المبشرين وبين أتباع الأديان غير المسيحيين أمر قديم، فإن عدداً كبيراً من المؤسسات الغربية، كالمدارس والنوادي وجمعيات الشبان والشابات وسائل لحوار –مستتر كثيراً أو قليلاً– وغاية هذا الحوار زعزعة العقائد الإسلامية على ألسنة أشخاص معروفين في قومهم، والحوار كالمعاهدات يظفر بالغنائم فيها من كان أقوى يداً و أرفع صوتاً» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 257).

ومما يؤسف عليه «أن نفراً قد حملهم تيار هذا الحوار حيث لا يريدون، وعلى كل فإن النتائج العملية لهذا الحوار لم تكن بعيدة الأثر في الهدف الذي نُصب لها؛ ذلك لأن المخلصين أدركوا أن هذا الحوار هو وسيلة جديدة من وسائل التبشير الديني السياسي معاً، ثم إن كثيراً من المخلصين كانوا يتتبعون الحركات العامة في العالم، فعلموا بأهداف هذا الحوار، أما الذين ليس لهم تتبع لما يجري في العالم؛ فقد ظنوا أن هذا الحوار فرصة لتثمين آرائهم وكانوا في ذلك مخطئين» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 257).

وكما لا يصح أن نعمم مثل هذه النظرة الصادرة عن موقف مخلص للإسلام، كذلك يجب عدم إجحاف حق المسيحيين المخلصين الذين يرفضون ممارسات التبشير المشوهة، أو بعض مجهودات الكنيسة التي تحاول إصلاح سبل التبشير المسيحي؛ حيث يقول **جورافسكي**:

«الحوار الذي أريد به أن يكون أسلوباً جديداً للتبشير المسيحي لم يعد كافياً على الإطلاق؛ حيث إن التحول الحاصل في توجه الكنيسة بالنسبة لموقفها من العالم، أدى بدوره إلى إعادة النظر فيما يخص مفهوم الرسالة المسيحية، ومهام التبشير المسيحي في الشرق، ويفضل اللاهوتيون الكاثوليك المعاصرون استعمال صيغة «الاهتداء إلى المسيح»، بدلاً من الصيغة القديمة «التحول إلى المسيحية» (1996، ص.ص. 170–171).

هذا عن التنصير الذي اتخذ من الحوار الديني مطية لتنفيذ مخططاته، لكنه يوجد من اتخذ من الاستشراق مطية لتحقيق مآربه التنصيرية أيضاً.

(ج) تحالف التنصير مع الاستشراق

تعاون آخر بين فئة المبشرين ورجال الدين المسيحي، مع فئة مثقفة مفكرة دارسة للشرق تُعرف **بالمستشرقين**. لقد وُظف هذا المصطلح بمعان عديدة؛ مما جعله يستخدم في غير الموضع اللائق به، فإذا أخذنا المعنى العام فإن كلمة استشراق: لغة آتية من الشرق ومن ثم أخذت هذا المعنى: تعلّم ودراسة علوم الشرق تمييزاً لها عن علوم الغرب. لكن الذي حدث فيما بعد، أن أصبح كل من يدرس معارف تخص الشرق أدباً كانت أو طباً أو فلكاً أو فلسفة أو تاريخاً... تطلق عليه تسمية «المستشرق»؛ ومن ثم تداخل مفهوم المستشرق مع مفهوم المؤرخ مثلاً الذي تخصص في دراسة تاريخ الشرق، أو مع عالم الاجتماع الدارس للمجتمعات الشرقية... لكن هذا الإطلاق العام بدأ يزول من الذهنيات، بعد أن بدت معالم الاستشراق وخصوصيته كعلم مستقل بموضوعه ومنهجه وأهدافه (النبهان، 2012).

فالاستشراق –كمصطلح– أصبح يطلق على نوع من الدراسات، التي يجب أن تستند إلى معلومات دقيقة جداً، **على أساسها تتحدد وجهات نظر وتبنى نظريات وفق إيديولوجية معينة تخدم مصالح الغرب السياسية، الاقتصادية، الدينية**... لتدرّس هذه النظريات ضمن برامج معينة للطلبة في الجامعات خاصة، بغرض تشكيل مُتخيّل غربي عن الإسلام والمسلمين، يخدم الصراع الحضاري بين الشرق والغرب (دريس، 2011).

أما عن تاريخ ظهوره؛ فقد سبق ظهوره التبشير، وأغلب الدراسات ترجع نشأته وظهوره مع انتشار الفتوحات الإسلامية، عندما وصل الإسلام إلى أوروبا، فكان هذا اللقاء الأول بداية لتعرّف الإسلام ولغته وحضارته، وقد لقي إعجاباً خاصة فيما يخص الإنتاج العلمي، بالنظر إلى التخلف الذي كانت تعانيه المجتمعات المسيحية، ولم يفوّت ملوك أوروبا الفرصة للاستفادة من علوم المسلمين، وكانت الخطوة لذلك إرسال البعثات إلى مراكز الإشعاع بجامعات قرطبة، طليطلة، صقلية... وفعلاً اطلع الطلبة هناك على علوم الإسلام وفنونه من طب وفلك ومنطق ورياضيات وفلسفة،

وهنا كانت الخطوة الأولى لما سُمي بالاستشراق[4] وهي خطوة لا غبار عليها، بما أنها أخذت صبغة علمية، والعلم قاسم مشترك بين الإنسانية جمعاء (الشرقاوي، 1993).

لكن تطور الأمر وأخذ منحى آخر فيما بعد، لقد كان من بين الطلبة رهباناً، وقد تأثر بعضهم بالإسلام لدرجة اعتناقه، أو رجوعهم إلى بلدانهم، وكلهم غضب على الكنيسة وممارساتها السلبية تجاه العقل والعلم، لكن البعض الآخر، خاصة رجال الدين المتعصبين، قلوبهم كانت تمتلئ حقداً أو خوفاً من أن تتحول شعوبهم إلى الإسلام.

ولتجنب ذلك اختاروا أسلوب التشويه والتلفيق والكذب؛ بهدف قلب الحقائق، وتقديم أبشع صورة عن الإسلام، وهكذا بدأت علاقة الاستشراق بالتنصير أو تحول المستشرق إلى منصّر أو مبشر (دريس، 2011).

وكما اتهم النشاط التبشيري بخدمة المصالح الاستعمارية وضرب الإسلام، فإن الاتهام نفسه وجّه للمستشرقين، الذين يفترض أن يكونوا علماء دارسين للإسلام ولغاته وثقافاته، ولا علاقة لهم بنصرة دين ما أو الهجوم على آخر، فالموضوعية العلمية تفرض عليهم نقل الحقيقة لا غير. لكن التاريخ والواقع يؤكدان غير ذلك، حتى إن بعض المستشرقين الشرفاء والنزهاء فضحوا أعمال زملائهم، التي غالت في الكذب والدسّ وقلب الحقائق.

إن المستشرق مطلع ودارس للإسلام بداهة، وبإمكانه أن يفيد في عملية الحوار، لكن للأسف بعضهم سلك سلوك المبشرين، متخذاً الحوار مطية لتمرير أفكار ونظريات وتأويلات غير صحيحة عن الإسلام إلى الذهنية الإسلامية نفسها، حتى يصبح المسلم ينظر لدينه وحضارته بمنظار أستاذه المستشرق، وهذا دس ومناورة (دريس، 2011).

---

(4) فضّل البعض أن يرجع بداية الاستشراق ونشأته الحقيقية إلى الفترة التي تم فيها «إنشاء أقسام علمية وكراسي أستاذية لدراسة اللغة العربية والإسلام في الجامعات الأوروبية الكبرى»، كما ذكر في كتاب: الشرقاوي، محمد عبد الله. (1993). الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي، ص. 07.

فئات كثيرة اهتمت بالإسلام ودرسته، بنوايا ودوافع مختلفة، لكن الفئة التي أطلق عليها اسم (المستشرقون)، هي التي كان لها النصيب الأوفر من الدراسات الإسلامية، ليس من ناحية كمها وكيفها فقط، ولكن من ناحية عمق تأثيرها في الأوساط الغربية والمسيحية خاصة؛ لأنها هي التي تشرّفت بتقديم الإسلام وتعريفه، وكل ما يمت بصلة للشرق الإسلامي، ونظراً لنفوذها الفكري الديني، فقد وجدت آذاناً صاغية وقبولاً؛ ومن ثم كانت وراء الموقف العدائي الذي تشكل عند الأوروبيين لقرون عديدة وقاد إلى عداوة بين المسلمين والمسيحيين (دريس، 2011).

يقول عبد الله الشرقاوي

«إن الاستشراق ولد أولاً في سراديب الأديرة والكنائس، ووظفه المستشرقون من رجال الدين في الغرب، لتحقيق هدفهم في محاربة الإسلام بالافتراء الحاقد عليه، والدسّ الرخيص والكذب، في محاولة لطمس وتشويه حقائقه، ووضع الحواجز والسدود بين الشعب الأوروبي وتفهم الإسلام كما أنزله **الله** تعالى، وبلّغه رسوله ﷺ (1993، ص. 48).

عمل التشويه، مسّ كل ما يمت للإسلام بصلة؛ فالقرآن كتاب ملفق لا علاقة له بالوحي، ومحمد رجل كاذب، مخادع، وفي أحسن الأحوال عبقري استطاع أن يقنع الناس بدعوة غير حقيقية، أحكام الشريعة الإسلامية قاسية وطاغية، الإسلام انتشر بقوة السيف...

وفعلاً نجحت هذه المؤلفات في إبعاد الشعوب الأوروبية عن الإسلام. والحقيقة أن علاقة الاستشراق بالتبشير مازالت مستمرة حتى يومنا هذا، مثال ذلك المجلات الاستشراقية المتخصصة، أهم كتابها من المبشرين المعروفين، فمجلة «العالم الإسلامي» كان رئيس تحريرها المستشرق المعروف صموئيل زويمر، والعلاقة عكسية، فالمجلات التبشيرية الدينية، أغلب كتابها مستشرقون، حتى إنه يصعب التمييز بينهما.

«إن كل باحث عن تاريخ الاستشراق، يستطيع أن يتبيّن بما لا يدع مجالاً للشك أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق، وقد صاحبه طوال مراحل تاريخه، ولم يستطع أن يتخلص منه بصفة دائمة»(الشرقاوي، 1993، ص. 48)، وليت الأمر وقف عند معاونة الاستشراق لرجال الدين، بل امتدت معاونته للهيئات الاستعمارية.

فقد وجهت الدعوة للمستشرقين، لكي ينقلوا كل صغيرة وكبيرة عن العالم الإسلامي، ويساهموا بدراساتهم في معرفة نقاط القوة والضعف، **وكذلك في توجيه الخطط الاستعمارية لضرب الإسلام والمسلمين**، وهذا ما يذكره أحد المسيحيين، الذي بيّن التغيير الذي حصل في مسار الاستشراق بعد فشل الحروب الصليبية قائلاً:

«والواقع أن التفسيرات الأوروبية لظهور الإسلام، والمتداولة في العصر الحديث، ارتدت بالأساس طابعاً تطبيقياً، وكانت مشروطة –بخلاف العصور الوسطى– بالاحتياجات والمهام الإيديولوجية الأوروبية الداخلية قبل كل شيء» (جورافسكي، 1996، ص. 104). وهذا ما حققه الاستشراق فعلاً، الذي كيّف الإسلام بحسب الاحتياج الإيديولوجي الاستعماري، وكم كان **جورافسكي** موضوعياً عندما استنتج قائلاً:

> «وبهذا يمكن القول بموضوعية كاملة: إن «علم الإسلاميات» ولد في أحشاء المخططات الاستعمارية، أو على الأقل تزامن مع ارتفاع الأصوات الأوروبية، الداعية إلى استعادة السيطرة على الأراضي المقدسة من أيدي مغتصبيها المسلمين، عن طريق اتباع حملة من الإجراءات العملية–التطبيقية في مقدمتها إنشاء المدارس العربية في الغرب، كشرط لتحقيق المعرفة الدقيقة لعقلية العرب والعقيدة الإسلامية» (1996، ص.ص. 104–105).

هذه هي المدارس التي أطّرها المستشرقون، وبثوا من خلالها سموماً ونظريات مُغالطة، وبذلك خانوا العلم وقداسته وأمانته.

وأحسن دليل على تعاون المستشرق مع المستعمر ما حدث في أثناء حملة نابليون. «إن اعتماد نابليون بونابرت قائد الغزوة الفرنسية لمصر (1798–1801) على جهود

المستشرقين واصطحابه لهم، وأخذه بمشورتهم وتوجيههم، واستخدام معرفتهم وخبرتهم بالإسلام في الأغراض الاستعمارية، لفرض السيطرة والتوسع فأمر معروف، ويؤكد العلاقة الآثمة بين المستشرق والمستعمر». (الشرقاوي، 1993، ص. 69).

ويوضح **جورافسكي** أسباب هذا الاتجاه العدواني، الذي ساد الدراسات الاستشراقية في القرن التاسع عشر وبداية العشرين، بقوله: «ويمكن توضيح بواعث هذا الوضع من خلال البحث أولاً في المناخ الاجتماعي–السياسي والنفسي لأوروبا في تلك المرحلة، والبحث أيضاً في نوعية العلاقة العضوية المتبادلة بين علم «الإسلاميات» و«الإيديولوجيا الاستعمارية» (1996، ص: 105)، ولم يبالغ **جورافسكي** عندما عبّر عن العلاقة المذكورة بالعلاقة العضوية.

> وقد بلغ الاستشراق وقاحته القصوى عندما حاول المشرفون عليه إقناع مواطني الدول المستعمرة، بأن الاستعمار نعمة وليس نقمة؛ لأنه يحمل الحضارة والتقدم... محاولين تشكيك المسلمين في قيمة عقيدتهم، «عن طريق شرح تعاليم الإسلام ومبادئه، شرحاً يُضعف في المسلم تمسكه بالإسلام، ويقوّي في نفسه الشك فيه كدين، أو على الأقل كمنهج سلوكي يتفق وطبيعة الإنسان العصرية... وهذا يكشف الروح الصليبية في دراسة الإسلام سافرة، رغم محاولة التخفي تحت عباءة البحث العلمي ودعاوى التراث الإنساني المشترك» (الشرقاوي، 1993، ص. 78).

وتتنوع أهداف الاستشراق بين علمية، وهي الأقل نسبة، وأخرى دينية دفاعية، إلا أن الهدف الغالب كان العمل على إضعاف المسلمين، وتمكين الغرب المسيحي من السيطرة على المسلمين بصورة أو بأخرى. وليومنا هذا مازال رجال السياسة في الغرب، يتصلون بالمؤسسات الاستشراقية لاستشارتها في القرارات الخاصة بالدول الإسلامية.

إن الموضوعية العلمية تقتضي منا التذكير بالجانب الإيجابي من الاستشراق، مهما كان ضئيلاً خاصة أن الفئة المنصفة من المستشرقين استهجنت النهج

اللاعلمي، وتشويه الحقائق، الذي سلكه زملاؤهم. فالاستشراق ليس واحداً؛ حيث يوجد فيه من يتصف بالموضوعية والعقلانية والإدراك لرسالته. بعض المستشرقين مثل **فلاديمر يولوفيوف**، أشاد بالتجربة الدينية الإسلامية، وحاول تغيير النظرة الحاقدة نحو الإسلام، بل كانت لهم شجاعة يجب أن تذكر تتعلق بترجمة المؤلفات الإسلامية الجدلية الدينية خاصة، التي أبرزت مساوئ العقائد المسيحية وتناقضاتها. من ذلك ترجمة كتاب «الرّد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل» **لأبي حامد الغزالي** من طرف **روبير شدياق**، كذلك ترجمة **يوشع فنكل** لكتاب **الجاحظ** «المختار في الرّد على النصارى»، وقبل أن تتم ترجمة هذه الكتب وغيرها، معلوم أن دراسة اللغة هي المدخل لمعرفة أي فكر أو نقله، وهنا يجب التنويه بمجهودات المستشرقين في هذا المجال، فاهتمامهم باللغة العربية قد «أثمر عدداً من المعاجم اللغوية المهمة وقدّم بحوثاً مقارنة مفيدة في المستويات المختلفة والآداب المقارنة» (الشرقاوي، 1993، ص. 4–5).

المبحث الخامس

واقع التنصير في العالم الإسلامي وسبل مواجهته

في المبحث السابق وقفنا على التنصير كمعنى ومفهوم تشكل منذ قرون خلت، وكعمل مؤسساتي يخضع لتخطيط عمل البعاثة التبشيرية؛ الأمر الذي جعل المنصرين يتعاونون مع أطراف أخرى كالمستشرقين، والدوائر العسكرية المشرفة على حملات الاحتلال التي مست العالم الإسلامي، لذا وجدنا تداخلاً بين نشاط التنصير، والحوار الديني، وعلم الاستشراق، والاحتلال، وهذا في محاولة منه للتخفي والتضليل حتى لا يُكتشف أمر المنصرين؛ الأمر الذي نحاول الوقوف عليه تفصيلاً في المبحث الأخير الذي يحلل بشكل عملي التنصير الساري حالياً في المجتمعات الإسلامية.

1 - دوافع التنصير في العالم الإسلامي

نظراً لفشل الحروب الصليبية العسكرية في تحقيق أهداف التنصير في العالم الاسلامي، وتعرضها للإدانة الشديدة من قبل الكثير من المسيحيين، من مؤرخين وفلاسفة ومفكرين، كان العمل على إيجاد بدائل جديدة للصراع العسكري أمراً حيوياً. هكذا رسم لويس التاسع المعالم الأولى للعمل التنصيري–كما مر بنا– على نحو يمكّن من مواجهة الإسلام، والنيل من قوته وذلك «بتحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه، لا فرق بين النوعين إلا من حيث نوع السلاح المستخدم في المعركة، وتجنيد المبشرين الغربيين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره، ثم القضاء عليه معنويا،اعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنودا للغرب» (شرف، 1975، ص. 15).

يقول اليسوعيون في عرض نشاطهم التبشيري في الشام: «ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ...أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي، ولنعيد في ظل العلم الفرنسي، وباسم الكنيسة مملكة المسيح» (خالدي وفروج، 1986، ص 115). وهذا يعني أن دوافع التنصير اليوم هي ذاتها الدوافع التي غذت الحروب الصليبية، منذ قرون والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- يمثل الإسلام منافساً عاتياً للنصرانية، بل هو الدين الوحيد القادر على إزاحتها من الوجود إن ترك له السبيل. إن المنصرين لا يخشون البوذية ولا الهندوسية ولا اليهودية؛ لأنها جميعاً ديانات قومية لا تسعى إلى الامتداد خارج أقوامها، أما الإسلام؛ فهو دين زاحف، يمتد بنفسه وبلا أية قوة تساعده، وثمة مكمن الخطر. يقول الشيخ محمد الغزالي، رحمه الله:

  «لقد ظهرت المسيحية قبل الإسلام بستة قرون، وقامت باسمها حكومات مرهوبة الجانب ولقد نظر الرومان–وهم في ذلك العصر أصحاب السلطان باسم النصرانية– إلى الإسلام لا على أنه دين يعاون في هداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، بل على أنه منافس محذور النجاح، كما ينظر التاجر القديم إلى مؤسسة جديدة مزودة بأسباب النهوض والنماء، فهو يرى في امتدادها والإقبال عليها خطراً على كيانه وبقائه» (الغزالي، 1965، ص. 17).

- الإسلام هو الدين الوحيد القادر على تعرية النصرانية وإظهار زيفها، لما يتضمنه من حقائق تنفي عقيدة التثليث التي تقوم عليها، وتكشف تحريف الأناجيل التي تعتمدها، والأزمة الحادة التي تعيشها، والراجعة إلى الفوضى المسيطرة عليها ممثلة بتعاليم الكنائس المختلفة. كما أن الإسلام يمثل قوة حضارية عاتية، فقد استطاع أن يجعل من العرب البدو قُواداً للعالم، وباستطاعته أن يعيد لهم هذه الريادة اليوم، إن هم تمسكوا بتعاليمه السمحة.
- دراسات استشرافية كثيرة أنجزت في الغرب المسيحي، تؤكد أن الإسلام هو الخطر الحقيقي على الحضارة الغربية المسيطرة، نذكر منها دراسة **صموئيل هنتنغتون** «صراع الحضارات»، ودراسة **فوكوياما** «نهاية التاريخ»، فعلى الرغم من القوة الاقتصادية الآسيوية الصاعدة، سواء من الصين أو اليابان وغيرها من دول جنوب شرق آسيا، التي تشكل تهديداً حقيقياً للغرب، جاءت نتائج الدراسات لتؤكد أن الخطر الحقيقي يكمن في الإسلام، على الرغم ممّا يعانيه المسلمون من تخلف وتبعية وعدم استقرار أمني... لهذا يتم التخطيط لأهداف التنصير بعناية فائقة (فوكوياما، 1993؛ هنتنغتون، 1999).

2 - أهداف التنصير في العالم الإسلامي

خضعت حركة التنصير منذ ظهورها لأهداف إستراتيجية، سعى القائمون عليها لتحقيقها مسخرين كل ما لديهم من قوة وطاقة، ونفوذ ومال، وحكومة وسلطة، وأفراد وجماعات، ومؤسسات وهيئات، وخبراء ومستشارين على أعلى المستويات، ويمكننا أن نلخص هذه الأهداف البعيدة والقريبة منها فيما يأتي:

- حماية المجتمعات النصرانية من الدخول في الإسلام، والحيلولة بينها وبين المد الإسلامي الزاحف، وذلك بالعمل على تشويه صورة الإسلام لدى الغرب، والحرص على هدم عقيدته لدى المسلمين. يقول أحد المستشرقين:

  «لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر؟» ويجيب عن نفسه قائلاً: «إننا لم نكن نسخّر نصف مليون جندي من أجل نبيذ الجزائر أو صحاريها أو زيتونها، إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوروبا الذي يقف في وجه الزحف الإسلامي المحتمل أن يقوم به الجزائريون،وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها» (العالم، 1982، ص. 28).

وهذا الكلام الخطير يتقاطع مع ما قاله قائد الحملة العسكرية على الجزائر: «إننا جئنا لنستعيد المجد الأوغسطيني»؛ مما يعني أنها حرب صليبية الروح.

- الحيلولة دون دخول الأقليات النصرانية في الإسلام، وذلك بتوجيه الجهود للبلاد الإسلامية التي يكثر فيها النصارى، واستقطاب هذه الأقلية ودعمها، بل واتخاذها درعاً لتغطية ممارساتها التنصيرية، ولإثارة الفتن والمطالبة بالانفصال لتفتيت البلدان الإسلامية بأيدي أبنائها (النملة، 1993).

- الحيلولة دون دخول الأمم الأخرى في الإسلام، وذلك بإحلال النصرانية مكانه، أو الإبقاء على العقائد المحلية المتوارثة (النملة، 1993).

- إزالة روح الرفض والكراهية من نفوس كثير من المسلمين إزاء النصرانية والنصارى، والعمل على دخول القدر المستطاع من المسلمين في النصرانية، باستغلال نقاط ضعفهم، كحاجتهم للعمل، أو العلاج، أو الطعام، أو النساء، أو غيرها (النملة، 1993).

- العمل على ارتداد المسلمين عن دينهم، سواء بالدخول في النصرانية أو اعتناق غيرها، يقول القس صموئيل زويمر في مؤتمر القدس التنصيري: «ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيح للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فان في هذه هداية لهم وتكريما، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله» (الميداني، 1980، ص: 161). وهو ما يؤكده البابا شنودة بقوله:

> «إنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية ...وذلك لزحزحة أكبر عدد من المسلمين عن دينهم، على ألا يكون من الضروري دخولهم في المسيحية، ويكون التركيز في بعض الحالات على زعزعة الدين في نفوس المسلمين، وتشكيك الجموع الغفيرة فيكتابهم وفي صدق محمد، وإذا نجحنا في تنفيذ هذا المخطط التبشيري في المرحلة القادمة، فإننا نكون قد نجحنا في إزاحة هذه الفئات عن طريقنا». (الجبهان، 1404 هـ، ص.27).

- التمهيد لإخضاع العالم الإسلامي سياسياً واقتصادياً لسيطرة النفوذ الغربي، بعد إيجاد جيل هش العقيدة، مشوش الفكر، ضعيف التحكم في مقدراته وإمكاناته. ويوضح ذلك الشيخ **محمد الغزالي** بقوله:

> «الحقيقة الحالكة أن الدين في أوروبا لم يستغل الدولة لبلوغ أهدافه، بل إن الدولة هي التي استغلته لبلوغ مآربها؛ أي أن الدين في منطق الاستعمار لا يعدو أن يكون مطية لأمانيه السافلة في خنق الحريات، وسحق الأمم، وتوسيع الجور، وإبقاء قارات بأكملها بقرة حلوباً لحفنة من المغامرين والخطفة» (1965، ص. 54).

- ضرب الوحدة الإسلامية: حيث يسعى المنصرون جاهدين لخنق أي اتجاه إسلامي نحو الوحدة في مهده انسجاماً مع المبدأ الاستعماري «فرق تسد». يقول المستشرق لورانس براون في كتابه «الإسلام والإرساليات»: «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية يمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً...، أما إذا بقوا

متفرقين فإنهم سيظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير» (عبد الرحمن، 2009، ص. 58). ويقول المستشرق المنصر موروبيرجر: «إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام. يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوتهم، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته» (عبد الرحمن، 2009، ص. 59).

- العمل على ضرب المسلمين في أعز بقعة على قلوبهم وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث يقول روبرت ماكس: «لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة». (كساب، 2004، ص. 161).

إن الأهداف المذكورة أعلاه تمثل مجمل ما يسعى المنصرون بعامة إلى تحقيقه في حملاتهم التنصيرية، ولكنها ليست بالضرورة مجتمعة مجال اهتمام جميع المنصرين. فقد يبدي المنصر حماسه لتحقيق أهداف معينة، في حين يرفض أن يُزج به في سبيل تحقيق أخرى؛ لأنه –في الغالب– غير مؤهل لتحقيقها؛ بسبب عدم تخصصه في جميع فروع التنصير. فقد أضحى التنصير–كما سبقت الإشارة– علماً من العلوم التي تُقدم على مقاعد الدراسة وقاعات المحاضرات، كما أصبحت معاهد التنصير تنشئ داخلها أقساماً وشعباً ، يتم التركيز في كل قسم أو شعبة منها على هدف من الأهداف، أو بيئة جغرافية أو ثقافية، يمكن أن تتحقق فيها أهداف محددة. ومن خلال التنسيق بين الجهود المختلفة، يسعى المنصرون إلى تحقيق الأهداف مجتمعة، وهم في ذلك يستخدمون وسائل كثيرة، يطورونها بين الحين والآخر لتتناسب وروح العصر (النملة، 1993)، وهو ما سوف نعرض له في الفقرات الموالية.

3 – وسائل التنصير في العالم الإسلامي

يعتبر «الوعظ» أول وسيلة استخدمها المنصرون في الكنائس والأماكن العامة، لتعريف الناس بحياة المسيح وتعاليمه، ثم سرعان ما انحصر هذا الأسلوب ليتخذ صفة الإكراه والقسر بعد تحالف النصرانية مع الحكومة الرومانية أولاً ، ثم مع

الحكومة الفرنجية والجرمانية والسلافية بعد ذلك، حيث أصبح الرعايا يكرهون على اعتناق دين ملوكهم، وهي الوسيلة التي سادت خلال العصور الوسطى، وانتشرت بشكل أوسع خلال الحروب الصليبية ضد بلاد المسلمين (شلبي، 1991).

مع بداية القرن التاسع عشر، عرف التنصير طفرة هائلة حيث لم يعد يعتمد على الجهود الفردية، بل أصبح نشاطاً جماعياً تسهر عليه جمعيات ومنظمات، وتسخر له وسائل متعددة ومتنوعة، وقد استفاد التنصير من الهيمنة الاستعمارية التي بسطت نفوذها على معظم دول العالم الإسلامي في إفريقيا وآسيا، فأصبحت السياسة في خدمة الدين، والدين في خدمة السياسة.

ولما كان التنصير يقوم أساساً على الإقناع، فهو عملية اتصالية بالدرجة الأولى، كان لابد لوسائل التنصير من مواكبة التطورات الحادثة في عالم الاتصال، فتعددت هذه الوسائل، واختلفت، فمنها الصريحة المعلنة القائمة على النقاش والتشكيك، والمدعومة بمؤسسات تنصيرية رسمية تموّلها وترعاها، ومنها الخفية المستترة التي يتم اللجوء إليها متى ضاقت سبل التنصير الصريح. وقد لعب بعضها دوراً أساسياً، وبعضها الآخر دوراً مساعداً، وهو ما سنعمل على تفصيله في الفقرات الموالية.

(أ) الوسائل الصريحة

وضع المؤتمر التنصيري المعقود بالقاهرة سنة 1906 مجموعة من التوصيات، تبرز من خلالها جملة الوسائل الصريحة التي ينبغي أن تعتمد عليها الحملات التنصيرية في تحقيق أهدافها، ويمكن إجمالها فيما يلي:

■ الاعتماد على مؤهلات المنصرين والمنصرات الذين ألزموهم بما يأتي: (النملة، 1993)

- تعلم اللهجات المحلية ومصطلحاتها.
- مخاطبة العوام على قدر عقولهم.
- إلقاء الخطب بصوت رخيم وفصيح المخارج.
- الجلوس في أثناء إلقاء الخطب حتى يكون التأثير على السامعين أشد.

- الابتعاد عن الكلمات الأجنبية في أثناء إلقاء الخطب.
- الاعتناء باختيار الموضوعات.
- العلم بآيات القرآن والإنجيل.
- الاستعانة بالروح القدس والحكمة الإلهية.
- استخدام مختلف تقنيات التعليم الحديثة.
- دراسة القرآن للوقوف على ما فيه.
- عدم إثارة نزاعات مع المسلمين.
- إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم.
- إيجاد منصرين من بين المسلمين أنفسهم.
- زيارة المنصرات لبيوت المسلمين، والاجتماع بنسائهم، وتوزيع المؤلفات والكتب التنصيرية عليهن، وإلقاء المحاضرات الدينية في تعاليم الإنجيل.

■ الاعتماد على الجمعيات التنصيرية المتعددة والمتنوعة الاتجاهات والتخصصات، التي ترعى حملات التنصير وتمدها بما تحتاج إليه من الموارد المالية والبشرية، معتمدة في ذلك على الدعمين المادي والمعنوي من الحكومات الغربية، ومن المؤسسات والأفراد، والذي يتخذ شكل المخصصات والتبرعات، ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر: (نملة، 1993).

- جمعية لندن التنصيرية (1179–1765م)، وهي موجهة إلى إفريقيا.
- جمعيات بعثات التنصير الكنسية (1212 – 1799م)، وهي موجهة إلى الهند ومنطقة الخليج العربي.
- جمعية طبع الإنجيل البريطانية (1219 – 1804م)، وتهتم بالطبع والترجمة والتوزيع.

- جمعية الكنيسة التنصيرية (1260 – 1844م)، وتركز على التعليم والخدمات العلاجية، ويسهم الألمان فيها بجهود كبيرة.
- جمعية الروح القدس في زنجبار (1280–1863م)، وهي كاثوليكية وتهتم بالعلاج والتعليم الصناعي.
- جمعية اتحاد الطلبة النصارى (1313–1895).
- عمودية التعبئة (1377–1958م)، وتعنى بتدريب الشباب على التنصير.
- إرسالية الكنيسة الحرة الأسكتلندية، وتهتم بالصناعات اليدوية والزراعة.
- هذا بالإضافة إلى الجمعيات المحلية في العواصم والمدن الإسلامية، التي يقوم عليها عاملون محليون مدعومون من جمعيات تنصيرية أوروبية وأمريكية.

■ الاعتماد على مؤسسات التنصير من جمعيات ومنظمات، تسهر على تجهيز المنصرين تجهيزاً تاماً للقيام بهذه المهمة، من خلال تعليمهم اللغات، والطباع، والعادات، والأديان السائدة، وجوانب الضعف في هذه المجتمعات (النملة، 1993).

■ بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها؛ حيث يحرص المنصرون على أن تكون كنائس الإرساليات ومدارسها وأنديتها شاهقة غريبة المنظر، حتى تؤثر في عقول الزائرين وفي عواطفهم وخيالاتهم ...فإن ذلك يقرب غير النصارى إلى النصرانية (عبد الوهاب، 1981).

(ب) الوسائل الخفية

ينفذ التنصير الخفي بوسائل متعددة، أهمها:

■ استغلال البعثات الدبلوماسية في البلاد الإسلامية عن طريق السفارات، أو القنصليات، أو الملحقات الثقافية والتجارية، والمؤسسات الأجنبية الرسمية الأخرى. حيث يدرب بعض العاملين في هذه المؤسسات على التنصير قبل

انخراطهم العملي بها. ومما يدخل في عمل الملحقات الثقافية الأجنبية، إنشاء المدارس للجاليات الأجنبية وطبعها بالطابع التنصيري، بالإضافة إلى إقامة أنشطة ثقافية، ظاهرها التعريف بالبلاد التي تمثلها الملحقية، وباطنها الدعوة الخفية إلى التنصير (نملة، 1993).

- استغلال المستكشفين الجغرافيين في البلاد الإسلامية؛ حيث توفدهم الجامعات والجمعيات العلمية للنظر في قضايا علمية جغرافية وطبيعية تحتاج إلى الوقوف عليها، ولكنهم يُستغلون أيضاً في الوقوف على أحوال الإسلام في هذه البلاد، وتحديد المناطق التي تحتاج إلى إرسال بعثات تنصيرية لها (نملة، 1993).

- الاعتماد على بعثات التطبيب التي يبدو من ظاهرها الإسهام في مجالات الإغاثة الطبية والصحية، لكنها في الواقع تعمل على خدمة التنصير، من خلال إنشاء المستشفيات والمستوصفات والعيادات المتنقلة، وتشغيل بنات المجتمع كممرضات ومشرفات اجتماعيات يتماشين مع سياسة هذه المؤسسات الطبية، التي ترغم المريض على الاعتراف بأن المسيح هو الذي يشفيه (نملة، 1993). تقول المبشرة **إيراهاريس** وهي تنصح الطبيب الذاهب في مهمة تنصيرية:

  «يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالإنجيل، إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات، فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق. ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه.»(عبد الوهاب، 1981، ص.ص. 179 – 180).

- استغلال بعثات التعليم الصناعي والتدريب المهني، من خلال إنشاء المدارس ومراكز التدريب والورش للشباب الذين يخضعون لبرامج نظرية تتضمن دروساً حول الثقافة، والمجتمع، والدين، والآداب التي تمرر من خلالها التعاليم النصرانية (نملة، 1993).

- استغلال مؤسسات التعليم العالي؛ من كليات وجامعات ومعاهد عليا غربية موجودة في البلاد الإسلامية؛ كالجامعات الأمريكية والفرنسية – في مجالات التنصير. يقول «بيزون»: «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان، ومن أجل ذلك تقرر أن يختار رئيس الكلية البروتستانتية الإنجيلية من مبشري الإرسالية السورية»(شلبي، 1989، ص. 83). ويوضح عماد شرف آلية استخدام التعليم في عملية التنصير؛ حيث يذهب إلى أن المدارس المسيحية الموجودة في العالم الإسلامي تؤلف كتباً مدرسية تتضمن مضامين تنصيرية واضحة، مشيراً إلى أن كتاباً مدرسياً في مادة التاريخ، يُدرس للصف الرابع بالمدرسة البطريكية ببيروت جاء فيه: «واتفق لمحمد في أثناء رحلاته أن يعرف شيئاً قليلاً من عقائد اليهود والنصارى ...ولما أشرف على الأربعين أخذت تتراءى له رؤى أقنعته بان **الله** اختاره رسولاً» (1975، ص. 59)، «والقرآن مجموع ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما كان هو يتكلم ...و قد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة» (1975، ص. 59).

- استغلال العمال النصارى في المجتمعات المسلمة على مختلف مستوياتهم وتخصصاتهم، وتتضح هذه الوسيلة بجلاء في دول الخليج العربي؛ حيث تفد أعداد هائلة من الطاقات البشرية، ويفد معها منصرون في ثياب أطباء، وممرضين، وفنيين، وعمال، يعملون على تثبيت إخوانهم النصارى والحيلولة دون دخولهم الإسلام، بإقامة الشعائر الدينية لهم سراً وعلانية. كما يعملون على تنصير الشباب المسلم ما استطاعوا. يؤكد ذلك أحد رؤساء الجمعيات التنصيرية بقوله: «إن الباب أصبح مفتوحاً لدخول النصرانية إلى البلاد المغلقة، وذلك من خلال الشركات الوطنية المتعددة؛ فهناك فرص لا حدود لها في هذا المجال بالنسبة للمنصرين؛ حيث الحاجة الملحة إلى مهماتهم لتطوير البلاد» (علي، 1987، ص.ص. 32–33).

- استغلال البعثات الدراسية للطلبة المسلمين خارج البلاد الإسلامية؛ حيث

تتعرض هذه الفئة من الطلاب لمحاولات تنصيرية قوية، تمارسها مكاتب الطلبة التي تضع برامج للطلبة تتضمن زيارات لعائلات نصرانية، ونشاطات اجتماعية؛ كالحفلات، ودعوات إلى الكنيسة. كما يتلقف المنصرون الطلبة خارج المدن الجامعية من خلال الاتصال بهم هاتفياً، أو الحضور إلى أماكن إقامتهم، وإبداء الرغبة في ربط علاقات اجتماعية بهم، ودعوتهم لحضور حفلات دينية ووطنية. كما يستغل هؤلاء عوز بعض الطلبة لتتبنى الكنيسة أو جمعية مدعومة من الكنيسة مساعدتهم مادياً، مقابل تنصيرهم (شرف، 1975).

- استغلال المؤسسات العلمية التي تقدم دراسات عن العالم الإسلامي والعرب والشرق الأوسط، فكثير من الدراسات الاستشراقية –كما تقدم– تسيء إلى الإسلام وإلى نبيه محمد ﷺ؛ ومن ثم فهي تخدم مباشرة الأهداف التنصيرية (شرف، 1975).

- استغلال التبادل الثقافي بين الشعوب الإسلامية والغربية، فكثيراً ما تُعقد معاهدات واتفاقيات ثقافية بين بلاد المسلمين والبلاد الأجنبية، فيكون نصيب المسلمين منها غالباً هو عرض الفولكلور الشعبي، من رقص وغناء، وأكلات شعبية، وصناعات يدوية، وغيرها. في حين يكون نصيب البلاد الأجنبية إقامة مراكز ثقافية دائمة، وجلب المحاضرين من علماء ومفكرين وأساتذة جامعات. كما تقوم بإصدار المطبوعات والنشرات، وتوزيع الأشرطة المسموعة والمرئية المسموعة، وتوجيه الدعوات لحضور المناسبات الوطنية الاجتماعية وحتى الدينية النصرانية؛ مما يسهم بشكل كبير في تحقيق أهدافها التنصيرية (شرف، 1975).

- استغلال بعثات الإغاثة، حيث تُقدم المؤن والملابس والخيام على أنها نعمة من عيسى، عليه السلام، سواء كان هذا الإيحاء واضحاً بالرموز والشعارات، أم بطريق خفي (شرف، 1975). والأدهى من ذلك ما تفعله البعثات التنصيرية في إفريقيا؛ إذ تستغل حالة البؤس التي تعيشها الأسر الفقيرة المسلمة، فتوقع معها عقوداً، تقدم بموجبها البعثات التنصيرية مساعدات عينية من الأرز مثلاً

كل شهر، على أن يكون لها الحق في اختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها. ويتضمن العقد مادة صريحة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات، وعلى دفع نفقات ابنها إن هي خالفت شروط العقد. وتختار البعثة صبياً دون الخامسة من العمر، ترسله إلى مدرسة، فينقطع عن أهله، وينشأ تنشئة مسيحية، ثم يرسل لإتمام تعليمه العالي، بعدئذ يعاد إلى بلده لخدمة الأغراض التنصيرية فيها (عبد الوهاب، 1981).

- الاعتماد على المنظمات العالمية، حيث تستغل حركة التنصير المنظمات العالمية للتدخل في شؤون البلاد الإسلامية تحت شعارات خطط التنمية، وحقوق الإنسان، وحقوق الطفل، وحقوق الأقليات ولاسيما الدينية منها، مما يفتح لها المجال لممارسة نشاطها بشكل رسمي (القعيد، 1982).

- استغلال المرأة المسلمة في هدم الإسلام لما لها من قوة تأثير في المجتمع؛ حيث يجتهد المنصرون في إخراجها من حشمتها ووقارها والتزامها المستمد من أصالة قيمها الإسلامية بحجة التحضر والانطلاق، وبدعوى حقوق المرأة ومساواتها مع الرجل، ذلك بالاعتماد على الجمعيات النسوية الناشطة في هذا المجال. تقول المبشرات المشتركات في مؤتمر القاهرة سنة 1906م:

> «لا سبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح. إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مائة مليون، فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن. نحن نقترح إيجاد منظمات جديدة، ولكننا نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائي على العمل، واضعة نصب عينيها هدفاً جديداً، هو الوصول إلى إلى نساء العالم المسلمات كلهن في هذا الجيل» (خالدي وفروج، 1986، ص: 204).

فضلاً عما سبق، تُقدم للنساء المسلمات المستهدفة بالتنصير الخدمات الصحية، والاجتماعية والتربوية، والثقافية الدقيقة الخاصة بشؤون المرأة، وعلاقاتها الأسرية، وحملها، وتربية أبنائها؛ بحيث تخضع لغسيل مخ يبعدها عن الإسلام

ويزج بها في أوحال النصرانية. ومثل هذا التحول في حياة المرأة له من الأثر البالغ على أفراد أسرتها، ومحيطها الاجتماعي؛ نظراً للمركز الاجتماعي الحيوي الذي تشغله في الحياة الاجتماعية ككل، حيث يقولون:

«بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها حتى سن العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية، وبما أن النساء هنّ العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية» (عبد الوهاب، 1981، ص. 188).

- **تخريب الأسرة المسلمة**: من خلال تشجيع الشباب على الزواج بالنصرانيات، إدراكاً منهم أن ذلك من شأنه أن يسلب البيت المسلم جوّه الروحي واستقراره، هذا فضلاً عن دفعهم إلى حياة اللهو والمجون، وإشاعة الرذائل بينهم (عبد الرحمن، 2009).

- **تغريب المجتمع المسلم**: وذلك بالسعي إلى نقله في سلوكياته وممارساته بأنواعها: السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأسري، إلى النمط الغربي في الحياة والمستمد من خلفية دينية نصرانية أو يهودية (النملة، 1993).

- الاشتراك في وضع المناهج **التعليمية** في بلاد المسلمين؛ بحيث تأتي هذه المناهج مطعمة بأخطاء وتجاوزات عقدية وتاريخية واجتماعية وحضارية، كفيلة بتغريب المجتمع، وتشويه معالم هويته، مع الحرص على التمييز بين المواد الإسلامية والمواد العلمية لسلخ الإسلام من شؤون المجتمع والحياة، والتمييز بين اللغة العربية واللغات الأوروبية، والعمل على التقليل من شأن الأولى وقدرتها على مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي. (الشتري، 2003).

- **استغلال الوسائل الإعلامية؛ مثل**: الصحف والمجلات والمنشورات والأشرطة الصوتية والمرئية والإذاعات والقنوات الفضائية، التي تتميز بالإغراء والجاذبية، مع سهولة شرائها وتناولها، وسهولة غزوها لقلوب الناس وعقولهم؛ فراديو

الفاتيكان مثلاً يرسل تعاليمه التنصيرية بخمس وثلاثين لغة عالمية ومحلية. وإذاعات الغرب التنصيرية تبث سمومها بشتى لغات العالم على مدى أكثر من ألف ساعة يومياً (الشتري، 2003). هذا فضلاً عن استغلال المنصرين لوسائل الإعلام المحلية في البلاد الإسلامية نفسها لنشر أفكارهم على عامة المسلمين.

- إنشاء العديد من المدارس والمعاهد والكليات التي تتيح للصحفيين، ومنتجي الأفلام، ومذيعي الراديو والتلفزيون، ورجال الإعلام عموماً، تحصيل ثقافة كاملة مشبعة بالروح المسيحية؛ بحيث يجمع أداؤهم بين الفعالية والكفاءة والالتزام الديني.

- **ترويج المطبوعات التنصيرية**: إن استخدام المطبوعات ضمن الإستراتيجية الإعلامية التنصيرية كان له السبق على استخدام الإذاعة المسموعة والمرئية، بحكم السبق التاريخي لظهور المطبوعات. ولقد اهتم المنصرون باستخدام المطبوعات منذ زمن بعيد حيث ظهرت أول مطبعة عربية في أوروبا في مدينة «فانوا» بإيطاليا، وهي التي صدرت عنها بعض الكتب النصرانية عام 1514م. وقد اهتمت الإرساليات بإصدار العديد من المطبوعات (كتب – مجلات – نشرات)، التي تسعى إلى نشر النصرانية من خلال نشر الإنجيل، والتعريف بالمسيح، والعمل في الوقت نفسه على تشويه الإسلام، والإساءة إليه. وإذا كان من غير الممكن إحصاء دور النشر التنصيرية في العالم، فإنه من الصعب كذلك إحصاء المطبوعات التي تصدر، سواء كانت كتباً أم مجلات أم نشرات بمختلف اللغات، ومن بينها اللغة العربية، وتكفي الإشارة في هذا الصدد إلى أن جمعية ترجمة الإنجيل في إفريقيا تتولى إعداد أكثر من 442 ترجمة للإنجيل، وقد بلغ عدد النسخ التي جرى توزيعها من هذا الكتاب عام 1986م ما يقرب من 66 مليون نسخة، إلى جانب 46 مليون نسخة من العهد القديم «التوراة». فضلاً عن النسخ الصوتية التي يجرى تسجيلها على أشرطة صوتية من أجل الأميين، أو المطبوعة بالأحرف البارزة «طريقة برايل» للمكفوفين. ولكي تحقق هذه المطبوعات الهدف المنشود منها فإنه يجري توزيعها على أوسع نطاق ممكن بأسعار زهيدة جداً أو مجاناً،

ويتم تسريبها عبر العديد من المنافذ؛ مثل: المكتبات في الكنائس والإرساليات، المدارس، المستشفيات، الأندية، أو ترسل بالبريد، كما يجري توزيعها يدوياً في المدارس والتجمعات المختلفة (شلبي، 1991).

- استغلال شبكة الإنترنت: مع ظهور شبكة الإنترنت التي تتميز بسعة الانتشار على مستوى العالم، بدأت منظمات التنصير التفكير في استغلال هذه الشبكة لتنصير العالم، فقامت عام 1997م بإنشاء «اتحاد التنصير عبر الإنترنت»، الذي يعقد مؤتمراً سنوياً عاماً يحضره ممثلو الإرساليات التنصيرية، والقائمون على الصفحات التنصيرية على الشبكة الدولية لدراسة أفضل السبل لاستخدام إمكانات «الإنترنت» في نشر الدعوة التنصيرية. وقد أثمر هذا النشاط آلاف المواقع التنصيرية التي تفوق عدد المواقع الإسلامية بعشرات المرات؛ فالإحصائيات تؤكد أن عدد المواقع التنصيرية تزيد عن المواقع الإسلامية بمعدل 1200%، وأن المنظمات المسيحية تهيمن على هذه المواقع بنسبة 62%، تليها المنظمات اليهودية، أما المسلمون؛ فيتساوون مع الهندوس في عدد المواقع، الذي لا يزيد على 9% (أبو زيد، 2001).

- الاعتماد على المناظرات العلمية والدينية والحضارية: حيث يعتبر المنصرون هذه المناظرات وسيلة فعالة ذات تأثير قوي على الأذهان، من حيث قدرتها على إثارة الشكوك حول مسلمات وثوابت المسلمين، وزعزعة الثقة فيها. كما أنها قد تلعب دوراً مهمّاً في توجيه أنظار المثقفين إلى ضرورة البحث في عقائد النصارى وثقافتهم بالاعتماد على كتبهم الخاصة بدعوى الموضوعية والحياد العلمي، وهو الأمر الذي يعد مكسبا للمنصرين (الشتري، 2003).

- استغلال الأقليات المسيحية في العالم الإسلامي؛ ذلك أن هذه الأقليات هي مصدر للمعرفة والمعلومات المتعلقة بشؤون العالم الإسلامي، فهي تتحدث لغته، وتفهم تاريخه، وتعرف نواحي الضعف في جسمه. وقد عمل الاستعمار منذ دخوله إلى بلاد الإسلام على تعليم المسيحيين، ورفع مستواهم الثقافي، وتهيئتهم للسيطرة على زمام الحكم في بلاد الأغلبية المسلمة. يقول عبد الودود شلبي: «فقد أوصدوا

أبواب المعاهد التعليمية أمام كل شخص لا يدين بالنصرانية، أو على الأقل ليس لديه الاستعداد لتغيير اسمه الإسلامي والاستبدال به اسماً نصرانياً، وبهذه الكيفية قويت شوكة الأقلية النصرانية وأصبحت هي الطبقة الحاكمة ...» (شلبي، 1987، ص. 45)، ويقول فرانسيس ستريل في كتابه «لم تضع الجهود»: «يجب أن يركز التنصير تركيزاً كبيراً على بناء الكنائس على أكتاف المتنصرين الجدد، وعلى العناية بالأقليات المسيحية، ومساعدتهم على تركيز نفوذهم؛ ذلك أنهم أصحاب البلاد ، وهم الضمان لاستمرار انتشار النصرانية» (القعيد، 1982، ص. 28).

- النيل من القرآن الكريم: باعتباره دستور المسلمين، ومصدر قيمهم ومعتقداتهم وقوتهم، وذلك بالعمل على تحقيره، وأنه سبب تخلف المسلمين وركودهم الحضاري له. يقول **غلادستون**: «مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان» (أسد، 1987، ص. 39). ويقول **جون تاكلي**: «يجب أن نستخدم كتابهم (القرآن) وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً، يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً» (عبد الوهاب، 1981، ص. 163).

- محاربة اللغات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية: يسعى المنصرون إلى محاربة اللغات الشرقية السائدة في دول العالم الإسلامي، وفي مقدمتها اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، وذلك بالدعوة إلى استخدام العامية، واللغات الأجنبية، مستخدمين في ذلك حججاً واهية؛ فهم يدّعون أن العامية يفهمها العامة خلافاً للفصحى، وأن اللغات الأجنبية وحدها القادرة على مسايرة ركب الحضارة، فهي لغات العلم الحديث خلافاً للعربية الفصحى، متناسين أن هذه النهضة العلمية التي يعرفها الغرب قامت على ترجمة كتب المسلمين ومؤلفاتهم العلمية المكتوبة باللغة العربية(عبد الرحمن، 2009). يقول **شاتليه**:

> «ولا شك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم لها ذلك

إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، فبنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية، يحتك الإسلام بصحف أوروبا، وتتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي، وتقصي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها» (1980، ص.ص. 8–9).

- استثمار المصطلحات الإسلامية في التنصير؛ حيث يستغل المنصرون المصطلحات الأساسية المتداولة بين المسلمين لتسريب العقائد النصرانية، مغلفة بأقنعة مألوفة لدى المتلقي المسلم؛ حيث يؤكد **خالد زهري** في كتابه «الصليبيون الجدد» أن «المعهد الدولي للدراسة والإعلام»، وهو أحد المعاهد التنصيرية، ينشر «إنجيل مرقس» دون الإشارة إلى كونه إنجيلاً، وإنما تحت عنوان: «قصة سيدنا عيسى»؛ بحيث تتصدر تقديمه عبارة البسملة، مردفة بدعاء معهود لدى المسلمين، مألوف في صلواتهم وهو :»لا اله إلا الله، له الحمد ومنه الإنعام والجود والهداية»، ثم يختم بالتأمين الإسلامي: «آمين، يا رب العالمين» (2008). وبما أن الاسم «يسوع» يوحي بالمضمون النصراني لهذه الكلمة، فقد تمت صياغة هذا الإنجيل التضليلي باسم «عيسى» الذي لا يثير كوامن الشك وحوافز الريب لدى المتلقي المسلم.

- استدلال المنصرين بالقرآن الكريم: من خلال الادعاء بأن ما جاء في القرآن الكريم يتفق اتفاقاً تاماً مع ما ورد في الكتاب المقدس بشأن المسيح، عليه السلام. ومن ذلك ما يذكره **خالد زهري** بشأن جون جلكرايست في كتابه «صلب المسيح وقيامته»، أين يؤكد أن القرآن الكريم والكتاب المقدس يتفقان بشأن المعجزات العظيمة التي قام بها المسيح في أثناء خدمته في فلسطين لمدة ثلاثة أعوام، مع أن القرآن الكريم لا يذكر أبداً أن خدمة المسيح كانت في فلسطين ولمدة ثلاثة أعوام (2008، ص. 60). ومن ذلك أيضاً زعم المنصرين أن القرآن الكريم ينص على موت المسيح مصلوباً، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: 15)، في حين يغضون الطرف عن الآيات التي تنص على رفعه عليه السلام دون صلبه كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ

وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ (النساء:157)

- التستر بأسماء المسلمين في التنصير، حيث يستخدمون هذه الأسماء في مراسلاتهم مع المسلمين، وفي التوقيع على مقالاتهم المنشورة في المجلات المختلفة، حيث يذكر خالد زهري أن رئيس تحرير مجلة «كتابي» التنصيرية اسمه «محسن الشماع»، وفي مجلة «مفتاح المعرفة» يحمل المحررون أسماء من قبيل «عبد القادر، وسليم» والمقصود من ذلك واضح وهو تسهيل ذوبانهم في المجتمعات المسلمة (2008).

- تشويه التاريخ الإسلامي؛ حيث يجتهد المنصرون في تأكيد أن الإسلام قد انتشر بحد السيف وبالإكراه، وأن الجهاد في الإسلام ما هو إلا قتل هدفه السيطرة وتحصيل المغانم (عبد الرحمن، 2009).

- التشكيك في صحة رسالة النبي محمد (ﷺ)، من خلال الزعم بأن الأحاديث الشريفة إنما هي من تأليف المسلمين في القرون الماضية (عبد الرحمن).

- تشويه الفكر الإسلامي، وإنكار جدته وأصالته، والزعم بأنه فكر يوناني كتب بأحرف عربية، وأنه امتداد لليهودية والمسيحية (عبد الرحمن، 2009).

- الدعوة إلى القومية، والهدف من ذلك تفتيت وحدة العالم الإسلامي، وتقطيع أوصاله؛ فقد عملوا لبعث الفرعونية في مصر، والفينيقية في ساحل الشام، والآشورية في العراق، والبربرية في بلاد المغرب، ولما فشلت هذه الدعوات الإقليمية الضيقة، كان البديل هو التمسك بشعار العروبة، ورفع لوائها، باعتبارها انسلاخاً عن الإسلام (عبد الوهاب، 1981).

- إثارة الحروب الأهلية داخل البلدان الإسلامية؛ مثل: ليبيا، اليمن، العراق، السودان، سوريا...، من خلال زرع بذور الخلاف، وإشعال نار الفتن الداخلية، والهدف من ذلك هو دفع هذه الدول إلى استنزاف ثرواتها في شراء السلاح

عوض استثمارها في مجالات التنمية الحيوية، مما ساعد على تنمية التخلف بهذه البلدان، وجعلها في تبعية اقتصادية مستمرة للغرب. (عبد الرحمن، 2009).

- العمل على إبعاد قادة المسلمين الأقوياء من الحكم، حتى لا ينهضوا بالإسلام؛ حيث يقول المستشرق البريطاني **مونتجومري وات**: «إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإنه من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى» (العالم، 1982).
- العمل على قيام وطن قومي لليهود في فلسطين، يعمل على زعزعة الكيان العربي، ومن ثم تسهيل عمل المنصرين، وانتهاء بضم القدس إليهم بعد توطين اليهود فيها (أبو حمدة، 1983).

(ج) الوسائل المساندة

إلى جانب الوسائل المباشرة التي يستخدمها المنصرون في حملاتهم، سواء كانت صريحة أم خفية، تقليدية أم حديثة، ثمة وسائل عديدة ساندت المنصرين في تحقيق أهدافهم، وفتحت لهم الطريق للتوغل في البلاد الإسلامية لعل من أهمها: (النملة، 1993).

- **الاحتلال**: فمعظم البلاد الإسلامية كانت محتلة من قبل الأوروبيين، وقد ذلل المحتلون العقبات للمنصرين، وسمحوا لهم بإقامة مؤسساتهم التنصيرية في هذه البلاد، كما عملوا على هدم المؤسسات الإسلامية، والجزائر خير مثال على ذلك، حيث حولت أكبر مساجدها إلى كنائس.
- **الحكومات الغربية**: وهي على الرغم من علمانيتها، فإنها تبذل جهوداً كبيرة لمؤازرة المنصرين، ويظهر ذلك في الهبات والتسهيلات وتبني المشروعات التي تخدم الأهداف التنصيرية.
- المواطنون الغربيون: يساندون بقوة المنصرين في أعمالهم، أفراداً كانوا أو ممثلين لمؤسسات تجارية واقتصادية، من خلال التبرعات الضخمة التي تمثل مصدر الميزانيات المرتفعة التي تتمتع بها المؤسسات التنصيرية.

- ظروف الفقر والفاقة التي تخلفها الكوارث، والنكبات الطبيعية التي تلحق من حين إلى آخر بالبلاد الإسلامية، تجعل أهلها يقبلون بالمساعدات التي تقدم لهم، دون التفكير في مصدرها، أو أهدافها، أو الخلفية العقدية التي تغذيها.

- تفشي الأمراض والأوبئة ببعض البلاد الإسلامية ساعد على نجاح حملات التنصير القائمة على التطبيب والتمريض؛ لأن المرضى مستعدون للتعامل مع أي شخص يساعدهم على الشفاء، ولو كان ذلك باسم عيسى، عليه السلام.

- قلة الوعي بالدين، واختلاط الحق بالباطل عند كثير من عامة المسلمين، ساعد على استقبال أفكار المنصرين، لاسيما أن هؤلاء –في كثير من الأحيان– لا يدعون إلى ترك الصلاة أو الصيام أو أية علاقة بين العبد وربه، ولكنهم يشوهون هذه العلاقة بحيث لا تف بالغرض المطلوب منها. يقول أحد المنصرين في مؤتمر كولورادو 1978:

> «إن غالبية المسلمين الذين يحتمل أن يتنصروا هم من الذين يعتنقون ما يطلق عليه الإسلام الشعبي (أو إسلام العامة)، وهم أرواحيون يؤمنون بالأرواح الشريرة والجن، ويعرفون القليل جداً عن الإسلام الأصيل، كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التي يعتقدون أنها تمدهم بالقوة لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها» (ماكوري، د ت، ص. 252).

- الضمانات المالية والاجتماعية التي يتلقاها المنصرون من المنظمات والمؤسسات التنصيرية، والتي تشمل أولادهم وأهلهم أيضاً، ساعدت على دعم حركة التنصير بقوة.

- الحقد الدفين الموروث ضد المسلمين ساهم بقسط كبير في تشجيع حركة التنصير؛ فسيطرة الغرب التي لم تتحقق عن طريق الاستعمار المباشر، يمكن تحقيقها بطرق غير مباشرة، ولاسيما عن طريق التنصير.

- تساهل بعض الحكام ورؤساء القبائل وشيوخها، واستقطابهم للمنصرين، والترحيب بهم، وتقريبهم، وتقديم التسهيلات لهم، لإقامة مؤسساتهم التنصيرية، وممارسة مهامهم، أسهم بقسط كبير في تحقيق أهداف المنصرين.

4 - آليات مواجهة التنصير في العالم الإسلامي

إن طبيعة الصراع بين النصرانية ممثلة بتعاليم الكنائس المختلفة والإسلام، إنما هو صراع بين الحق والباطل، بين فلسفة وضعية غامضة ومتناقضة، ورسالة إلهية واضحة ومنطقية، يعترف العقل بسموها وتنزهها عن جميع أنواع الشبهات والمغالط، ويقر بضرورة التمسك بها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران: 85)

وما دامت أهداف التنصير قد وضحت، ووسائله في تضليل العقول واستمالة العواطف قد تحددت، زالت الحاجة إلى التساؤل عن سبل مقاومة هذا المد؛ بحيث يغدو وضع إستراتيجية شاملة وبعيدة المدى، مخططة ومدروسة بدقة، تستخدم فيها الوسائل المتنوعة والمنتقاة على نحو مكافئ لما يخطط له ويوظفه المنصرون أمراً منطقياً وملحّاً.

وإذا كان تحويل الناس عن مواريثهم الروحيَّة والاجتماعيَّة يتطلب كل هذه الإمكانيات المادية والبشرية، وكل هذا التخطيط والاحتيال، فإن تثبيتها أيضاً يتطلب التحلي بنفس العزيمة والإصرار؛ مما يفرض على ولاة المسلمين، وعلمائهم، ودعاتهم، والعاملين للإسلام الغيورين عليه (النملة، 1993).

- حث المسلمين على الرجوع إلى دينهم؛ لأن ابتعادهم الكبير عنه هو السبب في تسلط الأعداء عليهم، وذلك من خلال معرفة الإسلام الصحيح الخالي من الخرافات والأباطيل والبدع، والبعد عن الشرك بكلّ أنواعه.
- نَشْر العلم الشرعي الصحيح بين المسلمين في المساجد وخارجها؛ لأن تعلّم الشريعة وقاية من الوقوع ضحية الشبهات المضلّة، والشهوات المحرّمة.
- إرسال القوافل الدعويَّة والتعليميَّة إلى البلدان الإسلاميَّة، التي تتعرَّض لهذه الهجمة الشرسة، من أجل القيام بواجب الدعوة إلى الله، وتعليم وتفقيه المسلمين، وتحصينهم بالعقيدة الصحيحة، والتعاليم الإسلاميَّة السليمة، والقدوة الحسنة حتى لا يستطيع هؤلاء المنصِّرين النيل منهم، على أن يتسلَّح

هؤلاء الدعاة بالعلم الراسخ، والقدوة الحسنة، والحكمة والبصيرة، وسَعة الصدر، والصبر، والمرونة، وعدم الشدة، والسماحة في التعامل، وحسن القول، وأدب الخطاب، وأن يتسلَّحوا باللغة أو اللهجة الشائعة بين المدعوِّين. كما أنَّ عليهم أن يتدرَّبوا ويتأهَّلوا لأساليب الدعوة إلى الله، عزَّ وجلّ، وطرق القيام بها، حتى تكون دعوتهم ناجحةً ومثمرة.

- ضرورة ابتعاد العمل الدعوي عن التقليد والنمطية، وذلك بالبحث المستمر عن الجديد في الثقافة والمعلومة، في الوسيلة والطريقة، في المكان والتوقيت، مع توخي الإفادة والمتعة والتشويق.

- البعد عن التنافس والحسد والبغضاء بين الدعاة من علماء وطلاب، فالدعوة إلى الإسلام تستلزم تظافر الجهود لا تشتتها.

- على حكَّام المسلمين وولاتهم واجبٌ كبيرٌ تجاه من يرعونهم من المسلمين، في المحافظة على عقيدتهم، وثباتهم على دينهم، وذلك بألا يسمحوا لهؤلاء المنصِّرين بممارسة نشاطهم بين المسلمين، وأن يراقبوا تحرُّكاتهم وأنشطتهم، وأن يتحركوا سياسياً لمنع هذا النشاط. كما أنَّ عليهم واجباً تجاه المسلمين يتمثَّل في إقامة المؤسسات التعليميَّة والدعويَّة والتفقيهيَّة والتثقيفيَّة، وتوفير متطلَّباتها ومسلتزماتها الماديَّة والمعنويَّة، وتوفير الدعاة والمعلِّمين والمفقِّهين الأكفاء، كما أنَّ عليهم تسخير إعلامهم لتوعية المسلمين بدينهم، وتنبيههم لخطر التنصير المحدق بهم.

- التحذير من فكرة حوار الأديان، التي يتخذها النصارى وسيلة للدعوة العلنية إلى كفرهم بين المسلمين، والتنبيه على أن الحوار معهم ينبغي أن يُجريه علماء الإسلام الذين يتميّزون بالحصانة العلمية، والقدرة على الرد على أباطيلهم، وكشف زيف ادعاءاتهم، وليس عامة المسلمين.

- كشف أهداف المنصرين من خلال تنبيه المسلمين إلى أن الديانة النصرانية إنما أنزلت على بني إسرائيل فقط، وأنها ليست ديانة عالمية، فلماذا يقوم

المنصِّرون بالتنصير بين المسلمين، ولا يقومون بالتنصير بين اليهود الذين بُعث إليهم عيسى، عليه السلام؟!

- فضح أهداف التنصير من خلال التأكيد على أنَّها أهدافٌ استعماريَّةٌ استغلاليَّة، تسعى إلى التمكين للدول النصرانيَّة.
- بيان فساد المعتقدات النصرانيَّة وضلالها وانحرافها، وعدم استقامتها على ما جاء به عيسى، عليه السلام.
- على أغنياء المسلمين أن يقتطعوا جزءاً من أموالهم يرصدونه لدعم هذه المهمَّة: لكفالة الدعاة، والمعلِّمين، والمفقِّهين، ولبناء المساجد والمدارس والمعاهد، ولدعم المنظَّمات الخيريَّة والإنسانيَّة التي تقوم بخدماتها بين هؤلاء المسلمين؛ تعليما، وصحَّة، وإغاثة، ورعاية، فلا يستغل المنصّرون حاجتهم.
- استخدام كلِّ وسيلةٍ معاصرةٍ من شأنها نشر الوعي بين المسلمين، وتحذيرهم ممَّا يخالف دينهم، مثل وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئيَّة، وتقنيَّات الاتصال التي يمكن الاعتماد عليها بشكل واسع في إيصال صوت الإسلام إلى كل أنحاء المعمورة. إن الدعوة الإسلامية تحتاج بشكلٍ ملِحٍّ إلى إعلام متميِّزٍ ومتعدد الوسائل والأساليب، وعلى الرغم من أهميَّة الوسائل التقليدية؛ كالمسجد والدعوة الفردية في التأثير، فإن وسائل الاتصال الحديثة؛ كالإنترنت والأقمار الصناعيَّة والفضائيَّات ومواقع التواصل الاجتماعي، أصبحت ضرورةً ملحة لتحقيق أهداف الدعوة الإسلاميَّة، ومواجهة زحف التنصير.
- لابد أن تكون المادَّة التي يقدِّمها الإعلام عن الإسلام شاملة؛ فتتناول الإسلام وتاريخه وحضارته وأُمَّته، وحقائق العقيدة والشريعة والعبادات والأخلاق وشتَّى المعاملات، فترسم صورةً صادقةً لرسالة الإسلام.
- لابدَّ من الاهتمام بالأقليَّات المسلمة في العالم، وإشعارهم بأنَّهم موصولون بأُمَّتهم الكبرى، حتى لا يشعروا بالقطيعة والوحشة، فيستسلموا لما يُراد بهم ويذوبوا في أديان ومذاهب أخرى.

- الاهتمام بالمسلمين الجدد وتقديم المعونة لهم لتثبيتهم على التمسك بدين الإسلام.
- إقامة المؤتمرات الدعوية على المستويات المحلية والإقليمية والدولية.
- طباعة الكتاب الإسلامي وتوزيعه.
- خلق ائتلافات إسلامية في بلاد الإسلام وخارجها، الهدف منها توحيد الجهود، وتوجيه العمل، وتضافر الطاقات.
- لابدَّ لرجال هذه الحملة أن يكونوا أطول نفَسَاً وأشدَّ غيرةً وأرسخ قدماً؛ حتى يتسنَّى لهم خدمة دينهم على الوجه الأكمل. إن الدعوة للإسلام لا تمارس بفتور واسترخاء، ولا بنظرٍ قصيرٍ قاصر، وإذا كان غيرنا يبذل في سبيل التنصير جهوداً مضنية، فإن على دعاة الإسلام أن يبذلوا في سبيل دعوة الحق جهودا أكبر.

صعوبات الدراسة

قبل أن نختم هذه الدراسة، من المهم وضع القارئ في إطار الصعوبات التي يصطدم بها الباحث الذي يريد أن يقترب من بعض الحقائق التي تخص المسيحية كديانة سماوية، ومن أهمها:

- المسيحية كدين عرفت تطورات وتركيبات تاريخية عديدة، وانتشاراً واسعاً في أرجاء العالم، جعلت البحث فيها صعباً متعثراً، ربما أكثر من الديانات السماوية الأخرى؛ لأن الآراء حولها كثيرة، والأحكام فيها تختلف إلى حد التناقض، وأهم مشكل اعترض ويعترض الباحث إلى يومنا هذا، يكمن في **النصوص المصدرية الموثوق بها**، خاصة المصادر التي تتصل بفترة المسيح، عليه السلام؛ حيث لا توجد آثار عنه أو له مباشرة، وإنما كل ما كتب ودوّن كان بعد وفاته بمدة طويلة.

- عدم وجود مصادر مباشرة متفق عليها، ويعلّق على هذه المشكلة الباحث المسيحي الكبير شارل جنيبر (Charles Guignebert) بقوله:

«وأول الصعاب التي تعترضها [أي دراسة تاريخ المسيحية] نجدها في النصوص نفسها، التي تمتاز عن سائر النصوص الأخرى **بضعف السند، وبالاضطراب، وعسر التحقيق**. وأقدم هذه النصوص وأهمها –لأنها تتناول حياة المسيح والزمن الأول للعقيدة– هي تلك التي احتواها العهد الجديد والتي استلزمت قبل إمكان الاعتمادعليها، تحقيقاً نقدياً دقيقاً مطولاً، لم يوشك بعد على الانتهاء» (جنيبر، د ت، ص. 17).

- التناقض الموجود بين المصادر المتوافرة؛ أي بين الأناجيل المعتمدة، وهذه مشكلة لا تخفى على الباحثين المختصين.

- منع رجال الدين، المثقفين والمفكرين، من دراسة المسيحية دراسة نقدية، مع إخفائهم للكثير من الوسائل المساعدة في كشف الحقيقة. ويعلق جنيبر على سلوك رجال الدين، والكنيسة المتعمد في إخفاء الحقائق، بقوله: «ولقد ظل المدخل إلى معرفة المسيحية الأولى –حتى منتصف القرن التاسع عشر– محرماً تحريماً باتاً، على العلماء المنزهين من الغرض؛ أي على هؤلاء الذين لا يعنيهم استغلال الحقيقة لمصلحة مذهب معين، بل يبغونها خالصة لوجهها» (د ت، ص. 15). وطبعاً سلوك كهذا يستدعي الانتباه والتساؤل: لماذا يمنع رجال الكنيسة غيرهم من الدراسة والنقد والتمحيص؟ والإجابة تفصح عن نفسها، فالخوف من كشف الحقائق، وفضح التزييف والتحريف لدى العامة هو المبرر لهذا السلوك، ثم لم يكون الخوف، لو لم تكن أوراق الكنيسة تفتقد للنزاهة والمصداقية؟

هكذا، ولقرون «كان الرأي العام يؤمن بأن دراسة تاريخ المسيحية، إنما هي الساحة التي لا يجول فيها إلا رجال الكنيسة وأهل اللاهوت، وكان يؤمن بأنها لازمة من لوازم الدفاع عن المسيحية، أو في تعبير أكثر دقة– صورة من صور هذا الدفاع» (جنيبر، د ت، ص. 15).

مثل هذه الصعوبات، واجهت أهل الاختصاص المسيحيين أنفسهم قبل غيرهم؛ فالمسيحية كديانة ارتبطت باسم المسيح، وشخصية المسيح ارتبطت بالمعجزة،

والغرابة، والتقديس إلى درجة التأليه، وهذا عقّد الأمور أكثر منذ بدايتها الأولى، بل مع بداية مولد المسيح الذي لم يولد ولادة عادية. وكما يقول **النشار**:

«بدأ الاختلاف في هذا الراعي الصالح، وافتتن به مجامع الناس وبخاصة أنه لم يكن هناك نص إلهي مكتوب، بل كتب بعد عهود من الزمان، وبعد اختلاف بين التلاميذ، بجانب هذا سكت أصحاب الكتاب الأول أن يذكروه لا بخير ولا بشر، وأهملوا أنه كان وجد» (1966، ص. 52).

مثل هذه الاستنتاجات أو الملاحظات تعقّد الأمور أكثر، وتبرز مدى صعوبة الحديث عن المسيحية، خاصة بالرجوع إلى مصادرها. لكن الغريب في الأمر، أن يأتي الإسلام ويحدثنا عن شخص المسيح، والعقائد المسيحية التي تشكلت حوله، وموقفه منها، وهذا بعد سبعة قرون ليكون الوثيقة الوحيدة النادرة، التي تثبت وجود المسيح الأخير من مسيحي اليهود والمتمثل في عيسى بن مريم، حيث يفتتح الوحي الإلهي حادث المسيح بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الزخرف: 59)، وهو إصرار حاسم أمام أهل التوراة، الذين أنكروه ولفظوه، ولم يدعوا له مكاناً في تاريخهم، وليست التوراة سوى تاريخ لبني إسرائيل على مرّ القرون. وإصرار حاسم أمام أهل الأناجيل الذين اعتبروه إلهاً أو ابن إله (النشار، 1966) إذن، رفض شديد للمسيح من طرف اليهود مع أنه منهم، وإقبال شديد عليه من قبل أنصاره لدرجة تأليهه.

- صعوبة أخرى لغوية تواجه الباحث في التعامل مع المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع التنصير: فهل الأصح أن نقول ديانة **مسيحية وتبشير أم نصرانية وتنصير**؟ إن الكثير من مفكري الإسلام القدامى كابن تيمية، وابن حزم، والجاحظ، والمحدثين كمحمد الغزالي، وتقي الدين العثماني، ومحمد أبو زهرة، وعبد المجيد الشرفي، يرفضون استخدام كلمة مسيحية، على أساس أن المسيحية السمحة حُرّفت وغابت معالمها، مفضلين استخدام لفظة النصرانية، كما يرفضون مصطلح التبشير، ويفضلون القول بالتنصير، لذلك من الضروري الوقوف قليلاً عند هذه الإشكالية اللغوية ليس للحسم فيها، وإنما لإزالة اللبس الذي قد يقع ولتوضيح موقفنا منها.

المسيحية

من مَسَحَ والمَسْحُ: إمرار اليد على الشيء السائل، أو المتلطخ بغرض إذهابه، قال تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ (المائدة:6). ورجل ممسوح الوجه ومسيح: ليس على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب. والمسيح هو الصِدّيق، وهو اسم سيدنا عيسى، عليه السلام: قيل سمي بذلك لصدقه، ولأنه كان سائحاً في الأرض لا يستقر، وقيل لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه... فيبرئه بإذن **الله**، وقيل لأنه مُسح بالبركة ولِمَسْح زكريا له. وقد ورد اسم المسيح في القرآن الكريم، ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ (آل عمران:45). كما جاء في لسان العرب: «وروي عن أبي الهيثم أنه قال: المسيح بن مريم الصدّيق وضد الصدّيق، الدّجال، أي الضلّيل الكذّاب. خلق **الله** المسيحيْن: أحدهما ضد الآخر مسيح الهدى ومسيح الضلالة» (ابن منظور، 1968، ص.ص. 479–480).

وعلى الرغم من هذه التفسيرات اللغوية، لا يُعثر على أصل المسيحية كما تُوظف الآن كديانة سماوية تُطلق على أتباع المسيح، عليه السلام، ولا على تاريخ استخدامها بهذا المعنى. كذلك لو رجعنا إلى المصادر الإسلامية ما وجدنا في كتاب **الله** ولا سنة رسوله هذه التسمية، فالقرآن سماهم النصارى وأهل الكتاب وأهل الإنجيل. من هنا نحاول تعرّف معنى النصرانية المصطلح الذي درج كثيراً في المؤلفات الإسلامية التراثية، وفي كتب الملل والنحل والجدل والمناظرة، وفي متون مؤرخي الأديان عموماً.

النصرانية

«من نَصَر: النّصْر: إعانة المظلوم على عدوه. قال تعالى ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الحج:78)، والأنصار أنصار النبي، قال **الله** –عز وجل–: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ (الحج:15)، والمعنى من ظن من الكفار أن **الله** لا يظهر محمداً –ﷺ– على من خالفه فليختنق غيظاً. ونَصَرى ونَصْرى ونَاصرة ونَصُوريّة: قرية بالشام والنصارى منسوبون إليها. والتَنَصُّر: الدخول في النصرانية، ونَصَّرَهُ: جعله نصرانياً» (ابن منظور، 1968، ص.ص. 647 – 648).

وفعلا أطلق الله –سبحانه وتعالى– كلمة نصارى على أتباع المسيح، عليه السلام. قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران:52)، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ...﴾ (البقرة:62). وقد سمى النصارى أنفسهم بعدة صيغ؛ كالإخوة، أو الإخوة في الله، حتى أصبحت كلمة الأخ تخص رجل الدين، إلى جانب صفة القدسيين.

وفي هذه الدراسة، من الضروري التنبيه على أن الكثير من مفكري الإسلام يستخدمون كلمة «التنصير» لا «التبشير»؛ لأنهم لا يرون في هذا العمل أي بشارة، خاصة بالنسبة للمسلم الذي فاز بالإيمان، وبالتوحيد الخالص، المنزه عن أي تشويه، لذلك يفضلون استخدام ألفاظ «التنصير والنصارى والنصرانية « على «التبشير والمسيحيون والمسيحية»، معتمدين على عديد الأدلة، منها ما ورد ذكره في القرآن الكريم كما سبقت الإشارة.

والصعوبة اللغوية نفسها نجدها عند الترجمة، التي حرصنا فيها على أن نكون أمناء في نقل الأفكار والتصورات كما هي، وألا نخضعها لأي تأويل أو تكييف مذهبي، من ذلك استخدامنا كلمة المسيحية *(CHRISTIANISME)* بدل النصرانية، التي تنتشر في المؤلفات الإسلامية الكلاسيكية والحديثة؛ لأنها الأنسب في حال الترجمة؛ فقد درج مفكرو الإسلام، على استخدام لفظ مسيحية نسبة إلى عقائد المسيح الأصيلة التي لم يلحقها التحريف، أما العقائد التي حرّفت، ففضلوا إطلاق لفظ النصرانية عليها، وعموماً كلا اللفظين شائع الاستخدام والأهم تحليل المضامين.

هذه بعض الصعوبات المتعلقة بدراسة المسيحية ، و نأمل من وراء دراستنا الوقوف بدقة –قدر الإمكان– على أسباب انتشار هذه الديانة، وتحولها من دعوة محلية إلى عالمية يؤمن بها الملايين من البشر، وكذلك الوقوف على فعل التنصير أو التبشير كأداة فعالة في هذا التحول، ومن ثم تنبيه المجتمعات المسلمة لما يحاك ضدها، من قبل أشخاص يرتدون اللباس الديني مطية لتحقيق أغراض لا علاقة لها بالدين، ولا بالقيم الإنسانية.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج التي توضح كيف تحولت المسيحية من دعوة محلية محدودة قام بها المسيح –عليه السلام– مع تلاميذه وبعض الأتباع لمدة لا تتجاوز ثلاث السنوات، إلى رسالة عالمية لها ملايين الأتباع، أهمها:

- أن المسيح عليه السلام لم يقم بالتبشير إلا بين قومه من بني إسرائيل، وأن الذين تكفلوا بالتبشير بين الأمم، أشخاص آخرون كشف عنهم البحث والنقد التاريخي الحديث والمعاصر؛ مما يعني أن ما حققته المسيحية من توسع وانتشار يعود إلى عوامل عدة لا علاقة لها بالمسيح وتلاميذه. فما قام به بولس من تحريف وتنازلات عقدية، جعل اعتناق المسيحية أمراً متاحاً لأتباع المذاهب والأديان الأخرى.
- رفض معظم عرب الجاهلية الدخول في المسيحية مفضلين الوثنية، حتى جاءهم الإسلام فتحولت الحجاز بأكملها والبلاد المجاورة إلى الدين الجديد. هذا التحول للإسلام، أثار حفيظة رجال الدين المسيحي الذين سعوا بطرق متعددة إلى الدفاع عن دينهم ونشره، ويقف على رأس هذه الطرق حملات التنصير الواسعة، التي طالت بقاع العالم بأسره لتحويل المسلمين عن دينهم.
- لتحقيق أهداف التنصير المعلنة والخفية، لم يتوان المنصرون عن استغلال جميع الوسائل المشروعة، وغير المشروعة، فاتخذوا من الطب، والتعليم، والخدمات الاجتماعية، والإعلام، ستاراً يخفي حقدهم على الإسلام والمسلمين. كما تحالفوا مع قوى الاستعمار الحديث الذي استهدف العالم الإسلامي، وهي جريمة شنيعة في حق من يسمي نفسه رجل دين وسلام. وتحالفوا مع المستشرقين في تقديم صورة نمطية سلبية عن الإسلام والمسلمين، دون أن ننسى اتخاذهم للحوار الديني مطية للتنصير وتشويه الإسلام.
- لقد تحول التنصير تدريجياً إلى علم قائم بذاته، تُشرف عليه مؤسسات رسمية، تُرصد له الأموال الطائلة، والإمكانات الهائلة، والعقول المفكرة. تُعقد له المؤتمرات الدولية، وتُوضع له الإستراتيجيات التي يجري تحديثها بشكل مستمر

تناسباً مع معطيات العصر. وفي ظل العولمة والفضاء الافتراضي المفتوح، استطاع النشاط التنصيري أن يمتد إلى فئات اجتماعية أكبر، وأن يفتح أبواباً كانت في الماضي القريب مغلقة أمامه.

- أمام هذا الوضع تتضاعف مسؤولية المسلمين في الحقبة المعاصرة، فعظمة الإسلام والتراكمات التاريخية، والالتزامات الحضارية، والتحديات المعاصرة، تفرض عليهم بذل الكثير للحفاظ على دينهم واسترجاع قوتهم، واللحاق بالركب الحضاري، وفق عقلانية وكفاءة تعيدان للمسلم قوته واحترامه بين الأمم، وللإسلام عزه ومجده الذي هو عز للإنسانية جمعاء.

بناء على ما تقدم، تنتهي الدراسة إلى جملة التوصيات التالية:

- إنشاء مراكز إسلامية لمقاومة العمل التنصيري بين المسلمين، تعمل تحت مظلّة وزارات الشؤون الإسلاميّة في دول العالم الإسلامي، تسهر على رفع مستوى الوعي الديني بين المسلمين، من خلال تصحيح المفاهيم الدينية المغلوطة، والتعريف بمنابع العقيدة الإسلامية الصحيحة، ودفع الشبهات والمغالط التي تثار حول الإسلام ورموزه المقدسة، كما تكشف عن الأساليب التنصيرية الخفية التي تستهدف عقيدة الشباب المسلم.
- إنشاء جهة متخصصة في مقاومة العمل التنصيري بين المسلمين، تعمل تحت مظلّة رابطة العالم الإسلامي، أو منظمة التعاون الإسلامي، أو غيرهما، تسهر على تنسيق الجهود الدولية الاسلامية في وضع الإستراتيجيات المناوئة للعمل التنصيري، وتشرف على تنظيم المؤتمرات السنوية لمواجهة التنصير، بمشاركة كبار علماء الأمة الاسلامية ومفكريها.
- حجب الحكومات الإسلامية للمواقع الإلكترونية التنصيرية التي تثير الشبهات والشكوك حول الإسلام، أو تتطاول على رموزه المقدسة قدحاً وسباً، مع الاستفادة من خبرات المتخصصين في مجال علوم الحاسوب والوسائط الإلكترونية في إنشاء التطبيقات المجانيّة، والبرامج الحاسوبيّة، التي تعرف بالإسلام ومبادئه السمحة.

- تفعيل وزارات الإعلام في الدول الإسلاميّة للقنوات الفضائيّة والإذاعيّة، والصحف والمجلات، والمواقع الإلكترونيّة ذات الصبغة الدينية، التي تسهر على تعميق الوازع الديني لدى الأفراد، وعرض مبادئ العقيدة الصحيحة؛ لسد الطريق أمام الجهود التنصيرية.
- تضمين مادة التربية الإسلامية في المناهج التعليمية في جميع أطوار التعليم، وتطعيمها بمحاور تعرّف الطلبة بأهداف التنصير ومخاطره، والأساليب المستحدثة التي يُمارس من خلالها عبر العالم الافتراضي.
- تأسيس مراصد علمية إحصائية تهتم بظاهرة التنصير في الدول الإسلامية، تضم مختصين وباحثين أكاديميين يسهرون على جمع الإحصائيات الدقيقة حول النشاط التنصيري، يشخّصون التغيرات التي تطرأ على التركيبة الدينية في المجتمعات الإسلامية، يكشفون عن التطورات الحاصلة في السياسة التنصيرية، يتعرّفون الخصائص الديمغرافية للمتنصرين وحقيقة دوافعهم، ويقترحون إستراتيجيات المواجهة المناسبة.

المراجع

الكتب المقدسة

القرآن الكريم

الكتاب المقدس. (ط. 3). (2003). مصر: دار الكتاب المقدس.

ابن منظور. (1968). *لسان العرب*. (مج. 3). دار صادر للطباعة والنشر.

ابن هشام. (د ت). *السيرة النبوية*. (مج. 1). دار إحياء التراث العربي.

أبو حمدة، محمد علي. (1983). *الأخطبوط الصهيوني رأي العين*. مكتبة الرسالة.

أبو زهرة، محمد. (2010). *تاريخ الجدل*. دار الفكر العربي.

أبو زيد، أحمد. (2001). *التنصير*. www.salmajed.com/node/9826 مسطر.

إدريس، نعيمة. (2011). *الحوار المسيحي الإسلامي بين المصداقية والتشكيك*. مؤسسة كنوز للنشر والتوزيع.

أسد، محمد. (1987). *الإسلام على مفترق الطرق*. (فروخ، عمر، مترجم). دار العلم للملايين.

التميمي، عبد الجليل. (1973). *من ملامح التفكير التبشيري عند المسؤولين الفرنسيين في القرن التاسع عشر. في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي*. (مج. 3). تيزي وزو، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

توينبي، أرنولد. (1967). *مختصر دراسة التاريخ* (ط. 2)، ج. 3). (شبل، فؤاد محمد، مترجم). المركز القومي للترجمة.

الجبهان، إبراهيم السليمان. (1404 هـ). *ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير*. (ط. 2). الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء.

جريشة، علي. (1986). *الاتجاهات الفكرية المعاصرة*. المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر.

الجنحاني، حبيب. (1973). *حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر. في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي* (مج. 3). تيزي وزو، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

الجندي، أنور. (1985). *سموم الاستشراق في العلوم الإسلامية*. دار الجيل.

جنيبر، شارل. (د ت). *المسيحية: نشأتها وتطورها* (محمود، عبد الحليم، مترجم). المكتبة العصرية.

جورافسكي، أليكسي. (1996). *الإسلام والمسيحية*. عالم المعرفة.

الحسيني، محمود أبو الفيض المنوفي. (1970). *الدين المقارن*. دار نهضة مصر للطبع والنشر.

الحمد، عبد القادر شيبة. (1961). *الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة*. مطبوعات الجامعة الإسلامية.

حوراني، ألبرت. (د ت). *الفكر العربي في عصر النهضة 1798 - 1939*. (عرقول، كريم، مترجم). دار النهار للنشر.

خالدي، مصطفى، وفروخ، عمر. (1986). *التبشير والاستعمار في البلاد العربية* (ط. 3). المكتبة العصرية.

ديلاسي، أوليري. (1961). *الفكر العربي ومكانه في التاريخ*. (حلمي، مصطفى، مترجم). المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

دينيه، إيتيان وسليمان، إبراهيم. (د ت). *محمد رسول الله* ﷺ. (عبد الحليم، محمد، مترجم). دار الكتاب اللبناني.

ذراع، الطاهر. (1991). *الديانات القديمة في الحجاز قبل الإسلام*. ديوان المطبوعات الجامعية.

راسل، برتراند. (1968). *تاريخ الفلسفة الغربية* (ط. 2، ج. 2). (محمود، زكي نجيب، مترجم). مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

راسل، برتراند. (1977). *تاريخ الفلسفة الغربية* (ج. 3). (الشنيطي، محمد فتحي، مترجم). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

زهري، خالد. (2008). *الصليبيون الجدد والمسلمون، أية علاقة؟ وأي رهان؟* دار الكتب العلمية.

سبينوزا. (1981). *رسالة في اللاهوت والسياسة*. (ط. 2). (حنفي، حسن، مترجم). دار الطليعة.

شاتليه. أ .ل. (1980). *الغارة على العالم الإسلامي*. (ط. 2). (الخطيب، محب الدين واليافي، ساعد،مترجمان). منشورات العصر الحديث.

الشتري، محمد بن ناصر. (2003). *الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية*. مكتبة الملك فهد.

شرف، عماد. (1975). *حقائق عن التبشير*. المختار الإسلامي.

الشرفي، عبد المجيد. (1968). *الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/ العاشر*. الدار التونسية للنشر.

الشرقاوي، محمد عبد الله. (1993). *الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر*. دار الفكر العربي.

شلبي، رؤوف. (2005). *المجتمع العربي قبل الإسلام*. المكتبة العصرية.

شلبي، عبد الودود. (1987). *رسالة إلى البابا بولس السادس*. دار الأنصار.

شلبي، عبد الودود. (1989). *الزحف إلى مكة: حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي*. الدار السعودية للنشر.

شلبي، كرم. (1991). *الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب*. مكتبة التراث الإسلامي.

العالم، جلال. (1982). *قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله*. دار الأرقم.

عبد الرحمان، محمود. (2009). *التنصير والاستغلال السياسي*. دار النفائس.

عبد الوهاب، أحمد. (1981). *حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر*. مكتبة وهبة.

عبده، محمد. (1994). *رسالة التوحيد*. دار الشروق.

عثمان، فتحي. (1966). *مع المسيح في الأناجيل الأربعة* (ط. 2). دار القومية للطباعة والنشر.

العثماني، محمد تقي الدين. (1982). *ما هي النصرانية*. رابطة العالم الإسلامي.

علي، إبراهيم عكاشة. (1987). *ملامح من التنصير في الوطن العربي*. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

علي، توفيق. (1978). *الإسلام أمام افتراءات المفترين*. مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الغزالي، محمد. (1965). *كفاح دين*. دار الكتب الحديثة.

الغزالي، محمد. (1992). *صيحة تحذير من دعاة التنصير*. دار الثقافة والنشر والتوزيع.

الغزالي، محمد. (2005). *التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية*. نهضة مصر للطباعة والنشر.

الفاسي، علال. (1973). *نشاط التبشير ودوره الاستعماري التخريبي بالأمس واليوم وما يجب القيام به إزاء الخطر*. *في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي* (مج. 3). تيزي وزو، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

فروخ، عمر. (1966). *تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون*. دار العلم للملايين.

فوكوياما، فرانسيس. (1993). *نهاية التاريخ والانسان الأخير*. (شاهين، فؤاد وآخرون، مترجمون). مركز الإنماء القومي.

القعيد، إبراهيم حمد (1982). *المخططات التنصيرية بين المسلمين: تقييم لفلسفتها وإطارها الحركي*. رابطة الشباب المسلم العربي.

كساب، أكرم. (2004). *التنصير*. مركز التنوير الإسلامي.

الكعاك، عثمان. (1973). *التبشير والتخطيط التبشيري*. *في الملتقى السابع لتعرف الفكر الإسلامي (مج. 3)*. تيزي وزو، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

ماكوري، دون. م. (د. ت). *التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي*.

مطر، أميرة حلمي. (1998). *الفلسفة عند اليونان*. (ط. 2). دار الثقافة للنشر والتوزيع.

مظهر، سليمان. (1995). *قصة الديانات*. مكتبة مدبولي.

موسى، سلامة. (1927). *حرية الفكر وأبطالها في التاريخ*. إدارة الهلال.

الميداني، عبد الرحمن حنبكة. (1980). *أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها* (ط. 2). دار القلم.

النبهان، محمد فاروق. (2012). *الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره*. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

النشار، علي سامي. (1966). *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام* (ط. 4، ج. 4). دار المعارف.

النملة، علي إبراهيم. (1993). *التنصير: مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته*. دار الصحوة للنشر.

هنتنغتون، صامويل. (1999). *صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي* (ط. 2). ترجمة الشايب، طلعت. سطور.

Brillant, M., & Aidrain, R. (1954). *Histoire des religions* (tome 2). Bloud et Gay.

Bouamama, A. (1988). *La littérature polémique contre le christianisme depuis ses origines jusqu'au XIIIe siècles.* Entreprise nationale de livre.

Bultman, R. (1950). *Le christianisme primitif dans le cadre des religions antiques.* Traduit par Jundt, Payot.

Corbon, J. (1985). *Le dialogue Islamo- chrétiens dans la conjoncture du monde chrétien de 1950 - 1980* (Tome11). Islamo, Christiana.

Abstract

This paper aims to reveal a number of facts about Christianity and how it evolved from a local religious movement limited to the Israelites to a global faith. The researchers believe that this transformation was the result of distortions of the original message by Christian missionaries, probably the most notable of whom is Saul the Jew, better known as St. Paul the apostle who first proposed the concepts of the holy trinity, the edification, crucifixion, and reincarnation of Jesus. This paper also aims to define the historical relations between Christianity and Islam. For many fanatical Christians, this new religion, Islam was a serious threat, especially as it succeeded to spread quickly, that needed to be opposed through carefully planned proselytization. In their missionary efforts, these Christian extremists resorted to questionable methods that contravened the tenants of their religion. It is necessary, therefore, to reveal the true dangerous face of the missionary work underfoot in the Muslim world. This study adopted a historical approach to follow the development of Christianity and Christian proselytization, which has evolved into an independent field with clear aims and approaches. In addition, this study adopted the descriptive approach to present the contemporary overt and covert attempts at proselytization in the Muslim world. The researchers also employed the critical approach to determine the motives and objectives of the missionary activities in the target areas. Based on the findings of the study, it was concluded that Christian proselytization has not focused on convincing people to convert to Christianity, a religion of love and tolerance, as much as it has sought to fight Islam and weaken its influence wherever it exists. These proselytizing efforts receive significant financial and logistical support from particular anti-Islam secular entities, such as the European colonial authorities in Muslim countries, a number of orientalist scientific institutions, and political organizations. In addition, missionaries have tended to prey on vulnerable Muslims whether at home or overseas. Therefore, it is essential to view the activities of missionaries in Muslim countries with a reasonable degree of suspicion and to counter all proselytization efforts while raising the awareness of young Muslims of the danger they may be facing.

Key words: Christianity, Proselytization, Christianization, Missionary work, Islamic world.

The Author:

Dr. Ouassila Yaiche Khezzar

- Associate Professor, Higher School of Teachers, Assia Jabbar Constantine, Algeria, from 2012 to 2017.
- Professor, Higher School of Teachers, Assia Jabbar Constantine, Algeria, from 2017 to 2018.
- Associate Professor, Department of Sociology, University of Sharjah, from 2018 till now.
- Academic Coordinator for the College of Arts, Humanities, and Social Sciences at the University of Sharjah's Al Dhaid branch from 2019 to 2023.

Publications:

A - Books:

1- Ideology and Sociology: The Dialectics of Separation and Communication – Lebanon, Al-Ma'arif Forum, 2013.

2- Survey Design and Deployment Techniques – Algeria, Alfa Documents, 2018.

B - Articles :

1- “Women's Entrepreneurship in the United Arab Emirates: Characteristics, Motivations, and Challenges”, Al-Adab Journal (148), Baghdad University, Accepted for publication, 2024.

2- “Islamic Coexistence in the West and Its Challenges: A Sociological Study in Light of the Quran and Sunnah”, Journal of the University of Sharjah for Islamic Studies and Legal Sciences, 20 (2), 2023.

3- "Female Entrepreneurship: A Descriptive Analytical Study.", Al-Adab Journal (145), Baghdad University, 2023.

4- “Human Resource Development in Dubai from a Leadership Perspective: A Field Study on a Sample of Leaders in the Government, Semi-Government, and Private Sectors.”, Al-Adab Journal (146), Baghdad University, Accepted for publication, 2023.

5- "The Reality of Human Development for Emirati Women in Dubai: A Sociological Study on a Sample of Female Workers in Dubai.", Journal of the University of Sharjah for Humanities and Social Sciences, Sharjah University, Accepted for publication, 2023.

6- “The Effects of School Bullying on Victims of Bullying from the Teachers' Point of View and Ways to Confront it: A Field Study on a Sample of Teachers in Al Shula Private Schools in Sharjah.”, Al-Adab Journal (143), Baghdad University, 2022.

7- "An Examination of ibn Khaldun's Educational Views from a Sociological Perspective.", Al-Adab Journal (139), Baghdad University, 2021.

8- "Review of Previous Studies: Regulations and Considerations.", Al-Adab Journal (134), Baghdad University, 2020.

9- "Transformational Leadership among Department Heads at Mohammed Seddik Ben Yahia University, Algeria.", Al-Adab Journal (132), Baghdad University, 2020.

10- "Ideology in Western Thought: Diverse Perspectives and Multiple Meanings.", Al-Adab Journal (130), Baghdad University, 2019.

The Author:

Prof. Naima Idris

- PhD in Christian and Western Philosophy.
- Director of the Laboratory for Formation of Societies and Regional Dynamics, FOSDYT since 2012 till now.
- Chair of the Scientific Committee of the Philosophy Department, 2018.
- Member of the Scientific Council of the Higher School of Teachers, Assia Jabbar Constantine, Algeria.
- Member of the University Professor Ethics Committee.

Publications:

A - Books:

1- Abu Imran Alsheikh, Man of Civilizational Dialogue - Algeria, Al-Watan Publications, 2022.

2- Hassan Hanafi's Approach to Heritage, the Philosophy from Deconstruting Reality to its Reconstruction, in Hasan Hanafi from Heritage and Renewal to Restoration and Establishment, Philosophical Papers 82-83, UNESCO Chair of Philosophy, Zagazig University Branch, 2022.

3- Humanism in Religion and its Extensions in the Arab and Islamic World, Laboratory of Doctrinal Studies, and Comparative Religions, 2022

4- Anglo-American Philosophy from Deconstruting Reality to its Reconstruction. Algeria, Difaf Publications, AL-Ikhtilaf Publications, 2016

5- Applied Ethics: The Controversy of Values and Current Contexts of Science, Difaf Publications, Al-Ikhtilaf Publications, Lebanon, 2015.

6- The Philosophy of History, the Controversy pf the Beginning and the End and the Eternal Return, Ibn Al-Nadim Publishing, Dar Al-Rawafed Cultural Publishers, 2013.

7- Moral Philosophy from the Question of Meaning to the Dilemma of Procedure, Difaf Publications, AL-Ikhtilaf Publications, 2013

8- The Christian-Islamic Dialogue between Credibility and Skepticism. Algeria, Treasures of Knowledge, 2011.

B - Articles :

1- "The Perfect human Being between the Religious and Sufi Authority in the Islamic Sufi Discourse between the Contents of Privacy and the Goals of Morality and Coexistence". Algeria, Research Laboratory in Doctrinal Studies and Comparative Religions, 2019.

2- "Contemporary Islamic Thought and the Problem of the Method, Arkoun's Applied Islamism as a Model". Algeria, Treasures of Wisdom Foundation, 2018.

3- "Shawki Al-Zein, Features of His Thought. in the Encyclopedia of Contemporary Arab Philosophers". Egypt, Arab Philosophers Forum, 2017.

4- "Women's Liberation and the Authority of the Religious Text." Journal of the Egyptian Philosophical Society. Cairo, Al-Kitab Center for Publishing, 2017.

5- "Kant's Philosophy of Religion". Algeria, Professor's Forum Journal. Higher School of Teachers, 2016.

Doi 10.34120/0757-044-635-001
Monograph (635)

Christianity From a Local Movement to a Global Faith : A Study of the Causes of the Spread and the Techniques Used in Proselytization in the Muslim World

Prof. Naima Idris
Director of Laboratory For
Formation of Societies
Algeria

Ouassila Yaiche Khezzar,Ph.D.
Department of Sociology
University of Sharjah
United Arab Emirates

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES - KUWAIT UNIVERSITY

Editorial Board

- **Prof. Taghreed Alqudsi**
  Editor - in - Chief
  Department of Information Studies
  Kuwait University
- **Prof. Baqer Salman Alnajjar**
  Bahrain University - Bahrain
  Visiting Prof. Sociology and Social Service Department - Kuwait University
- **Prof. Numan M. Jubran**
  Irbid University - Jordan
  Visiting Prof. History Department - Kuwait University
- **Prof. Adnan Y. Alotoum**
  Psycology Department - Yarmouk University - Jordan
- **Prof. Mashael Al-Hamly**
  English Department and Literature
  Kuwait University
- **Dr. Abdullah Mohamed Aljasmy**
  Philosophy Department
  Kuwait University
- **Dr. Ibraheem Nagy Al-Hadban**
  Department of Political Science
  Kuwait University
- **Dr. Ahmed Mubarak AlHasem**
  Geography Department
  Kuwait University
- **Dr. Asad H. AL-Saleh**
  Arabic Department
  Indiana University - USA
- **Maha Ibrahim Al-Msad**
  Editorial Manager

Advisory Board

- **Prof. Basil Hatim**
  American University
  Sharjah - United Arab Emirates
- **Prof. Ibrahim Al-Sa'afin**
  Department of Arabic Language and Literature - Jordan University
- **Prof. Hamdi Hasan Abul Enein**
  Faculty of Mass Communication
  Misr International University
- **Prof. Sari Hanafi**
  President of the International Sociological Association - American University- Beirut
- **Prof. Mona Baker**
  Manchester University
  United Kingdom
- **Prof. Abdul Qader Al-Fasi Al Fehri**
  Department of Arabic Language and Literature -Mohammed V University
- **Prof. Abdullah Al-Walee'i**
  Geography Department
  King Saud University
- **Prof. Ma'moun Fandi**
  Director of London Institute of Strategic Studies - United Kingdom

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

Academic Publication Council - Kuwait University

REFEREED SCIENTIFIC QUARTERLY IN THE HUMANITIES, SOCIAL SCIENCES & LITERATURE

Volume 44, 2023

المؤلف:

أ. د. نعيمة إدريس

- دكتوراه فلسفة علوم في الفلسفة المسيحية و الغربية.
- مديرة مخبر تكوين المجتمعات وديناميكية الأقاليم FOSDYT 2021 حتى يومنا هذا.
- رئيسة اللجنة العلمية لقسم الفلسفة 2018.
- عضو المجلس العلمي للمدرسة العليا للأساتذة.
- عضو لجنة أخلاقيات الأستاذ الجامعي.

الإنتاج العلمي:

أولاً- الكتب:

1- أبو عمران الشيخ، رجل الحوار الحضاري، الجزائر، صادر من منشورات الوطن، 2022.

2- مقاربة حسن حنفي للتراث أصول الفقه أنموذجا، ضمن كتاب بعنوان حسن حنفي من التراث والتجديد إلى الإستئناف والتأسيس ، منشور بـ أوراق فلسفية 82-83 كرسي اليونسكو للفلسفة فرع جامعة الزقازيق، إصدار ملتقى الفلاسفة العرب، القاهرة ، 2022.

3- النزعة الإنسانية في الدين وامتداداتها في العالم العربي والإسلامي ،كتاب جماعي دراسات وأبحاث في مقارنة الأديان، منشورات مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، 2022.

4- الفلسفة الأنجلو أمريكية من تفكيك الواقع إلى إعادة بنائه كتاب جماعي. الجزائر، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، 2016.

5- الأخلاقيات التطبيقية جدل القيم والسياقات الراهنة للعلم، كتاب جماعي، إشراف خديجة زتيلي، منشورات ضفاف، منشورات الإختلاف، لبنان، 2015.

6- فلسفة التاريخ ،جدل البداية والنهاية والعود الدائم، كتاب جماعي، إشراف علي عبود المحمداوي، ابن النديم للنشر، دار الروافد الثقافية ناشرون، 2013.

7- الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، إشراف وتحرير سمير بلكفيف، منشورات ضفاف، منشورات اختلاف، 2013.

8- الحوار المسيحي الإسلامي بين المصداقية والتشكيك، منشورات كنوز المعرفة،2011.

ثانياً- الأبحاث:

1- الإنسان الكامل بين المرجعية الدينية والصوفية في الخطاب الصوفي الإسلامي بين مضامين الخصوصية ومقاصد الأخلقة والتعايش. الجزائر. منشورات كلية أصول الدين مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، 2019.

2- الفكر الإسلامي المعاصر وإشكالية المنهج، الإسلاميات التطبيقية لأركون أنموذجا. في قراءات للنماذج المعرفية في مجال العلوم الإنسانية. الجزائر، منشورات مؤسسة كنوز الحكمة، 2018.

3- شوقي الزين ملامح من فكره. منشور في موسوعة الفلاسفة العرب المعاصرين. مصر، إصدارات ملتقى الفلاسفة العرب،2017.

4- تحرر المرأة وسلطة النص الديني. مجلة الجمعية الفلسفية المصرية. القاهرة، منشورات مركز الكتاب للنشر،2017.

5- فلسفة الدين عند كانط . مجلة منتدى الأستاذ. منشورات المدرسة العليا للأساتذة، 2016.

المؤلف:

د. وسيلة يعيش خزار

- أستاذ مشارك، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة، الجزائر، من 2012 إلى 2017.
- أستاذ التعليم العالي، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة، الجزائر، من 2017 إلى 2018.
- أستاذ مشارك، قسم علم الاجتماع، جامعة الشارقة، من 2018 إلى يومنا هذا.
- المنسق الأكاديمي لكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بفرع الذيد من 2019 إلى 2023.

الإنتاج العلمي:

أولاً- الكتب:

1- الإيديولوجيا وعلم الاجتماع: جدلية الانفصال والاتصال، لبنان، صادر من منتدى المعارف، 2013.

2- تقنيات تصميم وتفريغ الاستبيان، الجزائر، صادر من ألفا للوثائق، 2018.

ثانياً- الأبحاث:

1- ريادة الأعمال النسائية بدولة الامارات العربية المتحدة: السمات، المحفزات والتحديات. منشور بمجلة الآداب (148) – جامعة بغداد، مقبول للنشر، 2024.

2- التعايش الإسلامي في الغرب وتحدياته: دراسة اجتماعية في ضوء القرآن والسنة. منشور بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، 2023.

3- ريادة الأعمال النسائية بين الواقع والمأمول: دراسة وصفية تحليلية. منشور بمجلة الآداب (145)، جامعة بغداد، 2023.

4- تنمية الموارد البشرية في إمارة دبي من منظور قيادي: دراسة ميدانية على عينة من القياديين في القطاع الحكومي وشبه الحكومي والخاص. منشور بمجلة الآداب (146)، جامعة بغداد، مقبول للنشر، 2023.

5- واقع التنمية البشرية للمرأة الإماراتية في إمارة دبي: دراسة سوسيولوجية على عينة من العاملات بإمارة دبي. منشور بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشارقة، مقبول للنشر، 2023.

6- آثار التنمر المدرسي على ضحايا التنمر من وجهة نظر المعلمين وسبل مواجهتها: دراسة ميدانية على عينة من المعلمين بمدارس الشعلة الخاصة بمدينة الشارقة. منشور بمجلة الآداب (143)، جامعة بغداد، 2022.

7- قراءة في الآراء التربوية لابن خلدون من منظور سوسيولوجيا التربية. منشور بمجلة الآداب (139)، جامعة بغداد، 2021.

8- مراجعة الدراسات السابقة: ضوابط واعتبارات. منشور بمجلة الآداب (134)، جامعة بغداد، 2020.

9- القيادة التحويلية لدى رؤساء الأقسام بجامعة محمد الصديق بن يحي الجزائر. منشور بمجلة الآداب (132)، جامعة بغداد، 2020.

10- الأيديولوجيا في الفكر الغربي بين تنوع الرؤى وتعدد الدلالات. منشور بمجلة الآداب (130)، جامعة بغداد، 2019.

فهرس المحتـوى

الملخص **15**

المقدمة **17**

المبحث الأول: ظهور المسيحية وانتشارها وعلاقتها باليهودية **23**

1 - ظهور المسيحية وانتشارها **23**

(أ) مولد المسيح: حياة قصيرة ودعوة محدودة **23**

(ب) أسباب انتشار المسيحية **25**

2 - الأصول اليهودية للمسيحية **27**

3 - القديس بولس وعالمية المسيحية **30**

المبحث الثاني : المسيحية في بلاد العرب قبل الإسلام **37**

1 - دخول المسيحية البلاد العربية ومواضع انتشارها **37**

2 - طرق انتشار المسيحية في بلاد العرب وتسربها إليها **39**

3 - عدم تقبل العرب للمسيحية وجدالهم مع رجالها **41**

المبحث الثالث : ظهور الإسلام بأرض الحجاز بين العرب **43**

1 - موقف النصارى من الدّين الجديد **43**

2 - اللقاء الأول للإسلام بالمسيحية **44**

3 - تطور العلاقات المسيحية الإسلامية **46**

(أ) المرحلة الأولى **46**

(ب) المرحلة الثانية **47**

4 - انتشار الإسلام واستمرار العلاقة **48**

المبحث الرابع : التنصير في العالم الإسلامي .. البداية والتطورات 53
1 - تاريخ التنصير (التبشير) 54
2 - مدارس إعداد المنصـرين المبشـرين 56
3 - مراحل التنصير التبشير 59
4 - تحالفات التنصير لتحقيق أهدافه 63
(أ) تحالف التنصير مع دوائر الاحتلال 63
(ب) تحالف التنصير مع مؤسسات حوار الأديان 69
(ج) تحالف التنصير مع الاستشـراق 71
المبحث الخامس: واقع التنصير في العالم الإسلامي وسبل مواجهته 77
1 - دوافع التنصير في العالم الإسلامي 77
2 - أهداف التنصير في العالم الإسلامي 79
3 - وسائل التنصير في العالم الإسلامي 81
(أ) الوسائل الصـريحة 82
(ب) الوسائل الخفية 84
(ج) الوسائل المساندة 95
4 - آليات مواجهة التنصير في العالم الإسلامي 97
الخاتمة 105
المراجع 108

الملخّص

هدف الدراسة: تهدف الورقة البحثية إلى الكشف عن حقائق تتصل بالديانة المسيحية، وكيف تحولت من مجرد دعوة محلية مقتصرة على بني إسرائيل، إلى دعوة عالمية عبر التحريف الذي تعرضت له على يد المبشرين، وأبرزهم شاؤول اليهودي المعروف ببولس الرسول، مؤسس عقائد التثليث، وتأليه المسيح، وصلبه وتجسده. كما تهدف إلى تشخيص العلاقة التاريخية للمسيحية بالإسلام، هذا الدين الجديد الذي نجح في الانتشار، مثيرا تخوف المسيحيين المتعصبين الذين رأوا فيه منافسا خطيرا، فعمدوا إلى محاربته بنشاط تنصيري مخطط، مستخدمين وسائل غير شرعية لخدمة أغراضهم التي لا علاقة لها بالدين، ومن هنا تأتي ضرورة كشف خطورة التنصير الجاري في العالم الإسلامي ومواجهته. **المنهج**: اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي في تتبع تطورات الديانة المسيحية والتنصير الذي تحول إلى علم قائم بمناهجه وأهدافه، والمنهج الوصفي في رصد واقع التنصير في العالم الاسلامي ووسائله الصريحة والمستترة، والمنهج النقدي في الوقوف على دوافع النشاط التنصيري وأهدافه. **النتائج**: خلصت الدراسة إلى أن التنصير لا يهدف إلى حمل البشر على اعتناق المسيحية دين المحبة والتسامح، بقدر ما يسعى جاهدا لضرب الإسلام وإضعاف شوكة المسلمين في جميع بقاع العالم. كما أنه لا يعمل بمفرده، وإنما من خلال التحالف مع قوى علمانية معادية للدين والأخلاق كقوى الاحتلال الذي طال العالم الاسلامي، وعديد الهيئات العلمية كالاستشراق، والمؤسسات السياسية من منظمات وحكومات علمانية داعمة له بالمال والوسائل التكنولوجية، فضلا عن استغلاله لآلام الفئات المسلمة الضعيفة داخل وخارج أوطانها، لحملها على اعتناق المسيحية. مما يوجب الحذر وعدم الثقة فيما يقوم به رجال الدين المسيحي، والعمل على مواجهة خطط التنصير بكل الآليات الممكنة، وتنبيه الشباب المسلم المستهدف لخطورة ما يحاك ضده.

الكلمات الدالة (المفتاحية): المسيحية، النصرانية، التبشير، التنصير، العالم الإسلامي.

المقدمة

يشهد العالم الإسلامي نشاطاً تنصيرياً واضحاً، تُنفق من أجله الأموال الطائلة، وتُبذل الجهود الهائلة، وتُعد الخطط، وُتحاك المؤامرات، وتُنظم المؤتمرات؛ الهدف منه تنصير أكبر عدد ممكن من المسلمين، أو إفساد عقيدتهم، وتشويه فكرهم بأنواع الشبهات، وأصناف المغالطات، أو إخراجهم من الإسلام جملة وتفصيلاً إلى أي دين آخر أو مذهب فلسفي، أو حتى إخراجهم من الإسلام إلى الإلحاد.

لقد أدرك المنصّرون عبر تاريخهم الطويل، أن الأمة الإسلامية قد تضعف، ولكنها لا تموت، وقد تغفو، ولكنها لا تنام، وقد تُهزم، ولكنها لا تباد، ومهما كانت الحرب معها سجالاً، فالغلبة لها في النهاية ما جعلت إعلاء كلمة **الله** هدفها المنشود. لذلك نجدهم يلجؤون كل يوم إلى بدائل جديدة، ويفكرون في أساليب مستحدثة تفتح أمامهم أقصر السبل وأسرعها إلى هدم هذه العقيدة الراسخة.

لقد أصبح التنصير علماً قائماً بذاته، له مؤسساته التعليمية، ومناهجه، ودراساته، ونظرياته، ولأنه يمثل شكلاً من أشكال الغزو الفكري والعقدي الذي يهدد كيان الأمة الإسلامية، ويعمل جاهداً لضرب أواصر وحدتها، فإن الوقوف على حقيقة دوافعه، وخطورة أهدافه، ونوعية الوسائل التقليدية والمعاصرة التي يستخدمها بذكاء كبير لتحقيق هذه الأهداف، يعتبر أولوية ملحة.

وقبل الخوض في حيثيات العمل التنصيري، فإن الضرورة العلمية تفرض الرجوع أولاً إلى بداية الديانة المسيحية وتطورها، ثم انتشارها، باعتبارها الديانة التي يتخذها المنصّرون مصدراً ومتكأً لتبرير نشاطهم التنصيري وإعطائه الشرعية؛ لنعرف وبعمق مدى صدق ادعاءات المنصرين،لاسيّما أن أغلب البحوث التاريخية المتصلة بالمسيحية، التي قام بها متخصصون ورجال لاهوت، تؤكد أن المسيح –عليه السلام– لا علاقة له بالمسيحية الحالية، ولا بعقائدها وطقوسها من تأليه وصلب وتجسد...إلخ، ولا بالتبشير المزعوم الجاري تنفيذه.

أهداف الدراسة

تروم الدراسة تحقيق الأهداف التالية:

1- المعرفة التاريخية بحقيقة الديانة المسيحية، والوقوف على تطوراتها، وأسباب انتشارها خاصة التي تعود للقديس بولس.

2- الوقوف على حقيقة التنصير وبداياته وتطوره، وممارساته اللاأخلاقية لتحقيق أهدافه في العالم الإسلامي.

3- توعية الشباب المسلم بالخطر المحدق بعقيدتهم، وتعريفهم بالوسائل المستخدمة في تشويه فكرهم العقدي، واستمالتهم إلى اعتناق العقيدة النصرانية.

4- الإسهام في وضع إستراتيجية مقاومة، شاملة، حديثة، مكافئة، وقادرة على مواجهة هذا الغزو التنصيري.

تساؤلات الدراسة

على ضوء ما تقدم، تطرح الدراسة التساؤلات التالية:

- هل دعا المسيح –عليه السلام– حقيقة إلى التبشير؟
- أنفّذ تلاميذ المسيح وصية معلمهم وبشروا بكلمة السيد المسيح؟ أم أن السيد المسيح لم يُرسل إلا لبني إسرائيل، وأن دعوته محلية تخص قومه فقط؟
- كيف تطورت المسيحية من ديانة محلية إلى ديانة عالمية؟
- كيف بدأ العمل التنصيري في العالم الإسلامي؟ وما أهدافه ووسائله التقليدية منها والمعاصرة؟
- ما الآليات التي يمكن توظيفها لمواجهة الغزو التنصيري؟

أهمية الدراسة

يحظى موضوع الدراسة بأهمية بالغة؛ بالنظر إلى تعاظم الخطر التنصيري في الحقبة المعاصرة؛ بحيث يمكن القول إن الثورة الاتصالية التي نعيشها اليوم تمثل علامة فارقة بين عصرين من عصور الحركة التنصيرية: عصر التنصير التقليدي الذي اعتمد بشكل أساسي على البعثات التبشيرية، والتحالف مع الجهود الاستشراقية والاستعمارية، وعصر التنصير الجديد الذي يعتمد بشكل مكثف على الوسائط الإعلامية المتنوعة التي تتيحها شبكة المعلومات العالمية، والتي تسمح باختراق المسلمين واستهداف شبابهم فكرياً وعقائدياً. لقد لعبت الخدمات التفاعلية التي تتيحها هذه الشبكة، وما توفره من استقلالية وحرية في التواصل، دوراً بارزاً في ظهور شبكات تنصير عالمية– كاتحاد التنصير عبر الإنترنت– تستخدم تكنولوجيا الاتصال لتنفذ إلى مساحات كانت محظورة عليها في الماضي، وتتفاعل مع شرائح ديمغرافية متنوعة؛ مما أدى إلى اتساع رقعة التنصير، وتحديث وسائله؛ مما يعني أن ظاهرة التنصير في العالم الإسلامي ظاهرة متجددة متطورة، تستلزم إستراتيجيات مواجهة على المستوى نفسه من التخطيط والتحديث، وهو ما تسعى الدراسة إلى بيانه.

منهج الدراسة

اعتمد في إعداد هذه الدراسة على ثلاثة مناهج:

- **المنهج التاريخي**: استخدم عند التعرض لبداية دعوة المسيح، وأصولها اليهودية، وعند تشخيص مختلف المراحل التي قطعتها المسيحية في انتشارها، وتحديداً في البلاد العربية، وعند تتبع التطور التاريخي للعلاقات المسيحية الإسلامية، وأيضاً عند الوقوف على البدايات التاريخية للتنصير كعلم قائم بذاته، والتطورات الحاصلة في أهدافه ووسائله وإستراتيجياته.
- **المنهج الوصفي**: استخدم عند وصف أهداف التنصير، ووسائله، وآليات مواجهته.

- **المنهج النقدي**: وظّف في ثنايا الدراسة وفي مواضع عدة؛ من أجل الوقوف على حقيقة تطور الديانة المسيحية، والأسباب الفعلية في انتشارها، والدوافع الحقيقية للنشاط التنصيري، وفي إبراز بشاعة التحالفات والمؤامرات التي قام بها المنصّرون لضرب الإسلام والمسلمين.

لهذا الغرض قسمت الدراسة إلى خمسة مباحث، مذيلة بمقدمة تمهيدية تضمنت التعريف بموضوع الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، ومناهجها، ومباحثها. وخاتمة استنتاجية تضمنت أهم نتائج الدراسة. مع التطرق بإيجاز للصعوبات التي تواجه الباحث الذي يروم الكتابة عن الديانة المسيحية.

تطرق المبحث الأول إلى **ظهور المسيحية وعوامل انتشارها وعلاقتها باليهودية**، وقد تضمن العناصر التالية:

1- ظهور المسيحية وانتشارها.

2- الأصول اليهودية للمسيحية.

3- القديس بولس وعالمية المسيحية.

تطرق المبحث الثاني إلى **ظهور المسيحية وانتشارها في بلاد العرب قبل الإسلام**، وقد تضمن العناصر التالية:

1- دخول المسيحية البلاد العربية ومواضع انتشارها.

2- طرق انتشار المسيحية في بلاد العرب وتسرّبها إليها.

3- عدم تقبل العرب للمسيحية وجدالهم مع رجالها.

تطرق المبحث الثالث إلى **ظهور الإسلام بأرض الحجاز بين العرب** وتطور العلاقات المسيحية الإسلامية، وقد تضمن العناصر التالية:

1- موقف النصارى من الدين الجديد.

2- اللقاء الأول للإسلام بالمسيحية.

3- تطور العلاقات المسيحية الإسلامية.

4- انتشار الإسلام واستمرار العلاقة.

تطرق المبحث الرابع إلى **بدايات التنصير في العالم الإسلامي وتطوراته**، وقد تضمن العناصر التالية:

1- تاريخ التنصير «التبشير».

2- مدارس إعداد المنصّرين «المبشرين».

3- مراحل التنصير «التبشير».

4- تحالفات التنصير «التبشير» لتحقيق أهدافه.

وتطرق المبحث الخامس إلى **واقع التنصير في العالم الإسلامي من حيث دوافعه، أهدافه، وسائله وآليات مواجهته**، وقد تضمن العناصر التالية:

1- دوافع التنصير في العالم الإسلامي.

2- أهداف التنصير في العالم الإسلامي.

3- وسائل التنصير في العالم الإسلامي.

4- آليات مواجهة التنصير في العالم الإسلامي.

المبحث الأول

ظهور المسيحية وانتشارها وعلاقتها باليهودية

تدخل دعوة المسيح –عليه السلام– ضمن سلسلة أنبياء بني إسرائيل، وعلى الرغم من بساطة دعوته وقصرها، إلا أنها عرفت تطورات عجيبة ومعقدة، جعلت الباحثين يبذلون جهوداً مضنية، لفك طلاسم هذا التطور والتعقيد. والحقيقة أن الباحثين المختصين في المسيحية، ما زالوا على الرغم من النتائج المعتبرة المحققة، يقولون إنهم في بداية الطريق، وسبب ذلك أن المسيحية تشربت من روافد أديان وحضارات وثقافات متعددة، ما جعل معالمها الأصلية تكاد تغيب.

1 - ظهور المسيحية وانتشارها

إن ظهور المسيح أو المسيحية ديانة لا يطرح أي إشكال؛ فالحدث لا يعتبر غريباً أو خارقاً في جوهره عن العادة والمألوف، على العكس؛ فظهور نبي جديد أمر مألوف بالنظر إلى سلسلة الأنبياء السابقين للمسيح، عليه السلام؛ إذ ظهرت المسيحية ديناً سماوياً جديداً في الشرق القديم على وجه التحديد في بلاد الشام التي قد شهدت صراعاً بحكم موضعها المهمّ معبراً بين قارات العالم القديم. إن ظهور نبي جديد بأرض الشام أمر تعوّد عليه الناس، لكن غير العادي هو ميلاد المسيح نفسه الذي أثار الكثير من الدهشة والجدل الذي وصل حد الفتنة والافتراء.

(أ) مولد المسيح: حياة قصيرة ودعوة محدودة

كما هو معروف ومذكور في الإنجيل والقرآن الكريم، فقد ولد عيسى –عليه السلام– من غير أب وأمه مريم العذراء، في بيت لحم «على أيام الإمبراطور الروماني الأول أغسطس *Auguste* عام 4 ق م، وهيرودس *Hérode* ملك اليهودية، ولا نجد اليوم سجلاً موثوقاً به لحياة سيدنا عيسى، عليه السلام (العثماني، 1982، ص: 104). من هنا تبقى الأناجيل هي المصدر الأول على الرغم من التحفظات الكثيرة حولها. وقد اختلف في تحديد تاريخ ميلاده بالضبط، لكن العام الرابع ق م هو المرّجح لدى أغلب المؤرخين.

من هنا بدأت رحلة المسيحية، وما أثير حولها من قصص ومعجزات، بدأت بمعجزة ميلاده أصلاً دون أب، ثم نطقه في المهد كما يذكر القرآن، ولم تتعرض له الأناجيل، المهم الدهشة تملكت الجميع وأطلق على ليلة مولده «الليلة العجيبة».

وتذكر معظم الأناجيل حادث ميلاد المسيح؛ ففي إنجيل متّى مثلاً ورد: «**أما ولادة يسوع المسيح: فكانت هكذا، لما كانت مريم مخطوبة ليوسف، قبل أن يجتمعا، وجدت حُبلى من الروح القدس، فيوسف رجلها إذ كان باراً... ولم يشأ أن يشهرها**» (متى الإصحاح 18: 19/1) بل لم يذكر ذلك إطلاقاً؛ لأنه رأى رؤيا تقول له إن مريم حبلى، ولكنها عفيفة، المهم بعد ميلاده تربّى المسيح في حضن أمه ويوسف النجار.

نشأ المسيح كأي طفل عادي في ظل أسرته، إلى أن بدأت تظهر عليه علامات النبوة، فاضطرت أمه لأن تهاجر به؛ خوفاً من اليهود، فذهبت به إلى مصر ثم عادت به. وكان من عادة اليهود أن يحتفلوا بالطفل عندما يبلغ سن الثانية عشرة. «إذ يصير ابن الناموس، ويتحمل تكاليف الدّين، ويباح له أن يذهب إلى الأعياد» (عثمان، 1966، ص: 28)، فكانت فرصة أن يذهب المسيح رفقة والديه إلى القدس، ويحضر عيد الفصح، وكان قد لفت انتباه رجال الدين اليهود بعد مناظرته لهم؛ بحيث دهشوا «من فهمه وأجوبته، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها» (عثمان، 1966، ص: 28).

بعد هذا الحادث أو الرحلة رجع المسيح إلى مدينة الناصرة، وواصل مرحلة شبابه التي سجلت اشتغاله بالنجارة، خاصة بعد وفاة يوسف النجار. في هذه الأثناء كان يوحنا المعمدان يعلن للناس قرب ظهور المسيح، الذي تحدثت عنه التوراة، ويدعو الناس للتوبة، وأخذ يُعمّد الناس بنهر الأردن للتكفير عن خطاياهم استعداداً لاستقبال المسيح. في هذه الأثناء كان المسيح قد بلغ الثلاثين من عمره، وجاء هو أيضاً من الجليل إلى الأردن ليُعمّد بحسب الطقوس اليهودية، لكن يوحنا رد عليه قائلاً: «**أنا محتاج إلى أن أتعمد منك وأنت تأتي إلي**» (متى الإصحاح 3: 14). المهم عيسى –عليه السلام– تعمّد، وبعدها مباشرة، كما تذكر الأناجيل، تعرّض لمطاردة الشيطان؛ بهدف اختباره. هذه المطاردة استغرقت أربعين يوماً، ليخرج منتصراً، ويعود إلى الجليل ليلتقي بتلاميذه، ويبدأ في نشر دعوته التي استغرقت ثلاث سنوات، كما يذكر.

دعوة بدأت عادية وهادئة، ببعض التلاميذ والأنصار من بني إسرائيل لفعل الخير، أعلن فيها قرب ملكوت **الله**، «**وكان يسوع يطوف كل الجليل، يعلّم في مجامعهم، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مريض وكل ضعف في الشعب، فذاع خبره في جميع سورية**» (متى الإصحاح 23: 4/24).

بدأت الأحداث المؤلمة تأتي من قبل اليهود، الذين لم يؤمنوا بالمسيح، وكادوا له بكل الوسائل ليقرروا قتله في نهاية الأمر، بعد محاكمة صورية، أصدرت قرار الموت أو بالأحرى الصلب، الذي أنهى حياة المسيح.

هذا باختصار موجز حياة المسيح ودعوته، كما وردا في الإنجيل. وعلى فرض صحة أن المسيح صُلب، ثم صعد إلى السماء، فإن الأحداث والتطورات التي وقعت بعده كانت بعيدة عن كل التوقعات، بل إن المسيح نفسه لم يخطط أو يتطلع لها في حياته، فهو لم يكن إلا صاحب دعوة جديدة لبني إسرائيل، تقوم على التوحيد بالله –سبحانه وتعالى– والابتعاد عن الغلوّ، بعد أن فقدت اليهودية جوهرها، ثم إن المسيح دعا إلى أنبل القيم الإنسانية، وحتى معجزاته كانت ذات دلالات روحية، وكأنه يريد القول لبني إسرائيل: الإنسان مادة وروح، وليس مادة فقط. لكن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة:

كيف آلت المسيحية إلى هذا المصير الذي تعرفه اليوم، من عقائد الصلب والتجسّد والتثليث...، التي لا علاقة لها بالمسيحية الأولى أو تعاليم المسيح، عليه السلام، والسؤال الأهم، كيف وصلت إلى العالمية بعد أن كانت دعوة محدودة تخص اليهود فقط؟

(ب) أسباب انتشار المسيحية

إن الإجابة عن هذه التساؤلات يكتنفها ظلام دامس، وعلى الرغم من ذلك فإن المصادر والمعلومات المتاحة، تدل على أن تلاميذ المسيح، عليه السلام، بعد صعوده إلى السماء، حملوا على عاتقهم التبشير بالمسيحية، مقاومين عواصف المعارضات، وكان النجاح الملموس حليفهم على الرغم من الصعوبات (العثماني، 1966، ص: 104)،

ومع ذلك لا يمكن رد نجاح المسيحية وانتشارها والتحريف الذي لحق بها إلى تلاميذ المسيح، وإنما إلى عوامل كثيرة، أسهمت في جريان الأحداث على ذلك المنوال.

يقول اللاهوتي **شارل جنيبر**:

«إن سر نشأة هذا الدين وطبيعته الأولى، يجب الرجوع في دراسة جوانب كثيرة منها، إلى حضارات سوريا وآسيا الصغرى ومصر، وكذلك بلاد ما بين النهرين، وكل هذه البيئة الشرقية التي ظهر فيها بادئ ذي بدء، ثم وجد العناصر الأولى للحياة والانتشار» (د ت، ص: 19).

وفعلاً تأثر المسيحية بهذه العوامل الخارجية القريبة منها والبعيدة، يمكن أن يكشف عن سر تلك التحولات التي نجد ما يشبهها ويماثلها، خاصة في الحضارات الشرقية والفلسفة اليونانية، من هنا نحاول الوقوف على أهم الأسباب التي ساعدت في انتشار المسيحية لتصبح عالمية.

هي أسباب عديدة، منها ما يعود إلى مبادئها التي دعت إلى الحب والتسامح، ومنها ما يعود إلى عوامل خارجية دخيلة عليها، المهم أن كلاً من السببين الداخلي والخارجي أسهم في انتشار هذه الديانة، ويمكن حصر أهم الأسباب في الآتي:

- جاءت المسيحية والمناخ الفكري السائد مهيأ لها، باعتبار أن بريق الفلسفة اليونانية بدأ في الأفول، وآلهة الوثنية لم يعد الناس يعبؤون بها؛ لتأثرهم بكتابات فلاسفة اليونان أنفسهم، والشيء نفسه يقال عن سلوك الرومان نحو الآلهة، الذي كان ينمّ عن سخرية واستهزاء، من هنا كان استعداد الناس للإيمان بإله واحد من خلال الدين الجديد متوافراً (جنيبر، دت؛ راسل، 1966).
- كذلك شهدت المسيحية توسع الإمبراطورية الرومانية، التي كان على أرضها شعوب وثقافات وأديان مختلفة، وعندما ظهرت المسيحية على هذه الأراضي، التقت هذه الثقافات والأديان واستطاعت أن تجلب إليها الكثير من الشعوب والأجناس؛ لأنهم وجدوها ديانة سماوية توحيدية من جهة، ومن جهة أخرى لا تنبذ معتقداتهم الوثنية التي تعوّدوا عليها. فمثلاً «فكرة الثالوث: الأب والابن

وروح القدس، إنما هي الفكرة التي كانت فاشية عند المصريين باسم **أسوريس وإيسيس وهورس**، وقد يسّر هذا التداخل على الناس الإيمان بالدين الجديد» (موسى، 1967، ص: 39)، فعلى الرغم من أن مصر كانت بلداً وثنياً حتى عام 300م «غير أنه في عام 330م غدت بلداً يدين معظم أهله بالمسيحية» (مطر، 1998، ص: 422).

هذا المثال يفسر لنا مدى التمازج الذي حدث، بين عناصر المسيحية الأولى والعناصر الأخرى التي وجدت في مختلف الأديان والعقائد المجاورة، بما فيها الفلسفة اليونانية؛ مما سهل الإقبال عليها.

- إضافة إلى هذا لا ننسى أن المسيحية دعت إلى الحب والخير والتعاطف بين القوي والضعيف والفقير والغني، «وهذه كلها فضائل يقدرها الفقير أكبر تقدير... وقد كان الفقر من نصيب تسعة أعشار سكان الإمبراطورية الرومانية؛ لذلك انتشرت المسيحية» (موسى، 1967، ص38).

- كذلك من أهم عوامل انتشار المسيحية، أنها لم تكن ديانة عنصرية تقتصر في دعوتها على جنس معين –على عكس اليهودية، شعب **الله** المختار– وإنما مست كل الألوان والأجناس دون تمييز؛ مما جعل الإقبال عليها أكثر من اليهودية، على الرغم من أن كلاً منها ديانة موحدة، بل إن المسيحية فرع من اليهودية لكنها استقلت عنها فيما بعد.

هذه أهم العوامل التي جعلت المسيحية تتسع وتنتشر، لكن ربما أهم عامل في نجاح المسيحية وعالميتها هو اسم **شاؤول اليهودي**، الذي تحول إلى اسم **القديس بولس**. من هنا لا يمكن تجاهل التأثير الكبير لليهودية على الديانة الجديدة، على الرغم من العداء الظاهر بينهما.

2- الأصول اليهودية للمسيحية

على الرغم من محاربة اليهود للمسيح، عليه السلام، ورفضهم لدعوته وطعنهم في شرف أمه مريم، فإن المسيحية «تنبع أساساً من حركة يهودية، وهي تبدو أولاً على

وجه التخصيص، كظاهرة تهم الحياة الدينية لليهود، وتتميز بها البيئة الفلسطينية، ولا يمكن تصور قيامها خارج نطاق العالم اليهودي» (جنيبر، دت، ص: 25).

من هنا لا يمكن إغفال هذا التأثير القوي إلى جانب العناصر الأخرى، لكشف تطور هذه الديانة. المهم «أن أصل المسيحية الأولى، التي تعتبر كظاهرة تاريخية، يوجد في عمق اليهودية، التي انبثقت عن ديانة بني إسرائيل، كما عرفتها كتب العهد القديم، التي أسهمت في إثرائها» (Bultman, 1950, p13).

لكن إذا نظرنا إلى اليهودية كديانة، نجدها هي الأخرى قد تعرضت لتأثيرات وتشوهات وتغييرات جوهرية، نُقلت بدورها إلى المسيحية، وهذا يعقد الأمور أكثر؛ فقد تعرض الدّين اليهودي لتغيرات مشابهة تماماً فرضت عليه فرضاً؛ فاليهودية الهلينية التي كانت تهتم في مبدأ العهد المسيحي، بالأجناس الإنسانية وتعتبر الشعب الإسرائيلي في الأساس وسيلة لهداية الإنسانية في عمومها، هذه اليهودية الهلينية هي التي أنتجت في النهاية القديس بولس **وفكرة التوسع في الكنيسة المسيحية**، على حين رجعت اليهودية التقليدية *Orthodox* ؛ أي اليهودية الإقليمية في فلسطين، إلى موقفها العنصري تحت ضغط ظروف رجعية ضد التقدم السريع للهلينية من جهة، وظروف سياسية في طابعها من جهة أخرى. (ديلاسي، 1961).

هذا يبرز بوضوح مدى تأثر اليهودية بعناصر الثقافة الهلينية، وبالموازاة كان فلاسفة اليونان ومفكروها يحاولون التأثير في العقيدة اليهودية، بإدخال آلهتهم في مختلف تصوراتهم، إلا أن اليهود المحافظين حاولوا الدفاع ضد هذا التيار، لكن الثقافة اليونانية تسربت على الرغم من كل هذا إلى العقيدة اليهودية، بل اتخذتها الأرستقراطية اليهودية مثالاً يحتذى، وتهاونت في تطبيق الشريعة الموسوية (ديلاسي، 1961)، خاصة اليهود الذين استقروا بالإسكندرية، واتخذوا من نمط الحضارة اليونانية أسلوباً لهم في الحياة، لدرجة تخلّيهم عن اللغة الأم وتفضيلهم للغة اليونانية.

مثال ذلك **فيلون** *Philon* الذي كان يهودياً معاصراً للمسيح، وهو كفيلسوف متمسك بدينه إلا أنه «كان في الفلسفة أفلاطونياً قبل كل شيء، وإلى جانب الأفلاطونية، كان الرواقيون والفيثاغوريون المحدثون من أهم العوامل التي تأثر بها»(راسل، 1977، ص: 33) اشتهر باستعمال التأويل الرمزي، وكان له تأثير كبير في المسيحية والفلسفة الأفلاطونية المحدثة فيما بعد. كذلك كان فيلون فيلسوفاً موحداً، ومرد ذلك إلى «الدين الذي كان يعتنقه، فقد قال بوجود إله قديم لا يجري عليه التغيير، وليس ذا شهوة أو هوى، وهو مخالف تمام المخالفة لعالم الظواهر، باعتباره العلة الأولى لكل موجود، وهذا توحيد فلسفي يمكن أن يتناسب مع العهد القديم، ولكنه لا يصدر عنه بالطبع» (ديلاسي، 1961، ص. 29–30).

أما عن طبيعة علاقة اللغوس أو الكلمة **بالله** «فهو واسطته إلى الخلق، ورسوله إلى الناس، وهو أيضاً الذي ينقل إليه تضرعاتهم، فهو ابن **الله** ورسوله، ووسيلته في خلق العالم» (راسل، 1977، ص. 33).

ولا يخفى تأثير هذا الكلام الخطير فيما بعد على المسيحية وتطورها، الذي ظهر بصورة واضحة في إنجيل يوحنا، وترى الدراسات بشأنه أن كاتبه تأثر كثيراً بفيلون. ويعلق راسل على تأثير فيلون بقوله: «وبينما ترى فيلون أنه لم يعد له من أثر في اليهودية بعد سقوط أورشليم، ترى الآباء المسيحيون قد وجدوا فيه رجلاً، عرف كيف يوفق بين الفلسفة اليونانية والإيمان بالكتاب المقدس العبري» (راسل، 1977، ص. 33).

هكذا نرى بوضوح التأثير القوي لليهودية – المحرفة– على المسيحية واللاهوت، خاصة من قبل **فيلون**، ولكن مهما ذكر اسم **فيلون** ومدى تأثيره، فإنه سيكون في مقام ثان، أمام اسم يهودي آخر، لا يمكن عدّه عنصراً مؤثراً أو مساهماً في انتشار المسيحية، بل المؤسس الحقيقي لها، والمبشر بها، الذي أوصلها إلى العالمية، بدلاً من المسيح نفسه، إنه شاؤول الذي اشتهر باضطهاده للمسيحيين وتعصبه لليهود، لكنه فجأة يعتنق المسيحية، ويصبح من أشد أنصارها، ويلقب بالقديس **بولس**.

3- القديس بولس وعالمية المسيحية

إن العلاقة بين اليهود وأنصار المسيح عرفت توتراً منذ البداية، وبلغ التوتر حد العداوة بعد حادث صلب المسيح، الذي دبّره اليهود، كان هذا الحادث بمثابة الانفصال الحقيقي بين الطرفين.

ومن بين اليهود الذين لم يستسيغوا العقيدة الجديدة، واعتبروها بدعة، شاول (أو شاؤول) الذي كان ابناً لتاجر اسمه كيساي بنيامين، ونظراً لثراء الوالد؛ فقد نال الولد حظاً طيباً من التعليم، وحقق بذلك حلم والده بأن يصبح حاخاماً. من هنا شبّ شاول محباً لليهودية، مقتنعاً بها، وطبعاً كان ضد المسيحيين الذين اعتبروا فرقة يهودية منشقة، لكن شاول لم يكترث كثيراً لها، خاصة بعد عملية الصلب، معتقداً أن الخطر قد زال، إلا أن الذي حدث كان عكس التوقعات، فقد ازداد أتباع عيسى، عليه السلام، فكان أن قام شاول بهجومات منظمة ضد المسيحيين، بداية بأورشليم، ثم قصد الرحيل إلى دمشق، التي وصلت الأنباء منها مُخبرة بأن عدد الأنصار بها قد كثر، لكن ما حدث جاء مغايراً لمقصد الرحلة، فما الذي حدث تحديداً؟

حصل خلال ذلك حادث غيّر مجرى الأوضاع، وهو أن العالم اليهودي الشهير شاول، الذي ظّل يضطهد المسيحيين بعنف حتى الآن، آمن بالمسيحية فجأة، وزعم أنه أشرق له نور في طريق دمشق وسمع صوت المسيح من السماء، الذي يقول له: «**لماذا تضطهدني**» (أعمال الرسل الإصحاح 8-9/3-30) مما جعل قلبه يرتاح إلى المسيحية.

من هذا الحادث، بدأت **نقطة التحول الكبرى في المسيحية**، وبدأت معها نقطة الانحراف الكبرى أيضاً عن سيرة المسيح ورسالته السمحة؛ بحيث يعتنق شاول المسيحية عام 33م، ويلقب بالقديس **بولس** ورسول الأمم، مجنّداً نفسه للتبشير، فدعا العامة من اليهود، ثم اتجه إلى أقوام أخرى، وكان لابد أن يغري أصحاب الأديان والمذاهب المخالفة، حتى يُقبلوا على الدّين الجديد.

لتحقيق ذلك لجأ إلى أسلوب الاقتباس، لبعض تعاليم هذه الأديان وطقوسها، وإدماجها في المسيحية؛ بحيث أدخل الفلسفة الإغريقية فيها لكسب اليونانيين، فبدأ بنشر فكرة أن عيسى منقذ ومخلص وسيد للجنس البشري. ويرجع الفضل **لبولس** في أنه أول من نادى بعالمية المسيحية، بعد أن كانت المسيحية منحصرة بفلسطين وبلاد الشام عموماً، تمكنت من الانتشار في أنحاء العالم كافة، خاصة أن رسولها الجديد فتح الباب لجميع البشر لاعتناقها؛ حيث قال بالتثليث، وبنزول المسيح، عليه السلام، وبعدم الختان، وغير ذلك من العقائد والشعائر التي لها صلة بالديانات والمعتقدات المنتشرة آنذاك؛ ولذلك فإن معظم الدراسات تجمع على اسم القديس **بولس** أكثر من غيره.

راسل *Russel* مثلاً، يرى أن المسيحية ما كانت لتعرف هذا الانتشار، «لولا القديس بولس الذي صمم على قبول غير اليهود، دون مطالبتهم بالختان، أو الخضوع للتشريع الموسوي» (1977، ص: 36). ونفس النتيجة وقف عليها **سبينوزا** *Spinoza* من خلال دراسته للكتاب المقدس؛ حيث رد أكبر نصيب من التأويل والتحريف الذي حصل في العقائد المسيحية لبولس. يقول:

> «...وعلى ذلك فلكيلا يصدم الناس بشدة بهذه العقيدة الجديدة، كيّفها الحواريون على قدر استطاعتهم مع روح عصرهم... وأقاموها على أكثر الأسس شيوعاً، وأوسعها قبولاً في ذلك العصر؛ لذلك لم يتفلسف أي حواري، بقدر ما تفلسف بولس الذي دعا للتبشير بين الأمم» (1981، ص. 335).

ما يستخلص من هذه الأحداث، أن المسيح نفسه لم يكن يتوقع أن رسالته ستؤول إلى هذا الانتشار؛ لأن أحاديثه كانت عموماً تدور حول قرب ملكوت **الله**، والاستعداد لهذا اليوم بالتطهر من الذنوب، حتى إن تلاميذه لم يلجؤوا إلى تدوين أحاديثه؛ لأنه لا جدوى منها، ولا يمكن الانتفاع بها، بما أن نهاية العالم قد قربت. لهذا لم يشعر أنصار المسيح « بالحاجة إلى تدوين ذكرياتهم، أو رسم شعورهم عنه، إنهم لم يفكروا في أن يكتبوا إلى أجيال قادمة كانوا على يقين من أنها لن تأتي» (جنيبر، د ت، ص. 26).

وبهذا كان المجال مفتوحاً **لبولس** ليقول ما يشاء، ويسجل ما يشاء، ويلقى التصديق من طرف الكثيرين، خاصة بعد المعجزة التي روّج لها، والتي حدثت له في طريقه إلى دمشق، وجعلت منه موضع تقديس، لدرجة أن التعاليم التي قال القديس بولس إن عيسى أوحى بها إليه روحياً، كانت تبدو أكثر ثقة ويقيناً من كل ما يحكيه له صاحبا المسيح بطرس ويعقوب (جنيبر، د ت) المفروض أن تحذف لكن فيم تتمثل هذه التعاليم، التي أصبحت عقائد معتمدة؟

التعاليم التي اعتمدها بولس في دعوته

استمر **بولس** في ادعاءاته حتى أتم تأسيس تعاليم المسيحية كما أرادها، على الرغم من الاعتراضات التي تلقاها من الحواريين، الذين شككوا في إيمانه، ولم ينسوا عداوته السابقة للمسيح، واضطهاده لأتباعه، إلا أنه واصل عملية التبشير، لدرجة الادعاء أنه تلقى من يسوع مباشرة وبلا واسطة، وأنه لا يجوز لأحد أن يقبل تعليماً آخر غير ما يجيء هو به (الحمد، 1961، ص. 36). وبهذا تحول اليهودي الذي لم يتلق أي تعليم عن اليسوع أو عن تلاميذه إلى معلم أول، فأخذ ينشر مبادئ استمدها، كما سبق ذكره، من أديان ومذاهب أخرى، ليغري أهلها بالدخول في المسيحية، مع الإشارة إلى أن مسيحيي الشرق كانوا أكثر الناس نفوراً من تعاليم **بولس**، وأهمها:

- **القول بالتثليث**

أهم العقائد المسيحية، وبلغة بسيطة يعني أن **الله** ثلاثة أقانيم: الأب، الابن، الروح القدس، وثلاثتهم يشكل إلها واحداً. لكن المشكل لا يقف عند هذا التعريف، فقد أثار التثليث تساؤلات عديدة، وشكّل جدلاً حقيقياً، لدرجة انقسام المسيحيين إلى عدة طوائف، ثم انقسام الكنيسة نفسها. من هنا يحق لنا التساؤل: لماذا قال **بولس** بالتثليث؟

إن **بولس** عندما جنّد نفسه للتبشير بالمسيحية، بحسب الرؤيا التي ذكرها في أعمال الرسل، حاول نشر دعوته بين كل الأديان والمذاهب التي كانت سائدة، ولجلب أكبر عدد ممكن، اضطر إلى إدخال مبادئ جديدة ذات صلة بالديانات الأخرى، لكنها

مخالفة تماماً للمسيحية. من هذه العقائد التثليث الذي وجد عند المصريين، وفي الفلسفة الأفلاطونية من خلال نظرية الفيض والأقانيم الثلاثة، كما عند **أفلوطين**؛ حيث نجد المطلق الذي هو **الله** الواحد، والذي يفيض عنه العقل يمثل الابن، ثم النفس الكلية كأقنوم ثالث تمثل الروح القدس.

لكن التثليث المسيحي خلق مشكلة التوفيق، بين التوحيد الإلهي الموجود في التوراة وفي الإنجيل، وبين القول بالأقانيم الثلاثة. المهم أن بولس لجأ إلى أسلوب التلفيق والاقتباس، وأخطر ما مسّه هو مبدأ التوحيد الذي نصّت عليه كل الأديان السماوية والعقول الراجحة؛ حيث أراد أن يجمع بين التوحيد والتعدد لكي يرضي أطرافاً كثيرة، ويكسب بذلك أكبر عدد من المناصرين، ولو كان الأمر على حساب العقيدة الصحيحة.

- ألوهية المسيح

ثاني مبدأ نص عليه **بولس**، ويحمل من الخطورة الكثير، بل إنه وطيد الصلة بالمبدأ السابق، القول إن عيسى –عليه السلام– إلـه، وهو قول لم يتفق عليه المسيحيون، فانقسموا إلى قسمين: قسم مؤيد لألوهية المسيح وآخر ينكرها، وأول من دعا بالألوهية هو **بولس**، الذي اعتبر عيسى إلهاً وابن إله وأنه صلب ليكفر ذنوب البشر أو خطاياهم.

وقد بلغ اختلاف المسيحيين حول ألوهية المسيح مداه، إلى أن اعتلى **قسطنطين** السلطة السياسية، واعتنق المسيحية ديناً، وأراد أن يجد حلاً لهذا الإشكال والاختلاف، فدعا إلى اجتماع بنيقية *Nicée* عام 325م، والغريب في الأمر أن المجتمعين نصروا ألوهية المسيح، إلى جانب عقيدة التثليث، وحاربوا المعارضين لذلك، خاصة منهم **آريوس** *Arius* أحد قساوسة الإسكندرية، الذي حُرِّم كغيره من المعارضين.

- الروح القدس

وهو ثالث مبدأ اعتمده **بولس**، وأقرته المجامع المقدسة فيما بعد، والمسيحيون يعتقدون أن الروح القدس ليس قصراً على الأنبياء، بل ينزل على الآباء والقدّيسين،

ويقدم لهم التعاليم التي ينبغي أن تكون لها سلطة الوحي. وطبعاً بدأ بولس بنفسه، حيث كان يتحدث في رسائله كما يقول سبينوزا «وفقاً لتفكيره الخاص» (سبينوزا، 1981، ص. 328) بعيداً عن وحي أو تفويض إلهي، وينسب الأمر إلى الروح القدس، الذي أصبح يتصل به في أي وقت، ويعطيه التعاليم وكأنه هو النبي (رسالة بولس إلى أهل غلاطية 1: 12/11).

- صلب المسيح

يؤمن المسيحيون أن المسيح صلب من طرف اليهود، كما ورد في الأناجيل: «... **وكانت الساعة الثالثة فصلبوه وكان عنوان علته مكتوباً ملك اليهود**» (مرقص الإصحاح 26: 27/15)، وهو بيلاطس البنطي. لكن المسيحيين اختلفوا في الطريقة التي صُلب بها، أو هل الصلب وقع على اللاهوت، أو الناسوت، أو الاثنين معاً؟ إلا أن الغالب عندهم أن الصلب لم يتم على أقنوم الابن، الذي هو إله، وإنما تم على المسيح الإنسان المخلوق. المهم أن الإيمان بالصلب إيمان راسخ كيف ما جاء، لكن لماذا صلب المسيح؟ وما العبرة من ذلك؟

إننا نعثر على الإجابة في الإنجيل؛ فالمسيح صلب ليخلّص البشر، وينقذهم من الهلاك، لقد توسّط للناس لينالوا رحمة رب العالمين، لذلك يقول لشخصين مغتمين لصلبه، يظهر لهما ثانية بعد صلبه ووفاته: «**أيها الغبيان، والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلّم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده**» (لوقا الإصحاح 25: 26/24). المهم أن عقيدة الصلب لم تكن حديثة عهد بالمسيحية، وإنما سبق إليها الهنود وغيرهم، وحتى إن رجعنا إلى الأناجيل لا نجد اتفاقاً في سرد تفاصيل الصلب، لكن الاتفاق حاصل في الحكمة منه، هذا يقودنا للحديث عن المبدأ الخامس الذي اعتمده **بولس**.

- عقيدة الكفارة والخلاص

من تعاليم بولس، أنه بدلاً من أن يحاسب **الله** –سبحانه وتعالى– عباده يوم الحساب، ترك هذه المهمة لابنه المسيح؛ حيث يعتقد المسيحيون أن الأب أعطى سلطان

الحساب أو يوم الدينونة للابن؛ وذلك لأن الابن أولى بمحاسبة الإنسان باعتبار أن عيسى ابن **الله** المقدس، فله الحق في النيابة عن أبيه في محاسبة البشر عن أخطائهم. والمسيح ليس هو المسؤول عن محاسبة الناس فقط، بل هو منقذهم ومخلّصهم من العذاب الأبدي، بل إن محور المسيحية وهدفها الوجودي عقيدة الخلاص أو الفداء، لذلك «تشتمل رسائل **بولس** على كثير من اللاهوت، خصوصاً فيما يتعلق بالخلاص، وتدل تلك الرسائل على إلمام واسع بالثقافة اليونانية» (عثمان، 1966، ص. 422).

هذه أهم المبادئ التي اعتمدها **بولس** إلى جانب التعميد، وتحولت إلى عقائد إيمانية راسخة في المسيحية بعد قبولها وانتشارها، وبذلك يكون **بولس** صانع المسيحية الحقيقي، بدلاً من المسيح نفسه، لكن ما الوضع الذي آلت إليه المسيحية بعد بولس وبعد انتشارها؟

على الرغم من توسع نفوذ **بولس** بتوسع أتباع الديانة الجديدة، فإن المسيحية عرفت اضطهاداً ثانياً بعد اضطهاد اليهود، هذه المرة من قبل السلطة الرومانية، التي على الرغم من تسامحها مع بقية الأديان، استثنت المسيحية ومعتنقيها، «فشرّدوا وعذّبوا وقتلوا وصلبوا، حتى كادت تختفي معالم المسيحية من الأرض بسبب تلك الاضطهادات» (الحمد، 1961، ص.33). واستمر هذا الاضطهاد كما تذكر كتب تاريخ الأديان، ثلاثمائة سنة «بدأت بعهد نيرون وانتهت بحكم دقلديانوس» (مظهر، 1995، ص.441). لكن هذا الوضع المزري زاد من تمسك المسيحيين بعقيدتهم، وكان الأمل والفرج بعد هذا العهد تحديداً عام 306م، حيث عُدّ «عاماً سعيداً جداً في تاريخ المسيحية؛ إذ عُين الإمبراطور **قسطنطين** الأول ملكاً على روما، واعتنق المسيحية؛ مما أكسب المسيحية قوة وإحكاماً دائمين» (العثماني، 1982، ص. 106).

بهذا الإجراء وُضع حد للاضطهاد الديني المسيحي، تحت ظل الإمبراطورية الرومانية في عهد **قسطنطين الأول**، الذي قام بتشييد الكنائس، إلا أنه بعد رفع الاضطهاد، دخل المسيحيون في خلافات عقائدية، وبدأت تظهر الطوائف والفرق العديدة، التي تدّعي كل واحدة منها المصداقية. ولحسم هذه الاختلافات بدأت تُعقد تجمعات رسمية، تشمل مختلف الطوائف الدينية، من مختلف أنحاء العالم، لتناقش

الخلاف فيما بينها علّها تخرج بإجماع، وأهم اجتماع عقد بنيقيه 325م، و انطلاقاً منه نالت العقائد المسيحية لأول مرة صيغة الضبط والتدوين (العثماني، 1982)، وبهذا المؤتمر كان الانتصار الرسمي لتعاليم **بولس**.

بهذا العرض الموجز لنشأة المسيحية، وأسباب انتشارها، وتأثرها باليهودية، يمكننا–مبدئياً– الوقوف على بعض النتائج:

- إن تطور المسيحية **سلك خط بولس دينياً وقسطنطين سياسياً**.
- يعتبر **بولس** أهم مؤسس للمسيحية بشكلها الحالي، وقد حدّد عقائدها المعتمدة، التي لا تمت بصلة إلى المسيح، كما أثبتت الدراسات الإسلامية والغربية الحديثة والمعاصرة.

ولهذا؛ فالقول بالتحريف ليس تعصّباً، وإنما شيّد على معطيات علمية موضوعية، أكّدها النقد التاريخي لمصادر المسيحية، التي تفتقر إلى أي توثيق مباشر لحياة المسيح أو أثرٍ عنه؛ لأن الجيل الأول انقضى دون تسجيل اعتقاداً في قرب الساعة، فلما جاءت الرغبة والضرورة للكتابة «لم يعد هناك شهود (مباشرون) لحياة المسيح» (جنيبر، د ت، ص. 27)؛ وبذلك كان الباب مفتوحاً لمختلف التيارات المؤثّرة، كما وقفنا على ذلك مع اليهودية والتيارات الفلسفية.

لكن، هل انتشار المسيحية ووصولها إلى أماكن بعيدة، يعني أنها وصلت إلى البلاد العربية وأرض الحجاز قبل الإسلام؟ وهل تم اعتناقها من قبل العرب؟

المبحث الثاني

المسيحية في بلاد العرب قبل الإسلام

من المؤكد أن أرض العرب، عرفت وجوداً لبعض المسيحيين، الفارين من بطش اليهود وغيرهم، كما وجد بها الرهبان للتعبد، بالنظر لموقعها الملائم للعزلة وممارسة التعبد وسط الصحراء؛ مما جعل العرب يتعرفون هذه الفئة ويحتكون بها، وهي التي تختلف في معتقداتها الدينية عن ديانتهم الوثنية، لكن إلى أي مدى وصل هذا المد المسيحي؟ وهل حقق النتائج المرجوة من استمالة العرب نحو العقيدة المسيحية، خاصة أنهم كانوا ينكرون عليهم عبادة الأوثان؟

1- دخول المسيحية البلاد العربية ومواضع انتشارها

اختلفت الآراء في تحديد تاريخ دخول المسيحية جزيرة العرب؛ نظراً لقلة المصادر التي تؤرخ لتلك الفترة إن لم نقل انعدامها، غير أن الكثير من المسيحيين يرجعون ظهورها إلى العهد الأول لظهور المسيحية، وليس مهماً معرفة تاريخ دخولها بلاد العرب، إنما الأهم أن نعرف مدى انتشارها، وهل تقبلها العرب كديانة؟

لقد وجدت المسيحية في قبائل معينة، خاصة التي كانت على حدود الرومان؛ ففي الطرف الشمالي للجزيرة العربية قديماً، كانت مملكة غسان بواديها الفسيح تدين بالنصرانية، وهي في هذا التدين متأثرة بديانة جارتها الدولة الرومانية القديمة، وقد سجّل التاريخ من ملوك الغساسنة من كان نصرانياً وهو «الحارث بن جبلة 528–570م، الذي كان معاصراً للإمبراطور **جستنيان**، وهذا الحارث كان نصرانياً على مذهب اليعاقبة» (شلبي، 2005، ص. 113–114).

إلى جانب مملكة غسان، عرفت المسيحية انتشاراً في قبائل أخرى، كربيعة وبعض قُضاعة وتغلب ومملكة الحيرة ونجران، ويذكر صاحب السيرة، قصة دخولها بنجران:

«وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل، أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له **عبد الله بن الشامر**، وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر

العرب كلها أهل أوثان، يعبدونها وذلك أن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين يقال له **فَيْمِيُون** وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه فدانوا به» (ابن هشام، د ت، ص. 42).

وعلى الرغم من اختلاف الروايات، فإنها تجمع على أن **فيميون** هذا رجل صالح، مستجاب الدعوة، يدين بالمسيحية السمحة، وأن **عبد الله بن الشامر** تعلّم عنه الدين الذي اعتنقه أهل نجران، «ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران» (ابن هشام، د ت، ص. 36).

لكن هذه المسيحية السمحة بدأت تتعرض للتحريف والتبديل، على يد أبنائها وفرقها المختلفة، وبسبب الاضطهاد الذي تعرضت له من طرف الروم واليهود على حد سواء، حتى كادت تُطمس معالمها تماماً. هذا الاضطهاد مسّ حتى معتنقي المسيحية من العرب بنجران، الذين هُوجموا وقُتلوا وشُردوا من طرف (ذي نواس)، الذي أراد إكراههم على اليهودية، وخيّرهم بين اعتناقها والقتل، «فاختاروا القتل فخذلهم الأخدود، فحرق من حرق بالنار، وقتل بالسيف ومثّل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً (ابن هشام، د ت، ص. 36).

ففي ذي نواس وجنده، أنزل **الله** تعالى على رسوله سيدنا ﷺ: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ ﴾ (البروج: 6/4)، وربما كان هذا من حظ اليمن السيئ، التي تعتبر نجران من مدنها؛ فقد انتشرت بها اليهودية، أولاً ثم تحول الأمر إلى المسيحية؛ مما أدى إلى انتقام ذي نواس الذي كان على دين اليهود، «ذلك أن اليمن وقعت تحت نير قوتين مختلفتين في الملة والحكم والسياسة» (شلبي،2005، ص. 115) وهما الفرس والروم، وطبعاً كان لهذا الوضع أثره السلبي على أهل المنطقة وعلى عقيدتهم، التي تأرجحت بين مجوسية الفرس ونصرانية الإمبراطورية الرومانية.

2- طرق انتشار المسيحية في بلاد العرب وتسربها إليها

انتشرت المسيحية في بلاد العرب عبر طرق مختلفة، منها:

- تجارة الرقيق

كان عرب الجاهلية يتاجرون في العبيد، ويجلبونهم من مناطق مختلفة وبأثمان متباينة، بحسب قيمة العبد، وما يحمله من مؤهلات كحسن عمله. من هنا كان العرب يفضلون جلب عبيدهم من الرجال والنساء من الفرس والروم.

«وذلك نتيجة لمميزات كثيرة امتازت بها عن الرقيق المستورد من إفريقية مثلاً؛ حيث كان نوعهم من الصنف الرفيع، الذي يمتاز بالحسن والجمال، والإتقان لبعض الحرف، وهناك ميزة أخرى هي أن الروميات والصقليات والجرمانيات، منهن من كن أمهات لأولاد اعتبروا من صميم العرب، فضلاً عن أن بعضهن كن على الديانة النصرانية» (ذراع، 1991، ص. 149).

وطبعاً لا يخفى تأثير هذه الفئة، حتى ولو كانوا عبيداً، فضلاً عن تأثير النساء اللاتي كن يتمتعن بحظوة عند بعض رجال العرب.

- التجار المسيحيون

هم أنفسهم كانوا رسلاً، يعملون على نشر تعاليم دينهم، في مختلف المناطق التي يصلونها بتجارتهم، التي تميزت «بربح مزدوج، ربح في التجارة وربح في الدين؛ لأنهم يرون أن هذه الممارسة تؤدي بهم إلى كسب الدنيا والآخرة معاً» (ذراع، 1991، ص: 150).

- البعثات التبشيرية

سبق أن ذكرنا أن أتباع المسيح، عليه السلام، اضطهدوا وشردوا، من طرف حكام الإمبراطورية الرومانية، وبإيعاز من اليهود خاصة، لكن رُفع عنهم الاضطهاد، باعتناق الإمبراطور **قسطنطين الأول** للمسيحية وإعلانها ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية منذ سنة 312م. منذ هذا التاريخ وجد رجال الدين المسيحي متنفساً، وجواً ملائماً للعمل، فشرعوا «في إرسال البعثات التبشيرية، لنشر النصرانية في أصقاع العالم، ومنها بلاد الحجاز، التي كانت أحد أهداف الدولة الرومانية، وكذا

رجال الدين المسيحيين؛ لأن سكانها وثنيون» (ذراع، 1991، ص. 150). وفعلاً أنكر رجال الدين المسيحي على العرب عبادة الأوثان، ودعوهم إلى عبادة **الله**، ومن هنا عرفوا جدالا مع وثني العرب.

- ميزة الجزيرة العربية

تتميز بلاد العرب بخصائص جغرافية صعبة، إلا أن هذا أكسبها ميزة؛ فقد كانت منفذاً لكل هارب بعقيدته إلى حيث يتعبد براحة وأمان، ومن هؤلاء الفارين بعض المسيحيين الذين خالفوا المذهب اليعقوبي، الذي اتخذته الإمبراطورية الرومانية مذهباً رسمياً ووحيداً، لحسم الخلاف الذي كان سائداً بين الطوائف الأخرى كالنسطوريين والملكانيين؛ فهؤلاء تعرضوا لاضطهاد حكامهم، فوجدوا في بلاد العرب المنفذ الوحيد، خاصة أن نفوذ الروم كان يمتد إلى العراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى ومصر، وسائر بلاد العالم بما في ذلك شمال إفريقيا (ذراع، 1991).

من هنا عرفت المسيحية انتشاراً في مدن الحجاز خاصة في :

مدينة يثرب: عرفت يثرب وجود بعض المسيحيين، وكانوا أناساً بسطاء يمارسون بعض الأنشطة الاقتصادية، أغلبهم أجراء عند سادة العرب وأثريائهم، «لكن هذه الفئة رغم قلة عددها، وضعف مكانتها الاجتماعية، فإنها عملت على تمسيح العرب، كما فعل أبو عامر الراهب مع شباب الأوس الذي اعتنق النصرانية» (ذراع، 1991، ص. 152).

مدينة مكة: دخلت المسيحية مكة عبر مختلف الطرق المذكورة، سواء كانت التجارة أم الرقيق أم البعثات التبشيرية، وكانت هذه الفئة بمكة مثل سابقتها، لا تملك نفوذاً كالذي وجد عند اليهود، بل على العكس «لم يكونوا إلا ناساً فقراء، يحتلون الأحياء المتطرفة من مكة، يمارسون مهناً بسيطة، ولا يوجد لديهم أي تأثير، على الرغم من الدعم الذي كان من الممكن أن تمدهم به الدول المسيحية، وبعض المدن كالقسطنطينية والحبشة والغساسنة واللخميين» (Bloud et Gay,1954, p204). هذا بمكة، كذلك وجد بعض المسيحيين بالطائف.

هذه أهم المواضع الحجازية التي عرفت وجود المسيحية، ومن ذلك يمكن أن يستنتج: أن المسيحية وجدت حقيقة وكان لها أثرها؛ ففي الجاهلية دخل كثير من العرب

في النصرانية، فانتقلت إليهم بعض الثقافات التي كانت عند النصارى، وكانوا متأثرين بفلسفة الإسكندرية... وقد أثار النصارى كاليهود حركة جدل ونقاش في الجاهلية (أبو زهرة، 2010)، وكانوا يملكون ثقافة وعلماً؛ مما أكسبهم القدرة على الإقناع والتأثير لاستمالة بعض العرب.

وكان من وسائل تأثيرهم العلاج؛ فمعرفتهم بمبادئ الطب قرّبتهم من سادة العرب، ونجاحهم في شفاء بعض الأمراض، وردّهم ذلك إلى المعجزة الإلهية، كان له أثره في انتشار المسيحية عند بعض العرب.

لكن لو قارنا هذا الانتشار بانتشار الوثنية لوجدناه ضعيفاً ومحدوداً، فما السبب في ذلك؟ **لماذا لم يتقبل العربي المسيحية أو النصرانية؟**

3- عدم تقبل العرب للمسيحية وجدالهم مع رجالها

إن المسيحية دين توحيد لاشك في ذلك، وقد جاء المسيح –عليه السلام– بتعاليم سمحة، كلها رقة وعطف وإيمان، كما دعا بني إسرائيل للتعقل والتراجع، عما أسرفوا فيه من حب الدنيا وابتعاد عن تعاليم اليهودية كما جاءت في التوراة، إلا أن المسيحية أصابها ما أصاب شريعة موسى –عليه السلام– من تحريف وتبديل وخروج عن جادة الصواب والأسباب في ذلك كثيرة؛ ففقدت بذلك روحها وصفاءها، وقوبلت بالرفض من طرف عقلاء العرب، خاصة «الباحثين عن حقيقة العدل الديني، ولم يرتضوها كدين حنيف يجدون فيه رضوان **الله** وطمأنينة النفس، واقتناع العقل وإرضاء الفطرة» (شلبي، 2005، ص. 114).

ثم إن المسيحية نفسها أصبحت عقيدة جد غامضة؛ فالعقل العربي «لم يستسغ عقيدة التثليث ولا الإيمان برب مصلوب»(أبو زهرة، 2010، ص: 34). لقد واجه رجال الدين المسيحي هذا التعقيد أو الغموض، ولم يتمكنوا من إزالته، بل عجزوا «عن تفهم وتوضيح أقانيمهم، وكانت شروحهم تزيد الغموض غموضاً وتعقد المعقد تعقيداً... وتضيف إلى المبهم إبهاماً» (شلبي،2005، ص. 114).

إلى جانب هذه الأسباب في عدم تقبل العربي للمسيحية، نسجل اختلاف المبادئ والطبائع بين عرب الجاهلية والمسيحيين في تلك الفترة؛ فالمسيحية دعت إلى

التسامح وعدم الرد على الظالم... بينما أخلاق الجاهلية، كانت ترى في ذلك جُبناً، وتفضل الشجاعة والأخذ بالثأر، بذلك دخل عرب الجاهلية من حنفاء أو مشركين في جدال مع رهبان المسيحية وقساوستها.

المسيحيون دعوا العرب إلى عقيدتهم، وبشّروا بها وذكروا لهم الثواب والعقاب والجنة والنار... وطبعاً رد عليهم العرب، وهكذا كانت المنافسة بين الفريقين، التحام عقل ساذج فطري لا يدرك تعقيداً، وعقل معقد يدعو إلى عقيدة ليس من السهل استساغتها (أبو زهرة، 2010). وفي هذا المقام نورد مناظرة ذكرها الأستاذ محمد أبو زهرة نقلاً عن المستشرق دوزي حيث يقول:

«أراد الأساقفة أن ينصّروا المنذر الثالث ملك الحيرة حوالي 513 من الميلاد، وإن المنذر ليصغي إليهم إذ دخل عليه قائد من قواده، فأسرّ إليه بضع كلمات، ولم يكد ينتهي منها حتى بدت على أسارير الملك أمارات الحزن العميق، فتقدم إليه قسيس من القسيسين، يسأله عما أشجاه، فأجابه الملك: يا له من خبر سيّئ، لقد علمت أن رئيس الملائكة قد مات، فواحسرتاه عليه. فقال القسيس هذا محال، وقد غشك من أخبرك، فإن الملائكة خالدون يستحيل عليهم الفناء. فأجابه الملك: أحقاً ما تقوله؟ وتريد أن تقنعني بأن **الله** ذاته يموت» (أبو زهرة، 2010، ص. 35).

ويعلق **محمد أبو زهرة** على هذه الحادثة بقوله:

«انظر إلى تلك المناقشة، التي تلمح فيها قوة العقل، التي ترد أعقد المسائل إلى أقرب البديهيات، ليدركها النظر السليم، وليفحم المجادل العنيد، وألا تلمح سذاجة الفطرة القوية، فقد التقت مع التفكير المعقد فحلت عقدته، وبينت له ما ينبغي أن يدركه الفكر القديم» (2010، ص. 35).

مما سبق نستنتج أنه على الرغم من بساطة العربي أو سذاجته في تلك الفترة، فإنه لم يستعص على عقله إدراك بديهيات الأمور، ومع ذلك كثيراً ما كان النصراني يتفوق في حلبة الجدال؛ نظراً لثقافته الأوسع ولامتلاكه أساليب الجدل والإقناع.

هذا الوضع قبل مقدم الإسلام، فكيف استقبل المسيحيون الدّين الجديد؟

المبحث الثالث

ظهور الإسلام بأرض الحجاز بين العرب

جاء الإسلام الذي بُعث به سيدنا محمد صلى **الله** عليه وسلم والمسيحية تمضي في قرنها السابع، دين جديد يقوم على التوحيد الإلهي، يرفض كل ألوان الشرك والإلحاد، ليلتقي بالمسيحية وبقية الأديان السائدة بجزيرة العرب، ويحتك بها. هذا الاحتكاك عرف مواجهات عديدة، تأرجحت بين الشدة والعنف واللين والتسامح؛ فالعرب قبل ظهور الإسلام دخلوا في جدل مع الأديان، التي كانت موجودة في المنطقة من مسيحية ويهودية على الخصوص، لكن بظهور الإسلام ازداد هذا الجدل، ليس مع العرب الرافضين للإسلام فقط، ولكن مع أهل الكتاب أيضاً.

1 - موقف النصارى من الدّين الجديد

يستند الدّين الجديد إلى وحي إلهي، أتى ليصحح الكثير من المفاهيم العقدية المُحرفة والخاطئة، فكان من الطبيعي أن يلقى كل ألوان الرفض والمعارضة، خاصة من قبل مشركي قريش واليهود الذين شككوا في صحة دعوته، وكذلك سلك النصارى اتجاه الدعوة الجديدة، وإن كان عداؤهم لها في البداية أقل كما يذكر القرآن الكريم وكتب السيرة، وكما سنوضحه بتعرفنا اللقاءات الأولى التي جرت بين الإسلام والمسيحية وتطورها، ولنا أن نتساءل: **كيف تم اللقاء بين الإسلام والمسيحية؟ وكيف كانت ردود الأفعال الأولى؟**

أتى الإسلام والمسيحية منتشرة ببلاد العرب انتشاراً محدوداً، وعلى الرغم من علم رهبان الدين المسيحي ورجاله بمقدم الرسول الجديد وصدق دعوته، فإن موقفهم من الإسلام كان العداء، خاصة أن القرآن الكريم ذكر بالتفصيل قصة المسيح، عليه السلام، وأمه مريم وصحة ولادتها له، وقصة صلبه المزعومة... أي أنه ذكر العقائد المسيحية، وذكر التحريف الذي وقع فيها؛ فكان من الطبيعي أن يحدث اختلاف بين الطرفين. وبدأ النقاش بين الإسلام والمسيحية في هضبة الحبشة، حول حقيقة المسيح والكلمة، ثم أتى وفد نصراني من نصارى نجران إلى المدينة،

وجادل النبي، عليه الصلاة والسلام ... ثم وصل الإسلام إلى الشام والعراق، فبدأت المسيحية تنازعه نزاعاً فكرياً شديداً (النشار، 1966). وكان هذا النزاع بين المسلمين والمسيحيين من جهة، وبين المسيحيين أنفسهم من جهة أخرى؛ فقد كانت الفرق المسيحية الثلاث اليعقوبية والملكانية، والنسطورية موجودة بين المسيحيين في البلاد العربية والإسلامية المفتوحة، وطبعاً هذا التعدد في المذاهب غذى النقاش القائم أكثر؛ حيث كان المسلمون يناقشون كل فرقة، ويحاولون دحض أفكارها المتعارضة مع القرآن الكريم.

2 - اللقاء الأول للإسلام بالمسيحية

عندما نرجع إلى كتب التاريخ والسيرة النبوية، نجد أن الرسول –عليه الصلاة والسلام– لم يلتق المسيحيين في بداية دعوته، وأول لقاء للمسلمين بالمسيحيين، كان في الحبشة بعد الهجرة، حيث تم» أول حديث مذهبي بين المسيحيين والإسلام الحديث الولادة « (Bouamama,1988, p12). لنقف عند هذا الحدث المهم؛ استقبل **النجاشي** ملك الحبشة المسلمين الفارين بدينهم، وأمّنهم على أنفسهم، إلا أن قريشاً أرسلت رسلها محملين بالهدايا سعياً لرد هذه الفئة الصابئة. وفعلاً وقف الوفد برئاسة **عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص** بين يدي **النجاشي**، طالباً رد الجماعة الفارة، لكن عدل **النجاشي** أبى ذلك، وفضّل الاستماع للطرفين، فطلب المسلمين، وسألهم: «ما هذا الدّين الجديد الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟» (ابن هشام، د ت، ص. 358).

سؤال وجيه ومعقول، وكان الرد الشهير من طرف **جعفر بن أبي طالب**:

« أيها الملك كنا قوم جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش.. فكنا على ذلك حتى بعث **الله** إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى **الله** لنوحده ونعبده... فقال له **النجاشي**: هل معك مما جاء به عن **الله** من شيء.. فقرأ عليه صدر (كهيعص)... فبكى **النجاشي** حتى اخضلت لحيته... ثم قال **النجاشي**: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرجا من مشكاة واحدة، انطلقا **والله** لا أسلمهم إليكما» (ابن هشام، د ت، ص. 358–360).

ويقصد رئيسي الوفد القريشي. هذا أول حدث أو لقاء يسجل بين المسيحيين والمسلمين.

لكن الرجلين لم ييئسا، خاصة **عمرو بن العاص** الذي قال:

«**والله** لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد» (ابن هشام، د ت، ص. 360)، وفعلاً كان له لقاء ثانٍ **بالنجاشي**؛ حيث قال له: «أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم، فسألهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم فسألهم عنه فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال **جعفر بن أبي طالب**: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبد **الله** ورسوله وروحه وكلمة ألقاها إلى مريم العذراء البتول... فضرب **النجاشي** بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: «**والله** ماعدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود» (ابن هشام، د ت، ص. 360):

يعتبر البعض، هذا اللقاء والنقاش، أول لقاء فكري عقدي مسيحي إسلامي، وسيعرف تطورات مهمة. ويعلق الباحث **بوعمامة** على هذا الحدث بما يأتي:

«هذا الحدث مهم جداً، أولاً لأنها المرة الأولى التي تلتقي فيها الديانتان معاً، والمسيحيون لا يعلمون شيئاً عن الديانة الجديدة، فكان همهم الاستعلام خاصة، فلا يبدو –مبدئياً– أي عداوة ومن أي نوع في سلوكهم أو نيتهم ضد المسلمين، فوق ذلك أظهروا نوعاً من القلق عندما كان رسل العرب الوثنيين يؤكدون أن المهاجرين يرددون أشياء لا تليق تخص المسيح. كذلك هذه المواجهة تثير ملاحظة أخرى؛ ففي إجابات المسلمين عن أسئلة النجاشي، كان مرجعهم مباشرة القرآن. ثم إنه بعد حوالي خمس سنوات من نزول الوحي الأول، الإسلام وعن طريق فم رسوله كان قد حدد النقاط الأساسية لموقفه تجاه المسيحية. هذه النقاط وأخرى ستضاف إليها، سوف تتطور وتتوضح وتحدد في حدود ما يأتي به الوحي، والقرآن هو الشاهد الوحيد، الموثوق به لدراسة هذه الفترة، إن بداخله أهم المواضيع للحوار العقائدي المسيحي الإسلامي» (1988, p12).

نجد هذا التحليل صحيحاً إلى حدود بعيدة؛ فالهجرة إلى الحبشة كانت اللقاء الأول، وسؤال النجاشي عن المسيح –عليه السلام– كان أول نقاش عقائدي بين الديانتين، قاد إلى سلسلة من اللقاءات والمناظرات والحوارات، ما زالت مستمرة إلى يومنا هذا، ولكن بمنظور وأطروحات جديدة.

لكن بعض الغربيين والمستشرقين منهم خاصة، يعودون بتاريخ معرفة محمد ﷺ بالمسيحية إلى ما قبل بعثته، وتحديداً يعودون إلى فترة طفولته معتبرين حادث الراهب بحيرا، أول لقاء للإسلام –الذي ما زال لم يظهر– بالمسيحية، وطبعاً لهم في هذا أغراض معينة. المهم وجدت العلاقة بين الطرفين وعرفت تطوراً.

3 - تطور العلاقات المسيحية الإسلامية

(أ) المرحلة الأولى

كانت المرحلة الأولى جيدة، وهذا ما تثبته النصوص القرآنية، ثم «إن الإسلام الجديد أظهر استقبالاً جيداً ومودة واستلطافاً للمسيحيين» (Bouamama,1988, p15)، كما أن أول من استقبل المسلمين وأمّنهم على دينهم النجاشي ملك الحبشة، وهذا بتوجيه من الرسول ﷺ، وعلى العموم، فالعلاقات كانت حسنة؛ لأن موقف الإسلام نحو المسيحيين غاية في الإيجابية ، مقارنة بالعلاقة مع اليهود.

كذلك كان موقف المسيحيين تجاه الإسلام، فعلى الرغم من حذرهم، فإن كثيراً منهم انشرح صدره للإسلام وللقرآن الكريم، الذي وصف عيسى –عليه السلام– بصفات كلها بر وتقوى ورحمة، بل إن البعض منهم «رأى في قدوم محمد تكملة للعهد الذي قطعه **الله** مع المسيح، لهذا أعطى **الله** مكانة مبجلة للمسيحيين» (Bouamama,1988, p18).

وهنا نتساءل عن سر هذه الصداقة بين الطائفتين، أو العوامل التي أدت إلى وجود مثل هذا الانسجام. لو جئنا إلى حصر هذه العوامل وجدناها كثيرة، لكننا نقتصر على ذكر أهمها:

العامل الأول: يتمثل في القرآن الكريم نفسه؛ فهو لم ينكر المسيح كما فعل اليهود، ولا طهارة أمه، بل ذكرهما وبجّلهما، وفي الوقت نفسه وضع عيسى نبياً كرّمه **الله** وأيّده بالمعجزات، لكن ليس «إلهاً أو ابن إله» أبداً، ومثل هذا الموقف يبعث على الرضا في نفوس المسيحيين المعتدلين منهم خاصة، وهذا ما ساعد على «غياب أي عداوة أو خصومة أو صراع بين محمد والمسيحيين في فترة دعوته بمكة» (Bouamama,1988, p18).

العامل الثاني: يتمثل في اختيار الرسول ﷺ لحاكم مسيحي وأرض مسيحية ليهاجر إليها أصحابه فراراً من اضطهاد قريش؛ فهذا الاختيار له دلالات، أهمها، أنه يبرز المكانة المفضلة التي أعطاها محمد الرسول للمسيحيين، كما يبرز صحة الاختيار، وأن الثقة التي منحها لحاكم الحبشة كانت في محلها.

العامل الثالث: يرتبط بالمصالح المسيحية على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، المسيحيون قبل البعثة المحمدية، ومقارنة مع اليهود كانوا في أحطّ درجة، لا يملكون أي نفوذ داخل المجتمع العربي، وعموماً «قوتهم السياسية والاقتصادية غير مهمة حتى لا نقول منعدمة»(Bouamama,1988, p18). هذه الوضعية بدأت تتغير نحو التحسن بمقدم الإسلام، وبانتصار محمد ﷺ وأصحابه، انتصاراً أدى إلى تراجع العرب الوثنيين من جهة، واليهود المتغطرسين من جهة أخرى، «الذين عملوا بكل جدية على إبعاد المسيحيين عن القضايا الاقتصادية والسياسية»(Bouamama,1988, p19). لكن بعد نجاح الدين الجديد وامتداد نفوذه، أصبح المسيحيون هم أصحاب المناصب الإدارية في بلاط الخلافة الإسلامية ودولتها، خاصة في العهدين الأموي والعباسي ومالت الكفة إليهم.

هذا فيما يخص المرحلة الأولى التي اتسمت بالانسجام والتوافق.

(ب) المرحلة الثانية

العلاقة بين الطرفين لم تعد تعرف الجو الودي دائماً، بل بدأ يشوبها التوتر بسبب نجاح الإسلام وانتشاره. هذا النجاح أصبح مصدر قلق وحقد لرجال الدين المسيحي، خاصة بعد تحول آلاف المسيحيين لعقيدة الإسلام، وهنا بدأ يظهر التعصب الديني،

وبدأت نواقيس الخطر تدق، خاصة أن القرآن دعا كلاً من المسيحيين واليهود إلى عقيدة التوحيد، وصرّح أن ما يعتمدونه من عقائد وكتب محرّف، كما فصل في عقيدة التثليث المنافية للتوحيد الإلهي.

المهم عندما تحددت النقاط الأساسية الفاصلة بين العقيدتين، وأهم نقطة هي رفض التثليث وتأليه المسيح وصلبه، والدعوة إلى اعتماد عقيدة التوحيد الصحيحة. كان هذا الرفض نهائياً قطعياً، لا يحمل أي مجاملة؛ فالقرآن فضح أهل الكتاب الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويعرفون الحقائق لكن ينكرونها. هذا الفضح وهذه التعرية أديا إلى زعزعة العلاقات المسيحية الإسلامية، التي كانت تتسم في بداية عهدها بالحسنى.

4 - انتشار الإسلام واستمرار العلاقة

انتشر الإسلام، وبلغت الفتوحات بلاد المشرق بفلسطين وسوريا ومصر وفارس، هذه البلاد يقطنها آلاف المسيحيين، الذين وجدوا أنفسهم فجأة تحت ظل الحكم الإسلامي، فإما الإسلام يرتضونه ديناً، وإما دفع الجزية مقابل حمايتهم، لكن لا إكراه في الدين، والشهادات لا تعد ولا تحصى عن احترام الحرية الدينية.

وعلى سبيل المثال نذكر الخليفة عمر بن الخطاب، رضي **الله** عنه، وتعاطفه مع أهل الكتاب بإسقاطه للجزية عن الفقراء والمحتاجين منهم، «مع أنه كان شديداً في دين **الله**، ولكن الشدّة التي عرف بها لا تعني التعصب الأعمى، والضغينة القاسية على المخالفين للدين من أهل الكتاب» (الغزالي، 2005، ص.41)، ولا أدل على ذلك ما رواه يحيى بن آدم في كتاب الخراج من: أن عمر لما قد أتى أجله، أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله: «أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم» (الغزالي، 2005، ص.41).

ثم إن المسيحيين أنفسهم يعترفون بهذا التسامح الذي مارسه الرسول، ﷺ، وأوصى به أتباعه، نذكر من ذلك شهادة المؤرخ الكبير **أرنولد توينبي** *Toynbee* الذي يقول:

«وثمة على الأقل، حالة نابهة الذكر لهذا التسامح المنشود، يفرضها نبي على أتباعه وهو في موضعه الجليل، فإن محمداً قد أمر أتباعه بالتسامح الديني تجاه اليهود والمسيحيين الذين خضعوا سياسياً للحكم الإسلامي، **وقدم محمد لقاعدة التسامح** تفسيراً قوامه أن أفراد هاتين الجماعتين الدينيتين غير المسلمتين، هم أهل كتاب كالمسلمين أنفسهم، **وليس أدّل على روح التسامح** التي بعثت الحياة في الإسلام منذ بدايته،من تطبيق المسلمين مبدأ التسامح الديني على أتباع زرادشت، الذين خضعوا للحكم الإسلامي وإن لم يقل بذلك الرسول الكريم نفسه» (توينبي، 1967، ص: 42).

والشهادة نفسها يدلي بها الفيلسوف راسل، الذي أشار إلى أن الرسول ﷺ أوجب على المسلمين نشر الإسلام، وفتح العالم بشرط «ألا يسمح خلال ذلك باضطهاد المسيحيين واليهود أو الزرادشتيين، وهم أهل الكتاب كما يسميهم القرآن، أي أولئك الذين اتبعوا تعاليم كتاب من الكتب المنزلة» (1968، ص: 186).

وحتى لو رجعنا إلى بعض الشهادات المسيحية في العهد الإسلامي الأول، لوجدنا مثل هذا الإطراء على التسامح الديني الإسلامي نحو الأديان، من ذلك ما ذكره **س. ترتون** مؤلف كتاب «أهل الذمة في الإسلام» قائلاً:

«وفي الأخبار النصرانية شهادة تؤيد هذا القول، وهي شهادة البطريرك «عيشويابه» الذي تولى منصبه 647-657؛ إذ كتب يقول: إن العرب الذين مكّنهم الرّب من السيطرة على العالم، يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملّتنا، ويوقرون قديسينا وقسيسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا» (نقلاً عن الغزالي، 2005، ص. 41).

على العكس تماماً من المسيحيين الذين عرفوا بالتعصب الديني، وبدؤوا الهجوم على الإسلام، واتهامه بأبشع الصفات، من ذلك أنه انتشر بالسيف والعنف .

عندما نرجع إلى القتال الذي حدث في عهد الرسول؛ أي المواجهة التي حدثت بين مشركي مكة ويهود يثرب من جهة، وبين المسلمين من جهة أخرى، نجد أنه معروف

وثابت تاريخياً، أن العرب المشركين واليهود، نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، وهذا يوجب القتال في أي شريعة أو قانون، ثم بعد ذلك تم فتح مكة والمسلمون في أوج قوتهم، وكفار قريش في قمة ضعفهم، لم يدفع ذلك بالمسلمين إلى الانتقام، بل قيل لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وقيل «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن...». كذلك بالنسبة للقتال الذي حدث مع دولتي الفرس والروم، فكلاهما أهان الإسلام والمسلمين، وكلاهما بدأ يستعد لقتال المسلمين، ثم إن إمبراطور الروم أمر بقتل مبعوث الرسول ﷺ، وهذا مخالف لكل أعراف احترام الرسل ومعاملتهم، وعدم التعرض إليهم. والشيء نفسه يقال عن الفرس «فقد أرسل ملكهم كسرى إلى واليه على اليمن يطلب منه قتال الرسول ﷺ، وإرسال رأسه إذا لم يرجع عما يدعو إليه» (علي، 1978، ص. 58)، فكان هذا رده على دعوة الإسلام بعد أن مزّق الرسالة.

أي عاقل يمنطق الأحداث، أكيد سيقول لابد من رد الإهانة والاستعداد للهجوم على غرار الخصم، غير أن المسلمين الفاتحين لهذه البلاد، لم يجبروا أهلها على اعتناق الإسلام، وهذا طاعة للأمر الإلهي ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (البقرة: 256).

ثم لننظر إلى ما حدث بموضوعية أكثر، هل كل بلاد وصلها الإسلام، تحقق ذلك عن طريق الفتح أو الغزو كما يفضل البعض؟

إن التاريخ إلى جانب ذكره لبلدان دخلها الإسلام عن طريق الفتوحات، يذكر بلداناً أخرى أسلمت عن طريق التجار المسلمين لا غير، فالإسلام كان «ينتشر بقوته الذاتية ومبادئه القوية، عن طريق التجار المسلمين، الذين رأى فيهم أصحاب تلك البلاد الأمانة والورع والتقوى، وكانوا يشاهدونهم وهم يقومون بشعائر دينهم، فيسألون عن هذا الدين فيشرحونه لهم، ويقتنعون هم به... لدرجة أن هناك دولاً بأكملها أسلمت دون أن يدخلها جيش المسلمين، ومنها –على سبيل المثال– التي أسلمت جميعها بمن فيهم ملك البلاد على يد رجل تاجر من المسلمين» (علي، 1978، ص. 60).

وفي مقابل انتشار الإسلام وامتداده باعتباره دعوة للعالمين، يحق لنا أن نتساءل: كيف انتشرت المسيحية وهي الدعوة المحدودة في أصلها؟ بل كيف يعمل المنصّرون

على نشرها حالياً في عالمنا الإسلامي، وهي التي عرفت الرفض والنفور في ربوع الحجاز، وبين العرب الذين لم يستسغ أغلبهم عقائد التثليث والتجسد والكفارة؟

هذا يقودنا للحديث عما يعرف بالتنصير أو التبشير، الذي مورس بعد صلب المسيح وعدم عودته المنتظرة كما رأينا مع التلاميذ أو مع بولس، لكن بعد مجيء الإسلام وانتشاره، وتحول آلاف المسيحيين إلى الدين الجديد، جن جنون رجال الدين المسيحي لهذا التحول، وبدؤوا يؤسسون لمشروعهم التنصيري هذا، علماً كاملاً وترسانة من المجندين، وهو ما يعرف بعلم البعاثة أو الإرساليات، الذي يقوم بمهمة التبشير.

المبحث الرابع

التنصير في العالم الإسلامي .. البداية والتطورات

ربما «أصدق ترجمة لكلمة تنصير هي *Evangélisation*؛ أي حمل الناس بصورة أو بأخرى كأفراد أو كجماعات من عقيدة وثنية، أو إسلامية، أو بوذية، أو غيرها إلى العقيدة المسيحية» (الكعاك، 1973، ص. 1133)؛ لأن كلمة «إنجيل» لا تعني سوى «البشارة *Message de joie*»، ولكي يُحمل الناس على اعتناق المسيحية، أسس علم مستقل بموضوعه ومناهجه يساعد في تحقيق هذا الهدف، ويسمى «التخطيط التبشيري *Missiologie*، ويجوز أن نسميه البعاثة كصناعة بأصول ومنهاج البعثات التبشيرية» (الكعاك، 1973، ص. 1133).

من جهة أخرى، نؤكد أن كلمة التبشير تستخدم بدل التنصير، في مختلف المراجع والأدبيات المتداولة عند الطرف المسيحي بداهة، ولكن أيضا عند الكثير من المؤلفين والمترجمين المسلمين؛ أمثال: علال الفاسي، عماد شرف، إبراهيم سليمان الجبهان، عبد الجليل التميمي، أحمد عبد الوهاب وغيرهم[1]، الذين فضّلوا الالتزام بالمصطلح المسيحي كما هو؛ أي التبشير بدل التنصير، ومنه يأتي تفضيل القول رجل مبشر بدلاً من القول منصّر؛ لأنه يقدم نفسه مبشراً بكلمة المسيح.

أما من جهتنا، فنشير إلى أننا لن ندخل في الجدل حول أي المصطلحين أصح، وإنما سنستخدم كلاً من التنصير والتبشير معاً وبالمعنى نفسه؛ نظراً لترادفهما في المعنى المتداول من جهة، ولاستخدامهما معاً في مصادر البحث ومراجعه من جهة أخرى، دون الدخول في تفاصيل لغوية تؤدي إلى تفضيل أحدهما على الآخر، فهذا لا يدخل في اهتمامات البحث وأهدافه، وإنما يأتي تركيزنا على العمل التنصيري أو التبشيري الذي يستهدف العالم الإسلامي، الذي يتقاطع في مهمته مع مفاهيم وتخصصات أخرى مختلفة، لكن ذات صلة وطيدة، كالاستشراق والاستعمار، ويتضح ذلك فيما يأتي:

(1) ينظر قائمة المراجع المرفقة بالبحث، حيث تتضمن جميع هذه الأسماء وعناوين مؤلفاتهم.

1- تاريخ التنصير (التبشير)

ترجع أغلب الدراسات المختصة، بما فيها الصادرة عن المسيحيين القائمين على التبشير[2]، نشأة علم التبشير إلى الإسباني **ريمون لول**، وهذا بعد فشل الحروب الصليبية. وهو ما يتفق مع ما ذكره أحد الدارسين قائلاً عن التنصير:

> «(جريشة، 1986، ص. 28)، لكن بوسائل غير السلاح والحرب، إنها وسائل علمية بالدرجة الأولى. لكن نجد من يخالف هذا الرأي، راداً نشأة التنصير إلى المراحل الأولى للمسيحية؛ أي أنه علم قديم عند النصارى قام به الحواريون *Apôtres* أصحاب عيسى، ونظمته البابوية؛ باعتبار أن وراثة القيام بالدعوة التبشيرية النصرانية، راجع إلى الكرسي الرسولي*Saint siège*؛ أي إلى كرسي الرسول *Apôtre* بطرس الذي يجلس عليه البابا، ويقوم بجميع الوظائف التي يقتضيها، وفي مقدمتها التبشير وتنظيمه» (الكعاك، 1973، ص. 1134).

هذا الطرح يرد تاريخ التبشير إلى ما قبل الإسلام، وهو افتراض يجد قبولاً من زاوية أخرى غير علاقته بالإسلام؛ لأنه فعلاً بعد صلب المسيح كما يعتقد النصارى وظهور الكنيسة، سيطر الاعتقاد بأن دعوته وبشارته عالمية، ولا تقتصر على «خراف بني إسرائيل الضالة»، كما ورد على لسان المسيح، عليه السلام؛ ومن ثم انطلق الأتباع في مختلف الأمصار يبشرون بكلمة المسيح، ورسائل الإنجيل تثبت هذا الفرض. هذا التبشير تم قبل الإسلام وهو مختلف تماماً في وسائله وحتى أهدافه، لكن إذا ربطنا التبشير كعمل منظم مؤسساتي انطلق بعد مجيء الإسلام، فالأرجح أن يكون نشأ فعلاً في أعقاب الحروب الصليبية، فبعد الهزيمة، فكّر رجال الدين والسياسة والحرب والفكر (المستشرقون منهم خاصة) في إيجاد وسائل بديلة فكان التبشير، كما اصطلحوا عليه (دريس، 2011).

---

(2) ينظر في شاتليه، أ. ل. (1980). *الغارة على العالم الإسلامي* (ط2). ترجمة محب الدين الخطيب وساعد اليافي، جدة: منشورات العصر الحديث، يذكر فيه المؤلف: تاريخ التبشير ومختلف الجمعيات والإرساليات في كل القارات، مقيماً نشاطها، كذلك يقدّم أرقاماً للمسلمين الذين تنصروا، خاصة الصفحات من 27–45.

وفي محاولة تحديده لبدايات التنصّير في العالم الإسلامي يذكر **أحمد سعد الدين البساطي**، اختلاف الآراء بشأن هذه القضية؛ حيث يرصد لنا خمسة آراء مختلفة هي على التوالي: (نقلاً عن علي، 1987، ص.ص. 16–22).

■ الرأي الأول

يذهب إلى أن ملك فرنسا لويس التاسع، عندما أسر بالمنصورة إثر فشل حملته الصليبية، فكّر بعمق في السياسة التي يجدر على الغرب انتهاجها إزاء المسلمين، وقد انتهى به تفكيره هذا إلى قناعة، مفادها أنه لم يعد في وسع فرنسا مواجهة الإسلام وحدها، وأن هذا العبء لابد أن تقوم به أوروبا كلها لتضييق الخناق على الإسلام، ثم القضاء عليه؛ مما يكفل لها التخلص من العائق الذي يحول دون تملكها لآسيا وإفريقيا. وذلك لن يكون إلا بتحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية. وهذا يعني أن بدايات التنصير عند أنصار هذا الرأي إنما تعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وتحديداً بعد عام 1250م؛ أي عقب عودة لويس التاسع إلى بلاده بعد أن فك المسلمون أسره.

■ الرأي الثاني

يذهب إلى أن التنصير في البلاد الإسلامية قد بدأ في الربع الأول من القرن 14 للميلاد، بعد المؤتمر الكنسي الذي عقده قساوسة أوروبا في فيينا 1311/1312، وفيه قرروا إرسال بعثات نصرانية إلى البلاد الإسلامية لتحويل المسلمين وغيرهم إلى نصارى.

■ الرأي الثالث

يذهب إلى أن مراكز التنصير بدأت عملها بجزيرة مالطة في أواخر القرن 16 للميلاد، واعتبرت هذه الجزيرة قاعدة هجوم على الشرق الإسلامي كله.

■ الرأي الرابع

يذهب إلى أن التنصير في البلاد الإسلامية قد بدأ في القرن 17 للميلاد، مستندين

في ذلك إلى تصريحات القس اليسوعي الفرنسي ميليز، في كتابه عن الحروب الصليبية؛ حيث يقول: «إن الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن 17 لا تزال مستمرة إلى أيامنا. إن الرهبان الفرنسيين والراهبات الفرنسيات، لا يزالون كثيرين في الشرق ...ولقد احتفظت فرنسا طويلاً بروح الحروب الصليبية، وبالحنين إلى تلك الحروب حية في نفسها، وكثيراً ما فكر ملوكها بحملة صليبية جديدة».

■ الرأي الخامس

يذهب إلى أن التنصير في البلاد الإسلامية قد بدأ مع مطلع القرن 19 للميلاد؛ وذلك لأن قوى التنصير قد وجدت الطريق أمامها مفتوحاً وميسراً بفضل ما وفره لها النفوذ الاستعماري من امتيازات أجنبية ونفوذ القناصل، وسيطرة على الحكام العرب.

واستناداً إلى ما سبق يمكننا القول: إن حركة التنصير في العالم الإسلامي قد بدأت في القرن 13 للميلاد بعد عودة «لويس التاسع» إلى بلاده، ثم نمت وترعرعت بعد ذلك، ووصلت إلى أوجها مع مطلع القرن التاسع عشر بفضل ما وفرته لها قوى المستعمر من عوامل مشجعة.

ومهما تنوعت الآراء في تحديد تاريخ انطلاق التنصير كعمل مؤسساتي منظم، فإن المؤكد أنه ما كان لينطلق إذا لم تعد له العدة اللازمة، فجاءت مدارس البعاثة وتطورت، حتى صارت جامعات متخصصة.

2 - مدارس إعداد المنصرين «المبشرين»

بدأ التفكير في البرامج والمناهج والمدارس الخاصة بالتنصير، بل وتحميس الناس لبعث أولادهم لهذه المدارس، حتى يتخرجوا مبشرين بكلمة المسيح. وأول خطوة في هذا المشروع الضخم، كانت تعلم وتعليم لغات الشعوب التي سيرسل إليها المبشرون، اللغات الأصلية، كالعربية والصينية والهندية والمالوية واليابانية واللهجات المختلفة، للاندساس بين القبائل الإفريقية السوداء والبيضاء (الكعاك، 1973).

وبديهي أن يتبع ذلك تأليف كتب تخص النحو والقواعد وتاريخ اللغات ثم الشعوب، وهنا تداخل عمل المبشر أي المنصّر مع المستشرق، بل غالباً ما كانا شخصاً واحداً يقوم بالمهمتين معاً: فهو يدرس ويتقصى بروح الباحث المستشرق، ليقوم بتوظيف ما وصل إليه من نتائج بروح المبشّر، بعد أن تمكّن من معرفة الثغرات ونقاط الضعف والقوة، وهذا يقودنا إلى الحديث عن عملية إعداد المبشرين.

إن مهمة صعبة وخطيرة كالتبشير، تستوجب إعداد رجال ونساء مؤهلين للقيام بها، وفعلاً أعدّت المدارس والبرامج لذلك منذ بداية التخطيط التبشيري، وكان المبشّر يُلقن القناعة الآتية: «من أدخل شخصاً غير مسيحي في المسيحية ضمن الجنة»؛ مما أدى إلى ارتفاع عدد المقبلين على هذا العمل، الذين كانوا يتلقّون معلومات عن بلاد الشرق يغلب عليها الزيف والتشويه، بحيث

> «يدرس الذين يريدون أن يعملوا في التبشير مناهج خاصة، مبنية على تفهمهم روح الشرق. توجد سياسة تهيمن على المنهاج، هي تصوير الشرق بصورة من التأخر والسوء تحمل طالب التبشير على أن يندفع في مهمته اندفاعاً أعمى، وقد أوجدت مدارس لهذه المهمة منذ زمن بعيد، في روسيا وفي باريس وفي طليطلة بإسبانيا، أضافت إلى مناهجها تدريباً عسكرياً للتبشير بالقوة» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 47).

وتضافر عمل هؤلاء مع سلك الرهبنة الذي قام بنشاطات تبشيرية واسعة منذ أوائل القرن الثالث عشر. ولم يدّخر المبشرون جهداً في استغلال كل الفرص التي تمكن من التبشير، فكان الطب والتعليم، والمساعدات الإنسانية، والجمعيات الرياضية، والنوادي... جميعها وسائل تصلح للتبشير، مع تأكيد **ضرورة تجنب المجادلات اللاهوتية**، والتركيز على مناقشة المسائل الاجتماعية الإنسانية والاقتصادية. (دريس، 2011). وفي هذا يقول محمد الغزالي:

> « في بقاع كثيرة من دار الإسلام وجد البائسون، ووجد الأغنياء المستعلون! وقد استغل التنصير هذا التفاوت لمصلحته! لاسيما بعد تلقّي تعليمات مسدّدة أن يبتعد عن الجدل الديني، وأن يكتفي مثلاً بتقديم العون الصحي والاجتماعي للمحتاجين! مؤكداً لصاحبه أنه عون مجرد من «يسوع» الذي يجير المستجيرين ويعطف على المساكين...» (الغزالي، 1992، ص. 115).

وبتعبير آخر:

«كان المبشرون والمبشرات يتقدّمون إلى الإنسانية بوجه من فعل الخير والسهر على المتألمين بينما هم ينفذون من خلال هذه الآلام المبرّحة إلى طرق جديدة للتبشير. ومع أنهم لم ينجحوا إلا قليلاً، فإنهم أدخلوا إلى نفوس الكثيرين آلاماً جديدة كثيرة، ووصموا الضمير الإنساني بالنفاق» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 49).

لكن، لمتسائل أن يسأل:

ألا يحتاج هذا الإعداد للتمويل المالي؟ من يموّل هذه المؤسسات التنصيرية الضخمة التي تجوب العالم وتحتاج إلى أموال طائلة في ذلك؟

إن المرء ليستغرب إذا علم أن التمويل يأتي من مؤسسات الدول العلمانية، التي حاربت المسيحية في عقر دارها، وإنها لمفارقة عجيبة أن تساعد الدول والمؤسسات العلمانية رجال الدين المسيحي؟!

إنّ هذه المساعدة تكشف بكل بساطة عن مدى علاقة التنصير بتحقيق المصالح الإمبريالية للدول الغربية، بل عن علاقته بالموجات الاستعمارية أيضاً. (دريس، 2011).

فمثلاً فرنسا أول دولة علمانية في التاريخ، نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج، إن اليسوعيين المطرودين من فرنسا هم خصوم فرنسا في الداخل، وأصدقاؤها الحميميون في مستعمراتها (خالدي وفروخ، 1986). السلوك نفسه سلكته بريطانيا، إيطاليا، أمريكا وحتى روسيا، وهذا قليل من كثير، يكشف أن الأهداف الحقيقية للتنصير لم تعد العمل على نشر المسيحية والروح الدينية والإيمان بالمسيح، بقدر ما تهدف إلى تحقيق مآرب الدول الاستعمارية.

وبما أن عملية التنصير كما أشرنا استندت إلى نظام تعليمي، تشرف عليه مؤسسات وهيئات علمية كبرى، وتصرف عليه ميزانيات ضخمة، فقد عرف هذا العلم تطورات مختلفة؛ بحيث يجري المبشرون مراجعات وتقييمات لما تم إنجازه،

على أساسها توضع خطط جديدة في عملية التنصير، حتى يتم تحقيق الأهداف المرجوة منه. ومنه يمكن أن نحدد المراحل الكبرى التي عرفها علم التبشير أو البعاثة أو الإرساليات التبشيرية.

3 - مراحل التنصير «التبشير»

قطع التبشير مراحل وأشواطاً عديدة، المسؤولون عليه يحاولون دائماً تقييم مدى النجاح أو الفشل في الأعمال المنجزة. وبما أن التبشير استهدف في المقام الأول الإسلام والمسلمين، فإننا نحاول تقييم المراحل التي قطعها قياساً على نشاطه داخل المجتمعات الإسلامية، وهنا نميز بين ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى

استهدفت تحويل المسلمين إلى مسيحيين، سواء بمجادلتهم أو تشكيكهم في عقيدتهم أو باستخدام القوة والتهديد وحتى الرشوة، المهم كان الهدف منصباً على أن يصير المسلم مسيحياً، وقد انطلقت هذه المرحلة مع بداية التبشير عقب الحروب الصليبية (جريشة، 1986).

لكن تُرى هل نجح المبشرون في مسعاهم هذا؟

في الحقيقة لا وجود لأي نجاح يُذكر، وإن حدث فهو محدود جداً، وهذا ما وقف عليه التقييم الذي تم أثناء انعقاد أول مؤتمر عالمي يجمع إرساليات التبشير، للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين، الذي انعقد تحديداً بتاريخ 4 أفريل 1906 بالقاهرة، تحت إشراف القسيس **صموئيل زويمر** (شاتليه، 1980).

إذن. من الصعوبة تنصير المسلمين، بل إن الدخول في النصرانية أو الردة أو الكفر سواء بالنسبة للمسلمين، وفي هذا المقام يستشهد **إيتين دينيه** المسيحي الذي أسلم، على لسان الكونت **دي كاسترا** قائلاً:

> «الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا نجد فيه مرتدين، ومن العسير بل من المحال أن نتصور صورة دقيقة للحالة النفسية التي يكون عليها المسلم

إذا ما حاول أحد المسيحيين أن يقنعه باعتناق المسيحية، لعلنا نجد صورة مقاربة شيئاً ما لهذا، إذا ما تخيلنا إحساسات وشعور رجل مسيحي مستنير، يحاول أحد الوثنيين أن يجتذبه إلى اعتناق خرافاته المرذولة» (دينيه وإبراهيم، د ت، ص.ص. 271–272) والنص لا يحتاج إلى تعليق.

بعد فشل تحقيق هذا الهدف– تنصير المسلمين– أعطيت التعليمات بتنحيته في أعمال المرحلة التالية ووضع أهداف أخرى.

- المرحلة الثانية

هنا تغيرت الإستراتيجية، من تمسيح المسلمين إلى العمل على إخراجهم من الإسلام (جريشة، 1986، ص: 30)، ليدخلوا في أي مذهب، أو دين آخر، بل حتى أن يتحولوا إلى الإلحاد، فإن هذا ليس مهمّاً، كذلك العمل على إثارة الشك فيما يعتقده المسلم، وقد ساعد على ذلك وجود متغيرات جديدة في البيئة الإسلامية التي صاحبها التخلف والاستعمار، وعلى الرغم من الجهود التي بُذلت لتحقيق «الإخراج من الإسلام» فإنها لم تحقق نجاًحا ملموساً، ففكر المسؤولون عن التبشير في وسيلة أخرى.

- المرحلة الثالثة

بعد أن اقتنع المبشرون بأن الخروج عن الإسلام هكذا، بصورة واضحة وصريحة أمر صعب، خططوا لما يعرف «بالإبعاد عن الإسلام»؛ أي أن يبقى المسلم على دينه، لكنه بعيد عنه في الوقت نفسه فكيف يتحقق ذلك؟

بعد أن تأكد المبشرون «أن الإخراج من الإسلام كلية صعب صعوبة التنصير؛ لأنه يستوي في حس المسلم أن يقال له: إنك صرت نصرانياً أو يقال له: إنك صرت مرتداً... ومن ثم كانت زحزحة عن الإخراج إلى الإبعاد... ليتزحزح المسلم عن الالتزام الكامل إلى الالتزام النصفي أو الرُبعي... فبدلاً من أن يقيم الصلوات جميعاً فلا بأس أن يكتفي برمضان أو بجزء منه...» (جريشة، 1986 ، ص. 33).

وطبعاً لا يمكن أن تتحقق هذه الأهداف –التي تحققت فعلاً على نطاق واسع– إذا لم يتم التمهيد لها بوسائل، أهمها: العلم والثقافة الغربيان، خاصة عن طريق طلبة البعثات التكوينية بالخارج؛ حيث عاد أغلب هؤلاء المتكوّنين أنصاف مسلمين أو أشباه مسلمين، وتقلدوا المناصب العليا في الدولة، وشرعوا في تطبيق المبادئ التي تلقوها عن أساتذتهم المستشرقين خاصة. وبهذا أفلح المبشرون فعلاً في تمرير الكثير من خططهم، بعد أن فشلوا في تنصير المسلمين.

هذا ما خرج به مؤتمر القاهرة الذي سبقت الإشارة إليه، حيث قال المستشرق زويمر المشرف على أعمال المؤتمر ما يلي:

«إن أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مائة سنة، كانت حجة لاهوتية دينية محضة، أما الآن؛ فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية، وكان يُنظر في سابق الأيام إلى المبشرين نظرة قوم يشنون حرباً صليبية ترمي إلى التنصير فقط، فتحولت الأفكار وصارت الأعمال التبشيرية تشفّ عن فكرة الإصلاح الاجتماعي، وعن رفع الشعوب غير المسيحية» (شاتلييه، 1980، ص. 150).

وفعلاً فقد تحسنت النظرة إلى هؤلاء المبشرين المنصرين من قبل المسلمين، الذين بات كثير منهم يفضل إدخال أبنائه إلى مدارس الإرساليات أو الآباء البيض؛ للقناعة بأنها أقدر على تخريج أبنائهم أكثر وعياً وإدراكاً للأمور، متجاهلين خطورة التعليم بهذه المدارس، مركزين على مزاياه فقط.

وهذه **بعض توصيات مؤتمر القاهرة** آثرنا إدراجها كنماذج نظراً لدلالتها: (شاتلييه، 1980).

- يجب ألا تثير نزاعاً مع مسلم.
- يجب ألا يُحرّض مسلم على الموافقة والتسليم بمبادئ النصرانية إلا عرضاً، وبعد أن يشعر المبشّر بأن الشروط الطبيعية والعقلية والروحية قد توافرت في ذلك المسلم.

- إذا حدث سوء تفاهم حول الدين المسيحي، يجب أن يُزال في الحال ولو أفضى الأمر إلى المناقشة.

وهذا قليل من كثير يبرز مدى أهمية هذا العلم –علم التبشير– وخطورته على المجتمع الإسلامي؛ لأن الحقد مازال خلفية أساسية للتنصير.

وعموماً التبشير مر بمراحل، وعرف تطورات ومراجعات، كذلك نميز فيه أنواعاً مختلفة، بحسب الفئة الموجه إليها؛ رجال، نساء، شباب، كبار، ثقافة الشعوب، طبيعتها، مدى تشددها وانفتاحها، مدى تمسكها بالإسلام أو ابتعادها عنه...يعني بحسب العينة المستهدفة تكون خطة المبشر.

- أنواع التبشير

التبشير ليس واحداً وإنما يتخذ ألواناً مختلفة، أهمها:

(أ) **التبشير الصريح**: مورس سابقاً، وكان يعتمد الجدل و المناظرة للإقناع، وبعد هزيمته تطور إلى تبشير يعتمد على بث الشك، وذلك بقلب الحقائق والتحقير من شأن الحضارة الإسلامية، وفعلاً نجح هذا الأسلوب في التشكيك في قدرة الإسلام، ولغة القرآن على استيعاب مفاهيم الحضارة الغربية المعاصرة وعلومها؛ بدليل واقع التعليم الذي تعرفه بلدان إسلامية كثيرة، تستورد برامج البلدان الغربية ولغتها، خاصة الدول التي تبنت العلمانية، كتركيا وتونس؛ حيث تضمنت برامجها العلمية نظريات وأيديولوجيات مرفوضة من قبل المسلمين، وكان لها تأثير كبير على الشباب؛ حيث ساهمت في تغيير قناعته الإسلامية والإقبال على القيم الغربية المستندة إلى العلمانية وقيم الحداثة (الشرفي، 1968).

(ب) **التبشير المُقنّع**: يتخذ الطب والمساعدة الاجتماعية والإغاثة، والتعليم والروح الرياضية، والبرامج الفنية .. غطاء له. هذا التنصير أنفع من السابق في رد المسلم عن إسلامه، المسلم الذي يقف مبهوراً عاجزاً أمام إنجازات الغرب العلماني التي تجاوزته كثيراً. هذه الصدمة الحضارية جعلت الكثير من المسلمين يفقدون ثقتهم في أنفسهم وحضارتهم، وحتى في دينهم الإسلام؛ حيث أقنعهم البعض أنه

سبب المشكلات والمعاناة والتخلف والضعف... والمغلوب مولع بتقليد الغالب، وهكذا يتبين أن للتبشير ظاهراً وباطناً (دريس، 2011).

هذه توطئة عن التنصير، كتكوين، وإعداد، وتنفيذ غاية في التخطيط والدقة والأهمية، يخضع لمنهج صارم، اتضح لنا أنه ليس بالعمل المستقل، فهو لا يعود لدائرة الشؤون الدينية المسيحية فقط، وإنما تتضافر دوائر وتخصصات عديدة على إنجاحه، أكثرها لفتاً للانتباه دائرتا الاستعمار والاستشراق كأنموذج عن الممارسات المشبوهة للمنصرين.

4 - تحالفات التنصير لتحقيق أهدافه

تحالف المنصرون مع دوائر وأطراف عديدة لتحقيق أهدافهم وعلى رأسها الإطاحة بالإسلام، نذكر منها:

(أ) تحالف التنصير مع دوائر الاحتلال

هو أمر كشفته الدراسات الحديثة خاصة، فلم يكن يُتصور أن رجال الدّين يخدمون مصالح الدوائر الاستعمارية الإمبريالية، ويتحولون عن رسالتهم السامية؛ ليخدموا مصالح من أطاحوا بهم وألقوا بهم على الهامش، بل تم إقصاؤهم من أي نشاط بعد إبعادهم من معترك الحياة، ووصفهم بأبشع الصفات بالنظر إلى تاريخهم الذي أساء إليهم خاصة في الحقبة الأوروبية الوسيطة.

إن علاقة النشاط التبشيري بالمؤسسات الاستعمارية العسكرية، كشفته تصريحات الكثير من رجال الدين المسيحي وجنرالات الحرب، ومع ذلك «إن ارتباط الكنيسة بالاستعمار ما يزال في حاجة إلى دراسات علمية مركزّة، تعتمد خاصة وثائق الكنيسة من جهة ووثائق الجهة الاستعمارية من جهة أخرى» كما يقول الباحث الجنحاني في محاضرته(1973، ص. 1053)، التي قدم فيها شواهد تاريخية عن التنصير الذي تعرضت له دول المغرب العربي، وأخطرها الذي وقع بالجزائر، لذا نفضل الحديث عن التبشير وتحالفه مع القوى الاستعمارية ببلاد المغرب العربي أولاً.

كُشف عن هذا التعاون بين جنرالات العسكر ورجال الدين في كل الحملات الاحتلالية التي مست بلدان العالم الإسلامي؛ مثال ذلك ما حدث عند احتلال فرنسا للجزائر؛ حيث يذكر الباحث التميمي الجهود التاريخية التي كانت تهدف للتبشير، والمدعّمة عسكرياً والتي شارك فيها الملك شارل العاشر ووزرائه قائلاً:

«إنهم كانوا يأملون أن يعقب الانتصار الحربي على الجزائر، إرجاعها إلى حظيرة الدين المسيحي، وفاء وتخليداً للقديس *أوغسطينوس St. Augustin* وسانت سيبريان *St. Cypirien*، (1973، ص. 955)، وطبعاً لا يخفى قدر وموقع القديس **أوغسطين** في المسيحية الكاثوليكية، المولود بالجزائر، وعلى هذا الأساس يجب أن تتمسح بلاد أو موطن **أوغسطين**! (دريس، 2011، ص. 135).

كذلك ذكر **التميمي**: «وشارك وزير الحربية، رئيس وزراء فرنسا الذي خلع على الحملة الفرنسية على الجزائر صبغة صليبية، معلناً أن سقوط الجزائر في أيدي الفرنسيين، سيجلب أجلّ الخدمات وأكبر الفوائد للمسيحية جمعاء» (1973، ص.ص. 955–956)، على أساس أهمية الجزائر وموقعها الإستراتيجي على مستوى القارة السمراء وحوض البحر المتوسط.

كذلك لا يُجهل أمر الراهب **شارل دوفوكو** المتجول في الصحراء الجزائرية، الذي كان يعمل جاسوساً لصالح الجهاز العسكري الفرنسي، وعندما افتضح أمره لقي حتفه على يد التوارق، الذين كانوا يجلّونه؛ لاعتقادهم أنه زاهد قصد الصحراء للخلوة والتعبد... يُعلق **علال الفاسي** على **دوفوكو** بقوله:

«ومن هذا العمل الذي صاحب **دوفوكو** غاية التبشير الاستعماري في الشمال الإفريقي، فهذا **القديس الاستعماري** بدأ بالريادة السرية والتخطيطات الطبوغرافية، وعاش يهودياً في صورته، **ولكنه يقوم مقام طابور عسكري بحاله، ومقام مراقب مدني، ومستشار فني للحكام الفرنسيين** في المناطق المحتلة. وقد اعتبر واقتنع وبذل جهده لإقناع حكومته، على أن تنصير المسلمين هو الوسيلة الوحيدة لتعيدهم لفرنسا بصفة دائمة» (1973، ص. 1105).

وقد ذكر ذلك **دوفوكو** نفسه معترفاً في مذكراته التي نشرت فيما بعد، والتي تنم عن حقد صليبي، والملاحظ أن دوفوكو ميز بين السكان العرب والبربر، معتقداً أن البربر أقرب للتنصير؛ لأنهم ينحدرون من سلالة طيبة! (دريس، ص: 136–137).

لقد حولت فرنسا المساجد الكبرى إلى كنائس بعد غلق الكنائس ببلادها، والتعليم العربي إلى فرنسي، والقضاء الشرعي إلى القانون الفرنسي، وكل هذا بدعم واستشارة رجل الدين حتى تسهل السيطرة على الشعب الجزائري.

والتعاون نفسه نجده بالمشرق العربي بين رجل الدين والمحتل، خاصة في سوريا ولبنان ومصر؛ فقد استغل المبشرون فترة الانتداب حيث تحكموا بالدول المنتدبة، وراحوا يختلقون المشكلات الدينية والقومية بين أبناء الوطن، بإتيانهم أعمالاً تستفز الشعور وتزيد البغضاء في القلوب، تلك البغضاء التي لا تنفجر أحياناً دينياً، وإن كانت تنفجر دائماً، بلا ريب سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وأدبياً (خالدي وفروخ، 1986، ص. 53)، وما حدث من مآسٍ في لبنان دليل وأنموذج على ذلك.

لقد عملت السياسة الاستعمارية بالتعاون مع النشاط التبشيري، على الفصل بين المسلمين والمسيحيين مواطني البلد الواحد منذ قرون، بل إن هذه السياسة «وضعت في لبنان خطاً فاصلاً ظاهراً ورسمياً، ثم حمّلت البلاد مشكلات كانت في غنى عنها. ولقد انتقد جميع الحكام والمؤرخين، فيما بعد، قسمة جبل لبنان قسمين مسيحياً ومسلماً» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 140)، والمسؤول في ذلك فرنسا ورجال دينها وعسكريوها؛ لهذا نجد اليوم وبعد ويلات الحرب الأهلية، يعد لبنان حكومة وأفراداً من أشد أنصار الحوار الديني، حتى يعرف الاستقرار والأخوة الوطنية التي ينشدها.

لقد أسهم المبشرون إلى جانب العسكريين الفرنسيين في انقسام لبنان وتشتته، هذا الشعب الذي يتشكل من طوائف متعددة مسلمة ومسيحية وغيرها، لكنها كانت تتعايش فيما بينها، وتعمل في مؤسسات ومصالح مشتركة دون أية مشكلات، لكن بوصول الانتداب الفرنسي، ونشر بعض المفاهيم القومية منها خاصة، ثارت النعرات، وبدأت الأمور تتغير.

وكان أكبر المشكلات طرحاً «**هوية لبنان**» نفسه، أيمكن عدّه بلداً ينتمي إلى القومية العربية بالدرجة الأولى؛ لأنه يحمل الكثير من خصائص الحضارة العربية، التي تعني أيضاً أنها إسلامية؛ من ثم من مصلحته أن ينتمي إلى الأمة العربية، أم أنه بلد ينتمي إلى الحضارة المسيحية بالدرجة الأولى؛ أي أوروبا اللاتينية، ويكون من مصلحته أن ينتمي إلى الغرب الأقوى كما يفضّل بعض اللبنانيين؟ (دريس، 2011).

> «إن اختيار اللبناني للغرب يثير إشكالاً آخر، فكيف يمكن أن يتقبل المسلمون اللبنانيون هذه السياسة التي تقوم على التبعية للغرب في الثقافة والتقاليد، وما السبيل لجعل النصف المسلم من سكان لبنان يقبل بتلك الرؤيا والسياسة اللتين لم تستهويا سوى نصفه المسيحي؟ كيف يمكن إنشاء دولة متعددة الطوائف، وقائمة على أساس المساواة مع احتفاظ المسيحيين بالسلطة العليا على السياسة فيها؟ وكيف يمكن تجنب ضرورة الاختيار بين العرب والغرب؟ هذه هي المآزق التي يجد القومي المسيحي اللبناني نفسه فيها» (حوراني، د ت، ص: 385) كما يقول أحد المسيحيين، وكذلك الأمر بالنسبة للقومي المسلم اللبناني.

إنها إشكالات تطرح نظرياً وعملياً، بل حتى على مستوى تعريف لبنان نفسه؛ حيث راح أنصار كل فريق يعرف بلده بشكل مختلف «وهكذا نشأ شعب وحيد من نوعه لا يمكن وصفه بتعابير غير التعابير الخاصة به» (حوراني، د ت).

وقد حاول الميثاق اللبناني الذي أسس عام 1943 حل هذه الإشكالات، مشترطاً من بين قوانينه أن يكون رئيس الدولة مسيحياً على أساس إحصاء فرنسا بأن عدد المسيحيين يمثل 53%، ومناصفة المجلس الوزاري بين المسلمين والمسيحيين، ولكنه ميثاق لم يصمد، وكانت الحرب الأهلية عام 1958 التي جرّت المآسي للمسيحيين والمسلمين، بل للشعب الواحد، ويذكر كتاب التبشير والاستعمار تفاصيل مهمة عما حدث في لبنان من فتنة حققت للدول الأجنبية هدفاً عظيماً حيث «انعقد في بيروت مؤتمر دولي حضره المفوض السلطاني مع خمسة من وكلاء الدول ومفوضيهم، أعني دولة إنجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا... وقرروا أن تكون

إدارة الجبل بواسطة متصرف مسيحي برضا الدول، هذا المتصرف (الحاكم) يجب أن يكون نصرانياً أوروبياً من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لا وطنياً مسلماً أو مسيحياً» (خالدي وفروخ، 1973، ص.ص. 138–143).

هذا ما جرّه التعاون بين التبشير والاستعمار، تبشير ظاهره نشر الإيمان بالله والعلم والحضارة، وباطنه ضرب مقوّمات الوحدة الإسلامية والعربية حتى تسهل السيطرة. وعندما افتُضح العمل التبشيري وتآمره، راح يغطي ويحمي نفسه –كما فعل البعض– بفكرة التسامح والحوار بين الأديان، لهذا رفض بعض مفكري الإسلام دعوة الحوار رابطاً بينه وبين التنصير (دريس، 2011).

ثم إن هناك عائقاً أكبر لا يمكن غض الطرف عنه، وهو موقف الكنيسة السلبي من قضية فلسطين. إن الموقف العدائي التاريخي بين اليهود والمسيحيين معروف، يعود لأسباب عقدية بالدرجة الأولى؛ أي اعتقاد المسيحيين أن اليهود هم من صلب المسيح، إلا أن هذا العداء لم يبق كما كان في الماضي، والصلح بين المتخاصمين أكثر من مُلاحظ، وهو أمر غير مرفوض مبدئياً؛ فاليهودية ديانة سماوية، ولها مكانتها والصلح معها أحسن من العداوة، لكن حينما يكون على حساب الطرف المسلم الذي يبجّل ويوّقر المسيح، عليه السلام، فإن الأمر يصبح محل ريبة وشك وتساؤل.

> الأحداث تجاوزت الشك إلى اليقين؛ فقد ثبت تعاون المبشرين مع اليهود ومع الصهيونية؛ «لأنهم كانوا يتفقون معها في عدائهم للعرب والمسلمين، ولم يُصرّ المبشرون على إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، إلا لأن إنشاءه يُضعف العرب إضعافاً شديداً أو يفتح أبواب فلسطين العربية أمام التبشير، وإلا لأن فلسطين إحدى نقاط الهجوم في العالم العربي الإسلامي» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 179).

وبدأ التمهيد لإنجاز هذا الهدف المتمثل في جمع اليهود في أرض فلسطين، وسيلة لنشر العرب –مسيحيين كانوا أو مسلمين– في مدارس التبشير والإرساليات بهدف استمالتهم، هنا يبرز تعاون المبشرين مع اليهود ضد المسلمين، ومع الحركة الصهيونية ثم مع الماسونية، تعاون يبرز التآمر من جهة و ضعف الكنيسة وتراجعها

من جهة أخرى، وهو خضوع لا مبرر له غير التخلي عن الرسالة المسيحية، وعن الإيمان بالله، وعن استمرار الحقد الصليبي اتجاه المسلمين، وعموماً، فإن الواقع يبين سيطرة اليهود على النصارى في كل المحافل والمناسبات، كما يبين نصرة النصارى لليهود ضد المسلمين في أي قضية تعرض (دريس، 2011).

فقد «استطاعت الماسونية أن تسيطر على الكنيسة وبعض أتباع المسيحية، وكان أكبر انتصاراتها اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بها، وكانت الكنيسة الكاثوليكية تنبذ كل فرد نصراني يثبت لديها اشتراكه في عضوية المحافل الماسونية وتسقط عنه الإيمان المسيحي باعتبار أن الماسونية عقيدة صهيونية يهودية، والغرض منها محاربة الأديان وتطويع المعتقدات الأخرى للسيطرة اليهودية، غير أنها ما لبثت أن خضعت لنفوذ الصهيونية» (الجندي، 1985، ص. 48).

وفي توزيع الأساقفة الكاثوليك في روما بياناً بالسماح للكاثوليك بالانضمام إلى المحافل الماسونية، دليل على استرداد النفوذ الصهيوني داخل الكنيسة، وكيف بدأ تهويد العقلية النصرانية، ومسخ تقليدها الديني (الجندي، 1985)، وهذا ما يعبر عنه بظاهرة «**تهويد النصارى**».

وللإنصاف والموضوعية، يجب التذكير أن بعض المسيحيين لا يتجاهلون قضية فلسطين، ويدركون جيداً الخطر اليهودي الصهيوني، وينصفون العرب في هذه المسألة، من ذلك ما وجدناه في مقال **جون كوربان** اللاهوتي المعروف الذي عبّر عن هذه القضية «بالشوكة الصهيونية»؛ حيث يقول:

«هذه الشوكة في قلب العالم العربي، هذا التلميح الذي يغطي حقائق مأساوية يقودنا بالتحديد لوجه من أوجه السيطرة. فمأساة فلسطين وخاصة القدس، والنتيجة الطبيعية التي خصت لبنان، إنها تشكل فرصة للتشويش داخل المعلومات، إن الصهيونية ظاهرة سياسية تنطلق من إيديولوجية دينية غريبة عن العقيدة اليهودية، الندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين (بيروت ماي 1970) والندوات الجهوية التي تبعتها بأوربا

وأمريكا... كان لها وعلى العكس كمبدأ أساسي، كشف الزيف والكذب اللذين كانا يريدان أن يغطيا وباعتبارات دينية الظاهرة السياسية الصهيونية» (Corbon,1985, p184).

وما يستشف من هذا الكلام وعي بحقيقة ما تعنيه الصهيونية، وأنها بعيدة كل البعد عن الأهداف النبيلة للدّين، لكن هذا الوعي المسيحي نسبي وضئيل، خاصة بعد ما تأكد التعاون بين رجال الدين المسيحي واليهود ضد الإسلام والمسلمين.

ومن هذا المنطلق كان رفض الحوار المسيحي الإسلامي، مادام موقف الكنيسة سلبياً[3] من القضية الجوهرية للعالم الإسلامي، وهي قضية فلسطين والقدس؛ لذا من الضروري الوقوف على علاقة الحوار الديني بالعمل التنصيري.

(ب) تحالف التنصير مع مؤسسات حوار الأديان

يقول أحد الرافضين المشككين لعملية الحوار، الذي دعت إليه الكنيسة في مؤتمر الفاتيكان الثاني 1965 رابطاً بينه وبين التنصير: «أعتقد أن هناك لوناً جديداً من السياسة التبشيرية، وتحطيم معالم الشخصية العربية الإسلامية... لا يقل خطراً عن سياسة التبشير القديمة، فهو يملك وسائل جديدة مقنعة ناجعة تمكّنه من التأثير، دون إثارة رد الفعل الذي حدث أيام الاستعمار» (الجنحاني، 1973، ص. 1073).

ويوضح أكثر قائلاً: «بصرف النظر عن معطيات الحوار وأساليبه، والشروط التي يجب أن تتوافر فيه ليتم، فإني أرى أنه يجب مقاومة محاولات الحوار هذه، الذي تحوم حول الكثير منها الشبهات، ويحيط بها الغموض» (الجنحاني، 1973، ص: 1073)، وهذه ليست بالرؤية الناتجة عن تعصب، بل رؤية صادرة عن تحليل لوقائع الماضي والحاضر، وتخوف من الحوار، له مبرراته الموضوعية.

فبعد فشل التبشير الكلاسيكي الصريح، نجح التبشير غير المباشر، المقنّع، الذي اتخذ من الحوار أحد الأقنعة، إلى جانب أقنعة الطب، التعليم،

(3) التوصيات التي خرج بها مؤتمر الحوار الذي انعقد بليبيا 1976 التي تخص السلام العالمي، رفض الطرف المسيحي التصويت والتوقيع على البنود التي تدين اليهود في فلسطين! انظر دورية إسلاميات– مسيحيات، العدد الثاني، 1976.

والرياضة، الفن... ومن هنا يمكن الرجوع بالحوار إلى ما قبل تصريح الفاتيكان الرسمي عام 1965م؛ لأن «الحوار بين المبشرين وبين أتباع الأديان غير المسيحيين أمر قديم، فإن عدداً كبيراً من المؤسسات الغربية، كالمدارس والنوادي وجمعيات الشبان والشابات وسائل لحوار –مستتر كثيراً أو قليلاً– وغاية هذا الحوار زعزعة العقائد الإسلامية على ألسنة أشخاص معروفين في قومهم، والحوار كالمعاهدات يظفر بالغنائم فيها من كان أقوى يداً و أرفع صوتاً» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 257).

ومما يؤسف عليه «أن نفراً قد حملهم تيار هذا الحوار حيث لا يريدون، وعلى كل فإن النتائج العملية لهذا الحوار لم تكن بعيدة الأثر في الهدف الذي نُصب لها؛ ذلك لأن المخلصين أدركوا أن هذا الحوار هو وسيلة جديدة من وسائل التبشير الديني السياسي معاً، ثم إن كثيراً من المخلصين كانوا يتتبعون الحركات العامة في العالم، فعلموا بأهداف هذا الحوار، أما الذين ليس لهم تتبع لما يجري في العالم؛ فقد ظنوا أن هذا الحوار فرصة لتثمين آرائهم وكانوا في ذلك مخطئين» (خالدي وفروخ، 1986، ص. 257).

وكما لا يصح أن نعمم مثل هذه النظرة الصادرة عن موقف مخلص للإسلام، كذلك يجب عدم إجحاف حق المسيحيين المخلصين الذين يرفضون ممارسات التبشير المشوهة، أو بعض مجهودات الكنيسة التي تحاول إصلاح سبل التبشير المسيحي؛ حيث يقول **جورافسكي**:

«الحوار الذي أريد به أن يكون أسلوباً جديداً للتبشير المسيحي لم يعد كافياً على الإطلاق؛ حيث إن التحول الحاصل في توجه الكنيسة بالنسبة لموقفها من العالم، أدى بدوره إلى إعادة النظر فيما يخص مفهوم الرسالة المسيحية، ومهام التبشير المسيحي في الشرق، ويفضل اللاهوتيون الكاثوليك المعاصرون استعمال صيغة «الاهتداء إلى المسيح»، بدلاً من الصيغة القديمة «التحول إلى المسيحية» (1996، ص.ص. 170–171).

هذا عن التنصير الذي اتخذ من الحوار الديني مطية لتنفيذ مخططاته، لكنه يوجد من اتخذ من الاستشراق مطية لتحقيق مآربه التنصيرية أيضاً.

(ج) تحالف التنصير مع الاستشراق

تعاون آخر بين فئة المبشرين ورجال الدين المسيحي، مع فئة مثقفة مفكرة دارسة للشرق تُعرف **بالمستشرقين**. لقد وُظف هذا المصطلح بمعان عديدة؛ مما جعله يستخدم في غير الموضع اللائق به، فإذا أخذنا المعنى العام فإن كلمة استشراق: لغة آتية من الشرق ومن ثم أخذت هذا المعنى: تعلّم ودراسة علوم الشرق تمييزاً لها عن علوم الغرب. لكن الذي حدث فيما بعد، أن أصبح كل من يدرس معارف تخص الشرق أدباً كانت أو طباً أو فلكاً أو فلسفة أو تاريخاً... تطلق عليه تسمية «المستشرق»؛ ومن ثم تداخل مفهوم المستشرق مع مفهوم المؤرخ مثلاً الذي تخصص في دراسة تاريخ الشرق، أو مع عالم الاجتماع الدارس للمجتمعات الشرقية... لكن هذا الإطلاق العام بدأ يزول من الذهنيات، بعد أن بدت معالم الاستشراق وخصوصيته كعلم مستقل بموضوعه ومنهجه وأهدافه (النبهان، 2012).

فالاستشراق –كمصطلح– أصبح يطلق على نوع من الدراسات، التي يجب أن تستند إلى معلومات دقيقة جداً، **على أساسها تتحدد وجهات نظر وتبنى نظريات وفق إيديولوجية معينة تخدم مصالح الغرب السياسية، الاقتصادية، الدينية**... لتدرّس هذه النظريات ضمن برامج معينة للطلبة في الجامعات خاصة، بغرض تشكيل مُتخيّل غربي عن الإسلام والمسلمين، يخدم الصراع الحضاري بين الشرق والغرب (دريس، 2011).

أما عن تاريخ ظهوره؛ فقد سبق ظهوره التبشير، وأغلب الدراسات ترجع نشأته وظهوره مع انتشار الفتوحات الإسلامية، عندما وصل الإسلام إلى أوروبا، فكان هذا اللقاء الأول بداية لتعرّف الإسلام ولغته وحضارته، وقد لقي إعجاباً خاصة فيما يخص الإنتاج العلمي، بالنظر إلى التخلف الذي كانت تعانيه المجتمعات المسيحية، ولم يفوّت ملوك أوروبا الفرصة للاستفادة من علوم المسلمين، وكانت الخطوة لذلك إرسال البعثات إلى مراكز الإشعاع بجامعات قرطبة، طليطلة، صقلية... وفعلاً اطلع الطلبة هناك على علوم الإسلام وفنونه من طب وفلك ومنطق ورياضيات وفلسفة،

وهنا كانت الخطوة الأولى لما سُمي بالاستشراق[4] وهي خطوة لا غبار عليها، بما أنها أخذت صبغة علمية، والعلم قاسم مشترك بين الإنسانية جمعاء (الشرقاوي، 1993).

لكن تطور الأمر وأخذ منحى آخر فيما بعد، لقد كان من بين الطلبة رهباناً، وقد تأثر بعضهم بالإسلام لدرجة اعتناقه، أو رجوعهم إلى بلدانهم، وكلهم غضب على الكنيسة وممارساتها السلبية تجاه العقل والعلم، لكن البعض الآخر، خاصة رجال الدين المتعصبين، قلوبهم كانت تمتلئ حقداً أو خوفاً من أن تتحول شعوبهم إلى الإسلام.

ولتجنب ذلك اختاروا أسلوب التشويه والتلفيق والكذب؛ بهدف قلب الحقائق، وتقديم أبشع صورة عن الإسلام، وهكذا بدأت علاقة الاستشراق بالتنصير أو تحول المستشرق إلى منصّر أو مبشر (دريس، 2011).

وكما اتهم النشاط التبشيري بخدمة المصالح الاستعمارية وضرب الإسلام، فإن الاتهام نفسه وجّه للمستشرقين، الذين يفترض أن يكونوا علماء دارسين للإسلام ولغاته وثقافاته، ولا علاقة لهم بنصرة دين ما أو الهجوم على آخر، فالموضوعية العلمية تفرض عليهم نقل الحقيقة لا غير. لكن التاريخ والواقع يؤكدان غير ذلك، حتى إن بعض المستشرقين الشرفاء والنزهاء فضحوا أعمال زملائهم، التي غالت في الكذب والدسّ وقلب الحقائق.

إن المستشرق مطلع ودارس للإسلام بداهة، وبإمكانه أن يفيد في عملية الحوار، لكن للأسف بعضهم سلك سلوك المبشرين، متخذاً الحوار مطية لتمرير أفكار ونظريات وتأويلات غير صحيحة عن الإسلام إلى الذهنية الإسلامية نفسها، حتى يصبح المسلم ينظر لدينه وحضارته بمنظار أستاذه المستشرق، وهذا دس ومناورة (دريس، 2011).

---

(4) فضّل البعض أن يرجع بداية الاستشراق ونشأته الحقيقية إلى الفترة التي تم فيها «إنشاء أقسام علمية وكراسي أستاذية لدراسة اللغة العربية والإسلام في الجامعات الأوروبية الكبرى»، كما ذكر في كتاب: الشرقاوي، محمد عبد الله. (1993). الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي، ص. 07.

فئات كثيرة اهتمت بالإسلام ودرسته، بنوايا ودوافع مختلفة، لكن الفئة التي أطلق عليها اسم (المستشرقون)، هي التي كان لها النصيب الأوفر من الدراسات الإسلامية، ليس من ناحية كمها وكيفها فقط، ولكن من ناحية عمق تأثيرها في الأوساط الغربية والمسيحية خاصة؛ لأنها هي التي تشرّفت بتقديم الإسلام وتعريفه، وكل ما يمت بصلة للشرق الإسلامي، ونظراً لنفوذها الفكري الديني، فقد وجدت آذاناً صاغية وقبولاً؛ ومن ثم كانت وراء الموقف العدائي الذي تشكل عند الأوروبيين لقرون عديدة وقاد إلى عداوة بين المسلمين والمسيحيين (دريس، 2011).

يقول عبد الله الشرقاوي

«إن الاستشراق ولد أولاً في سراديب الأديرة والكنائس، ووظفه المستشرقون من رجال الدين في الغرب، لتحقيق هدفهم في محاربة الإسلام بالافتراء الحاقد عليه، والدسّ الرخيص والكذب، في محاولة لطمس وتشويه حقائقه، ووضع الحواجز والسدود بين الشعب الأوروبي وتفهم الإسلام كما أنزله **الله** تعالى، وبلّغه رسوله ﷺ (1993، ص. 48).

عمل التشويه، مسّ كل ما يمت للإسلام بصلة؛ فالقرآن كتاب ملفق لا علاقة له بالوحي، ومحمد رجل كاذب، مخادع، وفي أحسن الأحوال عبقري استطاع أن يقنع الناس بدعوة غير حقيقية، أحكام الشريعة الإسلامية قاسية وطاغية، الإسلام انتشر بقوة السيف...

وفعلاً نجحت هذه المؤلفات في إبعاد الشعوب الأوروبية عن الإسلام. والحقيقة أن علاقة الاستشراق بالتبشير مازالت مستمرة حتى يومنا هذا، مثال ذلك المجلات الاستشراقية المتخصصة، أهم كتابها من المبشرين المعروفين، فمجلة «العالم الإسلامي» كان رئيس تحريرها المستشرق المعروف صموئيل زويمر، والعلاقة عكسية، فالمجلات التبشيرية الدينية، أغلب كتابها مستشرقون، حتى إنه يصعب التمييز بينهما.

«إن كل باحث عن تاريخ الاستشراق، يستطيع أن يتبيّن بما لا يدع مجالاً للشك أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق، وقد صاحبه طوال مراحل تاريخه، ولم يستطع أن يتخلص منه بصفة دائمة»(الشرقاوي، 1993، ص. 48)، وليت الأمر وقف عند معاونة الاستشراق لرجال الدين، بل امتدت معاونته للهيئات الاستعمارية.

فقد وجهت الدعوة للمستشرقين، لكي ينقلوا كل صغيرة وكبيرة عن العالم الإسلامي، ويساهموا بدراساتهم في معرفة نقاط القوة والضعف، **وكذلك في توجيه الخطط الاستعمارية لضرب الإسلام والمسلمين**، وهذا ما يذكره أحد المسيحيين، الذي بيّن التغيير الذي حصل في مسار الاستشراق بعد فشل الحروب الصليبية قائلاً:

«والواقع أن التفسيرات الأوروبية لظهور الإسلام، والمتداولة في العصر الحديث، ارتدت بالأساس طابعاً تطبيقياً، وكانت مشروطة –بخلاف العصور الوسطى– بالاحتياجات والمهام الإيديولوجية الأوروبية الداخلية قبل كل شيء» (جورافسكي، 1996، ص. 104). وهذا ما حققه الاستشراق فعلاً، الذي كيّف الإسلام بحسب الاحتياج الإيديولوجي الاستعماري، وكم كان **جورافسكي** موضوعياً عندما استنتج قائلاً:

> «وبهذا يمكن القول بموضوعية كاملة: إن «علم الإسلاميات» ولد في أحشاء المخططات الاستعمارية، أو على الأقل تزامن مع ارتفاع الأصوات الأوروبية، الداعية إلى استعادة السيطرة على الأراضي المقدسة من أيدي مغتصبيها المسلمين، عن طريق اتباع حملة من الإجراءات العملية–التطبيقية في مقدمتها إنشاء المدارس العربية في الغرب، كشرط لتحقيق المعرفة الدقيقة لعقلية العرب والعقيدة الإسلامية» (1996، ص.ص. 104–105).

هذه هي المدارس التي أطّرها المستشرقون، وبثوا من خلالها سموماً ونظريات مُغالطة، وبذلك خانوا العلم وقداسته وأمانته.

وأحسن دليل على تعاون المستشرق مع المستعمر ما حدث في أثناء حملة نابليون. «إن اعتماد نابليون بونابرت قائد الغزوة الفرنسية لمصر (1798–1801) على جهود

المستشرقين واصطحابه لهم، وأخذه بمشورتهم وتوجيههم، واستخدام معرفتهم وخبرتهم بالإسلام في الأغراض الاستعمارية، لفرض السيطرة والتوسع فأمر معروف، ويؤكد العلاقة الآثمة بين المستشرق والمستعمر». (الشرقاوي، 1993، ص. 69).

ويوضح **جورافسكي** أسباب هذا الاتجاه العدواني، الذي ساد الدراسات الاستشراقية في القرن التاسع عشر وبداية العشرين، بقوله: «ويمكن توضيح بواعث هذا الوضع من خلال البحث أولاً في المناخ الاجتماعي–السياسي والنفسي لأوروبا في تلك المرحلة، والبحث أيضاً في نوعية العلاقة العضوية المتبادلة بين علم «الإسلاميات» و«الإيديولوجيا الاستعمارية» (1996، ص: 105)، ولم يبالغ **جورافسكي** عندما عبّر عن العلاقة المذكورة بالعلاقة العضوية.

> وقد بلغ الاستشراق وقاحته القصوى عندما حاول المشرفون عليه إقناع مواطني الدول المستعمرة، بأن الاستعمار نعمة وليس نقمة؛ لأنه يحمل الحضارة والتقدم... محاولين تشكيك المسلمين في قيمة عقيدتهم، «عن طريق شرح تعاليم الإسلام ومبادئه، شرحاً يُضعف في المسلم تمسكه بالإسلام، ويقوّي في نفسه الشك فيه كدين، أو على الأقل كمنهج سلوكي يتفق وطبيعة الإنسان العصرية... وهذا يكشف الروح الصليبية في دراسة الإسلام سافرة، رغم محاولة التخفي تحت عباءة البحث العلمي ودعاوى التراث الإنساني المشترك» (الشرقاوي، 1993، ص. 78).

وتتنوع أهداف الاستشراق بين علمية، وهي الأقل نسبة، وأخرى دينية دفاعية، إلا أن الهدف الغالب كان العمل على إضعاف المسلمين، وتمكين الغرب المسيحي من السيطرة على المسلمين بصورة أو بأخرى. وليومنا هذا مازال رجال السياسة في الغرب، يتصلون بالمؤسسات الاستشراقية لاستشارتها في القرارات الخاصة بالدول الإسلامية.

إن الموضوعية العلمية تقتضي منا التذكير بالجانب الإيجابي من الاستشراق، مهما كان ضئيلاً خاصة أن الفئة المنصفة من المستشرقين استهجنت النهج

اللاعلمي، وتشويه الحقائق، الذي سلكه زملاؤهم. فالاستشراق ليس واحداً؛ حيث يوجد فيه من يتصف بالموضوعية والعقلانية والإدراك لرسالته. بعض المستشرقين مثل **فلاديمر يولوفيوف**، أشاد بالتجربة الدينية الإسلامية، وحاول تغيير النظرة الحاقدة نحو الإسلام، بل كانت لهم شجاعة يجب أن تذكر تتعلق بترجمة المؤلفات الإسلامية الجدلية الدينية خاصة، التي أبرزت مساوئ العقائد المسيحية وتناقضاتها. من ذلك ترجمة كتاب «الرّد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل» **لأبي حامد الغزالي** من طرف **روبير شدياق**، كذلك ترجمة **يوشع فنكل** لكتاب **الجاحظ** «المختار في الرّد على النصارى»، وقبل أن تتم ترجمة هذه الكتب وغيرها، معلوم أن دراسة اللغة هي المدخل لمعرفة أي فكر أو نقله، وهنا يجب التنويه بمجهودات المستشرقين في هذا المجال، فاهتمامهم باللغة العربية قد «أثمر عدداً من المعاجم اللغوية المهمة وقدّم بحوثاً مقارنة مفيدة في المستويات المختلفة والآداب المقارنة» (الشرقاوي، 1993، ص. 4–5).

المبحث الخامس

واقع التنصير في العالم الإسلامي وسبل مواجهته

في المبحث السابق وقفنا على التنصير كمعنى ومفهوم تشكل منذ قرون خلت، وكعمل مؤسساتي يخضع لتخطيط عمل البعاثة التبشيرية؛ الأمر الذي جعل المنصرين يتعاونون مع أطراف أخرى كالمستشرقين، والدوائر العسكرية المشرفة على حملات الاحتلال التي مست العالم الإسلامي، لذا وجدنا تداخلاً بين نشاط التنصير، والحوار الديني، وعلم الاستشراق، والاحتلال، وهذا في محاولة منه للتخفي والتضليل حتى لا يُكتشف أمر المنصرين؛ الأمر الذي نحاول الوقوف عليه تفصيلاً في المبحث الأخير الذي يحلل بشكل عملي التنصير الساري حالياً في المجتمعات الإسلامية.

1 - دوافع التنصير في العالم الإسلامي

نظراً لفشل الحروب الصليبية العسكرية في تحقيق أهداف التنصير في العالم الاسلامي، وتعرضها للإدانة الشديدة من قبل الكثير من المسيحيين، من مؤرخين وفلاسفة ومفكرين، كان العمل على إيجاد بدائل جديدة للصراع العسكري أمراً حيوياً. هكذا رسم لويس التاسع المعالم الأولى للعمل التنصيري–كما مر بنا– على نحو يمكّن من مواجهة الإسلام، والنيل من قوته وذلك «بتحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه، لا فرق بين النوعين إلا من حيث نوع السلاح المستخدم في المعركة، وتجنيد المبشرين الغربيين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره، ثم القضاء عليه معنويا،اعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنودا للغرب» (شرف، 1975، ص. 15).

يقول اليسوعيون في عرض نشاطهم التبشيري في الشام: «ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ...أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي، ولنعيد في ظل العلم الفرنسي، وباسم الكنيسة مملكة المسيح» (خالدي وفروج، 1986، ص 115). وهذا يعني أن دوافع التنصير اليوم هي ذاتها الدوافع التي غذت الحروب الصليبية، منذ قرون والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- يمثل الإسلام منافساً عاتياً للنصرانية، بل هو الدين الوحيد القادر على إزاحتها من الوجود إن ترك له السبيل. إن المنصرين لا يخشون البوذية ولا الهندوسية ولا اليهودية؛ لأنها جميعاً ديانات قومية لا تسعى إلى الامتداد خارج أقوامها، أما الإسلام؛ فهو دين زاحف، يمتد بنفسه وبلا أية قوة تساعده، وثمة مكمن الخطر. يقول الشيخ محمد الغزالي، رحمه الله:

  «لقد ظهرت المسيحية قبل الإسلام بستة قرون، وقامت باسمها حكومات مرهوبة الجانب ولقد نظر الرومان–وهم في ذلك العصر أصحاب السلطان باسم النصرانية– إلى الإسلام لا على أنه دين يعاون في هداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، بل على أنه منافس محذور النجاح، كما ينظر التاجر القديم إلى مؤسسة جديدة مزودة بأسباب النهوض والنماء، فهو يرى في امتدادها والإقبال عليها خطراً على كيانه وبقائه» (الغزالي، 1965، ص. 17).

- الإسلام هو الدين الوحيد القادر على تعرية النصرانية وإظهار زيفها، لما يتضمنه من حقائق تنفي عقيدة التثليث التي تقوم عليها، وتكشف تحريف الأناجيل التي تعتمدها، والأزمة الحادة التي تعيشها، والراجعة إلى الفوضى المسيطرة عليها ممثلة بتعاليم الكنائس المختلفة. كما أن الإسلام يمثل قوة حضارية عاتية، فقد استطاع أن يجعل من العرب البدو قُواداً للعالم، وباستطاعته أن يعيد لهم هذه الريادة اليوم، إن هم تمسكوا بتعاليمه السمحة.
- دراسات استشرافية كثيرة أنجزت في الغرب المسيحي، تؤكد أن الإسلام هو الخطر الحقيقي على الحضارة الغربية المسيطرة، نذكر منها دراسة **صموئيل هنتنغتون** «صراع الحضارات»، ودراسة **فوكوياما** «نهاية التاريخ»، فعلى الرغم من القوة الاقتصادية الآسيوية الصاعدة، سواء من الصين أو اليابان وغيرها من دول جنوب شرق آسيا، التي تشكل تهديداً حقيقياً للغرب، جاءت نتائج الدراسات لتؤكد أن الخطر الحقيقي يكمن في الإسلام، على الرغم ممّا يعانيه المسلمون من تخلف وتبعية وعدم استقرار أمني... لهذا يتم التخطيط لأهداف التنصير بعناية فائقة (فوكوياما، 1993؛ هنتنغتون، 1999).

2 - أهداف التنصير في العالم الإسلامي

خضعت حركة التنصير منذ ظهورها لأهداف إستراتيجية، سعى القائمون عليها لتحقيقها مسخرين كل ما لديهم من قوة وطاقة، ونفوذ ومال، وحكومة وسلطة، وأفراد وجماعات، ومؤسسات وهيئات، وخبراء ومستشارين على أعلى المستويات، ويمكننا أن نلخص هذه الأهداف البعيدة والقريبة منها فيما يأتي:

- حماية المجتمعات النصرانية من الدخول في الإسلام، والحيلولة بينها وبين المد الإسلامي الزاحف، وذلك بالعمل على تشويه صورة الإسلام لدى الغرب، والحرص على هدم عقيدته لدى المسلمين. يقول أحد المستشرقين:

  «لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر؟» ويجيب عن نفسه قائلاً: «إننا لم نكن نسخّر نصف مليون جندي من أجل نبيذ الجزائر أو صحاريها أو زيتونها، إننا كنا نعتبر أنفسنا سور أوروبا الذي يقف في وجه الزحف الإسلامي المحتمل أن يقوم به الجزائريون،وإخوانهم من المسلمين عبر المتوسط، ليستعيدوا الأندلس التي فقدوها» (العالم، 1982، ص. 28).

وهذا الكلام الخطير يتقاطع مع ما قاله قائد الحملة العسكرية على الجزائر: «إننا جئنا لنستعيد المجد الأوغسطيني»؛ مما يعني أنها حرب صليبية الروح.

- الحيلولة دون دخول الأقليات النصرانية في الإسلام، وذلك بتوجيه الجهود للبلاد الإسلامية التي يكثر فيها النصارى، واستقطاب هذه الأقلية ودعمها، بل واتخاذها درعاً لتغطية ممارساتها التنصيرية، ولإثارة الفتن والمطالبة بالانفصال لتفتيت البلدان الإسلامية بأيدي أبنائها (النملة، 1993).

- الحيلولة دون دخول الأمم الأخرى في الإسلام، وذلك بإحلال النصرانية مكانه، أو الإبقاء على العقائد المحلية المتوارثة (النملة، 1993).

- إزالة روح الرفض والكراهية من نفوس كثير من المسلمين إزاء النصرانية والنصارى، والعمل على دخول القدر المستطاع من المسلمين في النصرانية، باستغلال نقاط ضعفهم، كحاجتهم للعمل، أو العلاج، أو الطعام، أو النساء، أو غيرها (النملة، 1993).

- العمل على ارتداد المسلمين عن دينهم، سواء بالدخول في النصرانية أو اعتناق غيرها، يقول القس صموئيل زويمر في مؤتمر القدس التنصيري: «ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيح للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فان في هذه هداية لهم وتكريما، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله» (الميداني، 1980، ص: 161). وهو ما يؤكده البابا شنودة بقوله:

> «إنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية ...وذلك لزحزحة أكبر عدد من المسلمين عن دينهم، على ألا يكون من الضروري دخولهم في المسيحية، ويكون التركيز في بعض الحالات على زعزعة الدين في نفوس المسلمين، وتشكيك الجموع الغفيرة فيكتابهم وفي صدق محمد، وإذا نجحنا في تنفيذ هذا المخطط التبشيري في المرحلة القادمة، فإننا نكون قد نجحنا في إزاحة هذه الفئات عن طريقنا». (الجبهان، 1404 هـ، ص.27).

- التمهيد لإخضاع العالم الإسلامي سياسياً واقتصادياً لسيطرة النفوذ الغربي، بعد إيجاد جيل هش العقيدة، مشوش الفكر، ضعيف التحكم في مقدراته وإمكاناته. ويوضح ذلك الشيخ **محمد الغزالي** بقوله:

> «الحقيقة الحالكة أن الدين في أوروبا لم يستغل الدولة لبلوغ أهدافه، بل إن الدولة هي التي استغلته لبلوغ مآربها؛ أي أن الدين في منطق الاستعمار لا يعدو أن يكون مطية لأمانيه السافلة في خنق الحريات، وسحق الأمم، وتوسيع الجور، وإبقاء قارات بأكملها بقرة حلوباً لحفنة من المغامرين والخطفة» (1965، ص. 54).

- ضرب الوحدة الإسلامية: حيث يسعى المنصرون جاهدين لخنق أي اتجاه إسلامي نحو الوحدة في مهده انسجاماً مع المبدأ الاستعماري «فرق تسد». يقول المستشرق لورانس براون في كتابه «الإسلام والإرساليات»: «إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية يمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً...، أما إذا بقوا

متفرقين فإنهم سيظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير» (عبد الرحمن، 2009، ص. 58). ويقول المستشرق المنصر موروبيرجر: «إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام. يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوتهم، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته» (عبد الرحمن، 2009، ص. 59).

- العمل على ضرب المسلمين في أعز بقعة على قلوبهم وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث يقول روبرت ماكس: «لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة». (كساب، 2004، ص. 161).

إن الأهداف المذكورة أعلاه تمثل مجمل ما يسعى المنصرون بعامة إلى تحقيقه في حملاتهم التنصيرية، ولكنها ليست بالضرورة مجتمعة مجال اهتمام جميع المنصرين. فقد يبدي المنصر حماسه لتحقيق أهداف معينة، في حين يرفض أن يُزج به في سبيل تحقيق أخرى؛ لأنه –في الغالب– غير مؤهل لتحقيقها؛ بسبب عدم تخصصه في جميع فروع التنصير. فقد أضحى التنصير–كما سبقت الإشارة– علماً من العلوم التي تُقدم على مقاعد الدراسة وقاعات المحاضرات، كما أصبحت معاهد التنصير تنشئ داخلها أقساماً وشعباً ، يتم التركيز في كل قسم أو شعبة منها على هدف من الأهداف، أو بيئة جغرافية أو ثقافية، يمكن أن تتحقق فيها أهداف محددة. ومن خلال التنسيق بين الجهود المختلفة، يسعى المنصرون إلى تحقيق الأهداف مجتمعة، وهم في ذلك يستخدمون وسائل كثيرة، يطورونها بين الحين والآخر لتتناسب وروح العصر (النملة، 1993)، وهو ما سوف نعرض له في الفقرات الموالية.

3 – وسائل التنصير في العالم الإسلامي

يعتبر «الوعظ» أول وسيلة استخدمها المنصرون في الكنائس والأماكن العامة، لتعريف الناس بحياة المسيح وتعاليمه، ثم سرعان ما انحصر هذا الأسلوب ليتخذ صفة الإكراه والقسر بعد تحالف النصرانية مع الحكومة الرومانية أولاً ، ثم مع

الحكومة الفرنجية والجرمانية والسلافية بعد ذلك، حيث أصبح الرعايا يكرهون على اعتناق دين ملوكهم، وهي الوسيلة التي سادت خلال العصور الوسطى، وانتشرت بشكل أوسع خلال الحروب الصليبية ضد بلاد المسلمين (شلبي، 1991).

مع بداية القرن التاسع عشر، عرف التنصير طفرة هائلة حيث لم يعد يعتمد على الجهود الفردية، بل أصبح نشاطاً جماعياً تسهر عليه جمعيات ومنظمات، وتسخر له وسائل متعددة ومتنوعة، وقد استفاد التنصير من الهيمنة الاستعمارية التي بسطت نفوذها على معظم دول العالم الإسلامي في إفريقيا وآسيا، فأصبحت السياسة في خدمة الدين، والدين في خدمة السياسة.

ولما كان التنصير يقوم أساساً على الإقناع، فهو عملية اتصالية بالدرجة الأولى، كان لابد لوسائل التنصير من مواكبة التطورات الحادثة في عالم الاتصال، فتعددت هذه الوسائل، واختلفت، فمنها الصريحة المعلنة القائمة على النقاش والتشكيك، والمدعومة بمؤسسات تنصيرية رسمية تموّلها وترعاها، ومنها الخفية المستترة التي يتم اللجوء إليها متى ضاقت سبل التنصير الصريح. وقد لعب بعضها دوراً أساسياً، وبعضها الآخر دوراً مساعداً، وهو ما سنعمل على تفصيله في الفقرات الموالية.

(أ) الوسائل الصريحة

وضع المؤتمر التنصيري المعقود بالقاهرة سنة 1906 مجموعة من التوصيات، تبرز من خلالها جملة الوسائل الصريحة التي ينبغي أن تعتمد عليها الحملات التنصيرية في تحقيق أهدافها، ويمكن إجمالها فيما يلي:

■ الاعتماد على مؤهلات المنصرين والمنصرات الذين ألزموهم بما يأتي: (النملة، 1993)

- تعلم اللهجات المحلية ومصطلحاتها.
- مخاطبة العوام على قدر عقولهم.
- إلقاء الخطب بصوت رخيم وفصيح المخارج.
- الجلوس في أثناء إلقاء الخطب حتى يكون التأثير على السامعين أشد.

- الابتعاد عن الكلمات الأجنبية في أثناء إلقاء الخطب.
- الاعتناء باختيار الموضوعات.
- العلم بآيات القرآن والإنجيل.
- الاستعانة بالروح القدس والحكمة الإلهية.
- استخدام مختلف تقنيات التعليم الحديثة.
- دراسة القرآن للوقوف على ما فيه.
- عدم إثارة نزاعات مع المسلمين.
- إقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم.
- إيجاد منصرين من بين المسلمين أنفسهم.
- زيارة المنصرات لبيوت المسلمين، والاجتماع بنسائهم، وتوزيع المؤلفات والكتب التنصيرية عليهن، وإلقاء المحاضرات الدينية في تعاليم الإنجيل.

■ الاعتماد على الجمعيات التنصيرية المتعددة والمتنوعة الاتجاهات والتخصصات، التي ترعى حملات التنصير وتمدها بما تحتاج إليه من الموارد المالية والبشرية، معتمدة في ذلك على الدعمين المادي والمعنوي من الحكومات الغربية، ومن المؤسسات والأفراد، والذي يتخذ شكل المخصصات والتبرعات، ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر: (نملة، 1993).

- جمعية لندن التنصيرية (1179–1765م)، وهي موجهة إلى إفريقيا.
- جمعيات بعثات التنصير الكنسية (1212 – 1799م)، وهي موجهة إلى الهند ومنطقة الخليج العربي.
- جمعية طبع الإنجيل البريطانية (1219 – 1804م)، وتهتم بالطبع والترجمة والتوزيع.

- جمعية الكنيسة التنصيرية (1260 – 1844م)، وتركز على التعليم والخدمات العلاجية، ويسهم الألمان فيها بجهود كبيرة.
- جمعية الروح القدس في زنجبار (1280–1863م)، وهي كاثوليكية وتهتم بالعلاج والتعليم الصناعي.
- جمعية اتحاد الطلبة النصارى (1313–1895).
- عمودية التعبئة (1377–1958م)، وتعنى بتدريب الشباب على التنصير.
- إرسالية الكنيسة الحرة الأسكتلندية، وتهتم بالصناعات اليدوية والزراعة.
- هذا بالإضافة إلى الجمعيات المحلية في العواصم والمدن الإسلامية، التي يقوم عليها عاملون محليون مدعومون من جمعيات تنصيرية أوروبية وأمريكية.

■ الاعتماد على مؤسسات التنصير من جمعيات ومنظمات، تسهر على تجهيز المنصرين تجهيزاً تاماً للقيام بهذه المهمة، من خلال تعليمهم اللغات، والطباع، والعادات، والأديان السائدة، وجوانب الضعف في هذه المجتمعات (النملة، 1993).

■ بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها؛ حيث يحرص المنصرون على أن تكون كنائس الإرساليات ومدارسها وأنديتها شاهقة غريبة المنظر، حتى تؤثر في عقول الزائرين وفي عواطفهم وخيالاتهم ...فإن ذلك يقرب غير النصارى إلى النصرانية (عبد الوهاب، 1981).

(ب) الوسائل الخفية

ينفذ التنصير الخفي بوسائل متعددة، أهمها:

■ استغلال البعثات الدبلوماسية في البلاد الإسلامية عن طريق السفارات، أو القنصليات، أو الملحقات الثقافية والتجارية، والمؤسسات الأجنبية الرسمية الأخرى. حيث يدرب بعض العاملين في هذه المؤسسات على التنصير قبل

انخراطهم العملي بها. ومما يدخل في عمل الملحقات الثقافية الأجنبية، إنشاء المدارس للجاليات الأجنبية وطبعها بالطابع التنصيري، بالإضافة إلى إقامة أنشطة ثقافية، ظاهرها التعريف بالبلاد التي تمثلها الملحقية، وباطنها الدعوة الخفية إلى التنصير (نملة، 1993).

- استغلال المستكشفين الجغرافيين في البلاد الإسلامية؛ حيث توفدهم الجامعات والجمعيات العلمية للنظر في قضايا علمية جغرافية وطبيعية تحتاج إلى الوقوف عليها، ولكنهم يُستغلون أيضاً في الوقوف على أحوال الإسلام في هذه البلاد، وتحديد المناطق التي تحتاج إلى إرسال بعثات تنصيرية لها (نملة، 1993).

- الاعتماد على بعثات التطبيب التي يبدو من ظاهرها الإسهام في مجالات الإغاثة الطبية والصحية، لكنها في الواقع تعمل على خدمة التنصير، من خلال إنشاء المستشفيات والمستوصفات والعيادات المتنقلة، وتشغيل بنات المجتمع كممرضات ومشرفات اجتماعيات يتماشين مع سياسة هذه المؤسسات الطبية، التي ترغم المريض على الاعتراف بأن المسيح هو الذي يشفيه (نملة، 1993). تقول المبشرة **إيراهاريس** وهي تنصح الطبيب الذاهب في مهمة تنصيرية:

  «يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالإنجيل، إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات، فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق. ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه.»(عبد الوهاب، 1981، ص.ص. 179 – 180).

- استغلال بعثات التعليم الصناعي والتدريب المهني، من خلال إنشاء المدارس ومراكز التدريب والورش للشباب الذين يخضعون لبرامج نظرية تتضمن دروساً حول الثقافة، والمجتمع، والدين، والآداب التي تمرر من خلالها التعاليم النصرانية (نملة، 1993).

- استغلال مؤسسات التعليم العالي؛ من كليات وجامعات ومعاهد عليا غربية موجودة في البلاد الإسلامية؛ كالجامعات الأمريكية والفرنسية – في مجالات التنصير. يقول «بيزون»: «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان، ومن أجل ذلك تقرر أن يختار رئيس الكلية البروتستانتية الإنجيلية من مبشري الإرسالية السورية»(شلبي، 1989، ص. 83). ويوضح عماد شرف آلية استخدام التعليم في عملية التنصير؛ حيث يذهب إلى أن المدارس المسيحية الموجودة في العالم الإسلامي تؤلف كتباً مدرسية تتضمن مضامين تنصيرية واضحة، مشيراً إلى أن كتاباً مدرسياً في مادة التاريخ، يُدرس للصف الرابع بالمدرسة البطريكية ببيروت جاء فيه: «واتفق لمحمد في أثناء رحلاته أن يعرف شيئاً قليلاً من عقائد اليهود والنصارى ...ولما أشرف على الأربعين أخذت تتراءى له رؤى أقنعته بان **الله** اختاره رسولاً» (1975، ص. 59)، «والقرآن مجموع ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما كان هو يتكلم ...و قد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة» (1975، ص. 59).

- استغلال العمال النصارى في المجتمعات المسلمة على مختلف مستوياتهم وتخصصاتهم، وتتضح هذه الوسيلة بجلاء في دول الخليج العربي؛ حيث تفد أعداد هائلة من الطاقات البشرية، ويفد معها منصرون في ثياب أطباء، وممرضين، وفنيين، وعمال، يعملون على تثبيت إخوانهم النصارى والحيلولة دون دخولهم الإسلام، بإقامة الشعائر الدينية لهم سراً وعلانية. كما يعملون على تنصير الشباب المسلم ما استطاعوا. يؤكد ذلك أحد رؤساء الجمعيات التنصيرية بقوله: «إن الباب أصبح مفتوحاً لدخول النصرانية إلى البلاد المغلقة، وذلك من خلال الشركات الوطنية المتعددة؛ فهناك فرص لا حدود لها في هذا المجال بالنسبة للمنصرين؛ حيث الحاجة الملحة إلى مهماتهم لتطوير البلاد» (علي، 1987، ص.ص. 32–33).

- استغلال البعثات الدراسية للطلبة المسلمين خارج البلاد الإسلامية؛ حيث

تتعرض هذه الفئة من الطلاب لمحاولات تنصيرية قوية، تمارسها مكاتب الطلبة التي تضع برامج للطلبة تتضمن زيارات لعائلات نصرانية، ونشاطات اجتماعية؛ كالحفلات، ودعوات إلى الكنيسة. كما يتلقف المنصرون الطلبة خارج المدن الجامعية من خلال الاتصال بهم هاتفياً، أو الحضور إلى أماكن إقامتهم، وإبداء الرغبة في ربط علاقات اجتماعية بهم، ودعوتهم لحضور حفلات دينية ووطنية. كما يستغل هؤلاء عوز بعض الطلبة لتتبنى الكنيسة أو جمعية مدعومة من الكنيسة مساعدتهم مادياً، مقابل تنصيرهم (شرف، 1975).

- استغلال المؤسسات العلمية التي تقدم دراسات عن العالم الإسلامي والعرب والشرق الأوسط، فكثير من الدراسات الاستشراقية –كما تقدم– تسيء إلى الإسلام وإلى نبيه محمد ﷺ؛ ومن ثم فهي تخدم مباشرة الأهداف التنصيرية (شرف، 1975).

- استغلال التبادل الثقافي بين الشعوب الإسلامية والغربية، فكثيراً ما تُعقد معاهدات واتفاقيات ثقافية بين بلاد المسلمين والبلاد الأجنبية، فيكون نصيب المسلمين منها غالباً هو عرض الفولكلور الشعبي، من رقص وغناء، وأكلات شعبية، وصناعات يدوية، وغيرها. في حين يكون نصيب البلاد الأجنبية إقامة مراكز ثقافية دائمة، وجلب المحاضرين من علماء ومفكرين وأساتذة جامعات. كما تقوم بإصدار المطبوعات والنشرات، وتوزيع الأشرطة المسموعة والمرئية المسموعة، وتوجيه الدعوات لحضور المناسبات الوطنية الاجتماعية وحتى الدينية النصرانية؛ مما يسهم بشكل كبير في تحقيق أهدافها التنصيرية (شرف، 1975).

- استغلال بعثات الإغاثة، حيث تُقدم المؤن والملابس والخيام على أنها نعمة من عيسى، عليه السلام، سواء كان هذا الإيحاء واضحاً بالرموز والشعارات، أم بطريق خفي (شرف، 1975). والأدهى من ذلك ما تفعله البعثات التنصيرية في إفريقيا؛ إذ تستغل حالة البؤس التي تعيشها الأسر الفقيرة المسلمة، فتوقع معها عقوداً، تقدم بموجبها البعثات التنصيرية مساعدات عينية من الأرز مثلاً

كل شهر، على أن يكون لها الحق في اختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها. ويتضمن العقد مادة صريحة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات، وعلى دفع نفقات ابنها إن هي خالفت شروط العقد. وتختار البعثة صبياً دون الخامسة من العمر، ترسله إلى مدرسة، فينقطع عن أهله، وينشأ تنشئة مسيحية، ثم يرسل لإتمام تعليمه العالي، بعدئذ يعاد إلى بلده لخدمة الأغراض التنصيرية فيها (عبد الوهاب، 1981).

- الاعتماد على المنظمات العالمية، حيث تستغل حركة التنصير المنظمات العالمية للتدخل في شؤون البلاد الإسلامية تحت شعارات خطط التنمية، وحقوق الإنسان، وحقوق الطفل، وحقوق الأقليات ولاسيما الدينية منها، مما يفتح لها المجال لممارسة نشاطها بشكل رسمي (القعيد، 1982).

- استغلال المرأة المسلمة في هدم الإسلام لما لها من قوة تأثير في المجتمع؛ حيث يجتهد المنصرون في إخراجها من حشمتها ووقارها والتزامها المستمد من أصالة قيمها الإسلامية بحجة التحضر والانطلاق، وبدعوى حقوق المرأة ومساواتها مع الرجل، ذلك بالاعتماد على الجمعيات النسوية الناشطة في هذا المجال. تقول المبشرات المشتركات في مؤتمر القاهرة سنة 1906م:

> «لا سبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح. إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مائة مليون، فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن. نحن نقترح إيجاد منظمات جديدة، ولكننا نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائي على العمل، واضعة نصب عينيها هدفاً جديداً، هو الوصول إلى إلى نساء العالم المسلمات كلهن في هذا الجيل» (خالدي وفروج، 1986، ص: 204).

فضلاً عما سبق، تُقدم للنساء المسلمات المستهدفة بالتنصير الخدمات الصحية، والاجتماعية والتربوية، والثقافية الدقيقة الخاصة بشؤون المرأة، وعلاقاتها الأسرية، وحملها، وتربية أبنائها؛ بحيث تخضع لغسيل مخ يبعدها عن الإسلام

ويزج بها في أوحال النصرانية. ومثل هذا التحول في حياة المرأة له من الأثر البالغ على أفراد أسرتها، ومحيطها الاجتماعي؛ نظراً للمركز الاجتماعي الحيوي الذي تشغله في الحياة الاجتماعية ككل، حيث يقولون:

«بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها حتى سن العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية، وبما أن النساء هنّ العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية» (عبد الوهاب، 1981، ص. 188).

- **تخريب الأسرة المسلمة**: من خلال تشجيع الشباب على الزواج بالنصرانيات، إدراكاً منهم أن ذلك من شأنه أن يسلب البيت المسلم جوّه الروحي واستقراره، هذا فضلاً عن دفعهم إلى حياة اللهو والمجون، وإشاعة الرذائل بينهم (عبد الرحمن، 2009).

- **تغريب المجتمع المسلم**: وذلك بالسعي إلى نقله في سلوكياته وممارساته بأنواعها: السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأسري، إلى النمط الغربي في الحياة والمستمد من خلفية دينية نصرانية أو يهودية (النملة، 1993).

- الاشتراك في وضع المناهج **التعليمية** في بلاد المسلمين؛ بحيث تأتي هذه المناهج مطعمة بأخطاء وتجاوزات عقدية وتاريخية واجتماعية وحضارية، كفيلة بتغريب المجتمع، وتشويه معالم هويته، مع الحرص على التمييز بين المواد الإسلامية والمواد العلمية لسلخ الإسلام من شؤون المجتمع والحياة، والتمييز بين اللغة العربية واللغات الأوروبية، والعمل على التقليل من شأن الأولى وقدرتها على مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي. (الشتري، 2003).

- **استغلال الوسائل الإعلامية؛ مثل**: الصحف والمجلات والمنشورات والأشرطة الصوتية والمرئية والإذاعات والقنوات الفضائية، التي تتميز بالإغراء والجاذبية، مع سهولة شرائها وتناولها، وسهولة غزوها لقلوب الناس وعقولهم؛ فراديو

الفاتيكان مثلاً يرسل تعاليمه التنصيرية بخمس وثلاثين لغة عالمية ومحلية. وإذاعات الغرب التنصيرية تبث سمومها بشتى لغات العالم على مدى أكثر من ألف ساعة يومياً (الشتري، 2003). هذا فضلاً عن استغلال المنصرين لوسائل الإعلام المحلية في البلاد الإسلامية نفسها لنشر أفكارهم على عامة المسلمين.

- إنشاء العديد من المدارس والمعاهد والكليات التي تتيح للصحفيين، ومنتجي الأفلام، ومذيعي الراديو والتلفزيون، ورجال الإعلام عموماً، تحصيل ثقافة كاملة مشبعة بالروح المسيحية؛ بحيث يجمع أداؤهم بين الفعالية والكفاءة والالتزام الديني.

- **ترويج المطبوعات التنصيرية**: إن استخدام المطبوعات ضمن الإستراتيجية الإعلامية التنصيرية كان له السبق على استخدام الإذاعة المسموعة والمرئية، بحكم السبق التاريخي لظهور المطبوعات. ولقد اهتم المنصرون باستخدام المطبوعات منذ زمن بعيد حيث ظهرت أول مطبعة عربية في أوروبا في مدينة «فانوا» بإيطاليا، وهي التي صدرت عنها بعض الكتب النصرانية عام 1514م. وقد اهتمت الإرساليات بإصدار العديد من المطبوعات (كتب – مجلات – نشرات)، التي تسعى إلى نشر النصرانية من خلال نشر الإنجيل، والتعريف بالمسيح، والعمل في الوقت نفسه على تشويه الإسلام، والإساءة إليه. وإذا كان من غير الممكن إحصاء دور النشر التنصيرية في العالم، فإنه من الصعب كذلك إحصاء المطبوعات التي تصدر، سواء كانت كتباً أم مجلات أم نشرات بمختلف اللغات، ومن بينها اللغة العربية، وتكفي الإشارة في هذا الصدد إلى أن جمعية ترجمة الإنجيل في إفريقيا تتولى إعداد أكثر من 442 ترجمة للإنجيل، وقد بلغ عدد النسخ التي جرى توزيعها من هذا الكتاب عام 1986م ما يقرب من 66 مليون نسخة، إلى جانب 46 مليون نسخة من العهد القديم «التوراة». فضلاً عن النسخ الصوتية التي يجرى تسجيلها على أشرطة صوتية من أجل الأميين، أو المطبوعة بالأحرف البارزة «طريقة برايل» للمكفوفين. ولكي تحقق هذه المطبوعات الهدف المنشود منها فإنه يجري توزيعها على أوسع نطاق ممكن بأسعار زهيدة جداً أو مجاناً،

ويتم تسريبها عبر العديد من المنافذ؛ مثل: المكتبات في الكنائس والإرساليات، المدارس، المستشفيات، الأندية، أو ترسل بالبريد، كما يجري توزيعها يدوياً في المدارس والتجمعات المختلفة (شلبي، 1991).

- استغلال شبكة الإنترنت: مع ظهور شبكة الإنترنت التي تتميز بسعة الانتشار على مستوى العالم، بدأت منظمات التنصير التفكير في استغلال هذه الشبكة لتنصير العالم، فقامت عام 1997م بإنشاء «اتحاد التنصير عبر الإنترنت»، الذي يعقد مؤتمراً سنوياً عاماً يحضره ممثلو الإرساليات التنصيرية، والقائمون على الصفحات التنصيرية على الشبكة الدولية لدراسة أفضل السبل لاستخدام إمكانات «الإنترنت» في نشر الدعوة التنصيرية. وقد أثمر هذا النشاط آلاف المواقع التنصيرية التي تفوق عدد المواقع الإسلامية بعشرات المرات؛ فالإحصائيات تؤكد أن عدد المواقع التنصيرية تزيد عن المواقع الإسلامية بمعدل 1200%، وأن المنظمات المسيحية تهيمن على هذه المواقع بنسبة 62%، تليها المنظمات اليهودية، أما المسلمون؛ فيتساوون مع الهندوس في عدد المواقع، الذي لا يزيد على 9% (أبو زيد، 2001).

- الاعتماد على المناظرات العلمية والدينية والحضارية: حيث يعتبر المنصرون هذه المناظرات وسيلة فعالة ذات تأثير قوي على الأذهان، من حيث قدرتها على إثارة الشكوك حول مسلمات وثوابت المسلمين، وزعزعة الثقة فيها. كما أنها قد تلعب دوراً مهمّاً في توجيه أنظار المثقفين إلى ضرورة البحث في عقائد النصارى وثقافتهم بالاعتماد على كتبهم الخاصة بدعوى الموضوعية والحياد العلمي، وهو الأمر الذي يعد مكسبا للمنصرين (الشتري، 2003).

- استغلال الأقليات المسيحية في العالم الإسلامي؛ ذلك أن هذه الأقليات هي مصدر للمعرفة والمعلومات المتعلقة بشؤون العالم الإسلامي، فهي تتحدث لغته، وتفهم تاريخه، وتعرف نواحي الضعف في جسمه. وقد عمل الاستعمار منذ دخوله إلى بلاد الإسلام على تعليم المسيحيين، ورفع مستواهم الثقافي، وتهيئتهم للسيطرة على زمام الحكم في بلاد الأغلبية المسلمة. يقول عبد الودود شلبي: «فقد أوصدوا

أبواب المعاهد التعليمية أمام كل شخص لا يدين بالنصرانية، أو على الأقل ليس لديه الاستعداد لتغيير اسمه الإسلامي والاستبدال به اسماً نصرانياً، وبهذه الكيفية قويت شوكة الأقلية النصرانية وأصبحت هي الطبقة الحاكمة ...» (شلبي، 1987، ص. 45)، ويقول فرانسيس ستريل في كتابه «لم تضع الجهود»: «يجب أن يركز التنصير تركيزاً كبيراً على بناء الكنائس على أكتاف المتنصرين الجدد، وعلى العناية بالأقليات المسيحية، ومساعدتهم على تركيز نفوذهم؛ ذلك أنهم أصحاب البلاد ، وهم الضمان لاستمرار انتشار النصرانية» (القعيد، 1982، ص. 28).

- النيل من القرآن الكريم: باعتباره دستور المسلمين، ومصدر قيمهم ومعتقداتهم وقوتهم، وذلك بالعمل على تحقيره، وأنه سبب تخلف المسلمين وركودهم الحضاري له. يقول **غلادستون**: «مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان» (أسد، 1987، ص. 39). ويقول **جون تاكلي**: «يجب أن نستخدم كتابهم (القرآن) وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً، يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً» (عبد الوهاب، 1981، ص. 163).

- محاربة اللغات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية: يسعى المنصرون إلى محاربة اللغات الشرقية السائدة في دول العالم الإسلامي، وفي مقدمتها اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، وذلك بالدعوة إلى استخدام العامية، واللغات الأجنبية، مستخدمين في ذلك حججاً واهية؛ فهم يدّعون أن العامية يفهمها العامة خلافاً للفصحى، وأن اللغات الأجنبية وحدها القادرة على مسايرة ركب الحضارة، فهي لغات العلم الحديث خلافاً للعربية الفصحى، متناسين أن هذه النهضة العلمية التي يعرفها الغرب قامت على ترجمة كتب المسلمين ومؤلفاتهم العلمية المكتوبة باللغة العربية(عبد الرحمن، 2009). يقول **شاتليه**:

> «ولا شك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم لها ذلك

إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، فبنشرها اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية، يحتك الإسلام بصحف أوروبا، وتتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي، وتقصي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها» (1980، ص.ص. 8–9).

- استثمار المصطلحات الإسلامية في التنصير؛ حيث يستغل المنصرون المصطلحات الأساسية المتداولة بين المسلمين لتسريب العقائد النصرانية، مغلفة بأقنعة مألوفة لدى المتلقي المسلم؛ حيث يؤكد **خالد زهري** في كتابه «الصليبيون الجدد» أن «المعهد الدولي للدراسة والإعلام»، وهو أحد المعاهد التنصيرية، ينشر «إنجيل مرقس» دون الإشارة إلى كونه إنجيلاً، وإنما تحت عنوان: «قصة سيدنا عيسى»؛ بحيث تتصدر تقديمه عبارة البسملة، مردفة بدعاء معهود لدى المسلمين، مألوف في صلواتهم وهو :»لا اله إلا الله، له الحمد ومنه الإنعام والجود والهداية»، ثم يختم بالتأمين الإسلامي: «آمين، يا رب العالمين» (2008). وبما أن الاسم «يسوع» يوحي بالمضمون النصراني لهذه الكلمة، فقد تمت صياغة هذا الإنجيل التضليلي باسم «عيسى» الذي لا يثير كوامن الشك وحوافز الريب لدى المتلقي المسلم.

- استدلال المنصرين بالقرآن الكريم: من خلال الادعاء بأن ما جاء في القرآن الكريم يتفق اتفاقاً تاماً مع ما ورد في الكتاب المقدس بشأن المسيح، عليه السلام. ومن ذلك ما يذكره **خالد زهري** بشأن جون جلكرايست في كتابه «صلب المسيح وقيامته»، أين يؤكد أن القرآن الكريم والكتاب المقدس يتفقان بشأن المعجزات العظيمة التي قام بها المسيح في أثناء خدمته في فلسطين لمدة ثلاثة أعوام، مع أن القرآن الكريم لا يذكر أبداً أن خدمة المسيح كانت في فلسطين ولمدة ثلاثة أعوام (2008، ص. 60). ومن ذلك أيضاً زعم المنصرين أن القرآن الكريم ينص على موت المسيح مصلوباً، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: 15)، في حين يغضون الطرف عن الآيات التي تنص على رفعه عليه السلام دون صلبه كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ

وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ (النساء:157)

- التستر بأسماء المسلمين في التنصير، حيث يستخدمون هذه الأسماء في مراسلاتهم مع المسلمين، وفي التوقيع على مقالاتهم المنشورة في المجلات المختلفة، حيث يذكر خالد زهري أن رئيس تحرير مجلة «كتابي» التنصيرية اسمه «محسن الشماع»، وفي مجلة «مفتاح المعرفة» يحمل المحررون أسماء من قبيل «عبد القادر، وسليم» والمقصود من ذلك واضح وهو تسهيل ذوبانهم في المجتمعات المسلمة (2008).

- تشويه التاريخ الإسلامي؛ حيث يجتهد المنصرون في تأكيد أن الإسلام قد انتشر بحد السيف وبالإكراه، وأن الجهاد في الإسلام ما هو إلا قتل هدفه السيطرة وتحصيل المغانم (عبد الرحمن، 2009).

- التشكيك في صحة رسالة النبي محمد (ﷺ)، من خلال الزعم بأن الأحاديث الشريفة إنما هي من تأليف المسلمين في القرون الماضية (عبد الرحمن).

- تشويه الفكر الإسلامي، وإنكار جدته وأصالته، والزعم بأنه فكر يوناني كتب بأحرف عربية، وأنه امتداد لليهودية والمسيحية (عبد الرحمن، 2009).

- الدعوة إلى القومية، والهدف من ذلك تفتيت وحدة العالم الإسلامي، وتقطيع أوصاله؛ فقد عملوا لبعث الفرعونية في مصر، والفينيقية في ساحل الشام، والآشورية في العراق، والبربرية في بلاد المغرب، ولما فشلت هذه الدعوات الإقليمية الضيقة، كان البديل هو التمسك بشعار العروبة، ورفع لوائها، باعتبارها انسلاخاً عن الإسلام (عبد الوهاب، 1981).

- إثارة الحروب الأهلية داخل البلدان الإسلامية؛ مثل: ليبيا، اليمن، العراق، السودان، سوريا...، من خلال زرع بذور الخلاف، وإشعال نار الفتن الداخلية، والهدف من ذلك هو دفع هذه الدول إلى استنزاف ثرواتها في شراء السلاح

عوض استثمارها في مجالات التنمية الحيوية، مما ساعد على تنمية التخلف بهذه البلدان، وجعلها في تبعية اقتصادية مستمرة للغرب. (عبد الرحمن، 2009).

- العمل على إبعاد قادة المسلمين الأقوياء من الحكم، حتى لا ينهضوا بالإسلام؛ حيث يقول المستشرق البريطاني **مونتجومري وات**: «إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام، فإنه من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى» (العالم، 1982).
- العمل على قيام وطن قومي لليهود في فلسطين، يعمل على زعزعة الكيان العربي، ومن ثم تسهيل عمل المنصرين، وانتهاء بضم القدس إليهم بعد توطين اليهود فيها (أبو حمدة، 1983).

(ج) الوسائل المساندة

إلى جانب الوسائل المباشرة التي يستخدمها المنصرون في حملاتهم، سواء كانت صريحة أم خفية، تقليدية أم حديثة، ثمة وسائل عديدة ساندت المنصرين في تحقيق أهدافهم، وفتحت لهم الطريق للتوغل في البلاد الإسلامية لعل من أهمها: (النملة، 1993).

- **الاحتلال**: فمعظم البلاد الإسلامية كانت محتلة من قبل الأوروبيين، وقد ذلل المحتلون العقبات للمنصرين، وسمحوا لهم بإقامة مؤسساتهم التنصيرية في هذه البلاد، كما عملوا على هدم المؤسسات الإسلامية، والجزائر خير مثال على ذلك، حيث حولت أكبر مساجدها إلى كنائس.
- **الحكومات الغربية**: وهي على الرغم من علمانيتها، فإنها تبذل جهوداً كبيرة لمؤازرة المنصرين، ويظهر ذلك في الهبات والتسهيلات وتبني المشروعات التي تخدم الأهداف التنصيرية.
- المواطنون الغربيون: يساندون بقوة المنصرين في أعمالهم، أفراداً كانوا أو ممثلين لمؤسسات تجارية واقتصادية، من خلال التبرعات الضخمة التي تمثل مصدر الميزانيات المرتفعة التي تتمتع بها المؤسسات التنصيرية.

- ظروف الفقر والفاقة التي تخلفها الكوارث، والنكبات الطبيعية التي تلحق من حين إلى آخر بالبلاد الإسلامية، تجعل أهلها يقبلون بالمساعدات التي تقدم لهم، دون التفكير في مصدرها، أو أهدافها، أو الخلفية العقدية التي تغذيها.

- تفشي الأمراض والأوبئة ببعض البلاد الإسلامية ساعد على نجاح حملات التنصير القائمة على التطبيب والتمريض؛ لأن المرضى مستعدون للتعامل مع أي شخص يساعدهم على الشفاء، ولو كان ذلك باسم عيسى، عليه السلام.

- قلة الوعي بالدين، واختلاط الحق بالباطل عند كثير من عامة المسلمين، ساعد على استقبال أفكار المنصرين، لاسيما أن هؤلاء –في كثير من الأحيان– لا يدعون إلى ترك الصلاة أو الصيام أو أية علاقة بين العبد وربه، ولكنهم يشوهون هذه العلاقة بحيث لا تف بالغرض المطلوب منها. يقول أحد المنصرين في مؤتمر كولورادو 1978:

> «إن غالبية المسلمين الذين يحتمل أن يتنصروا هم من الذين يعتنقون ما يطلق عليه الإسلام الشعبي (أو إسلام العامة)، وهم أرواحيون يؤمنون بالأرواح الشريرة والجن، ويعرفون القليل جداً عن الإسلام الأصيل، كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التي يعتقدون أنها تمدهم بالقوة لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها» (ماكوري، د ت، ص. 252).

- الضمانات المالية والاجتماعية التي يتلقاها المنصرون من المنظمات والمؤسسات التنصيرية، والتي تشمل أولادهم وأهلهم أيضاً، ساعدت على دعم حركة التنصير بقوة.

- الحقد الدفين الموروث ضد المسلمين ساهم بقسط كبير في تشجيع حركة التنصير؛ فسيطرة الغرب التي لم تتحقق عن طريق الاستعمار المباشر، يمكن تحقيقها بطرق غير مباشرة، ولاسيما عن طريق التنصير.

- تساهل بعض الحكام ورؤساء القبائل وشيوخها، واستقطابهم للمنصرين، والترحيب بهم، وتقريبهم، وتقديم التسهيلات لهم، لإقامة مؤسساتهم التنصيرية، وممارسة مهامهم، أسهم بقسط كبير في تحقيق أهداف المنصرين.

4 - آليات مواجهة التنصير في العالم الإسلامي

إن طبيعة الصراع بين النصرانية ممثلة بتعاليم الكنائس المختلفة والإسلام، إنما هو صراع بين الحق والباطل، بين فلسفة وضعية غامضة ومتناقضة، ورسالة إلهية واضحة ومنطقية، يعترف العقل بسموها وتنزهها عن جميع أنواع الشبهات والمغالط، ويقر بضرورة التمسك بها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران: 85)

وما دامت أهداف التنصير قد وضحت، ووسائله في تضليل العقول واستمالة العواطف قد تحددت، زالت الحاجة إلى التساؤل عن سبل مقاومة هذا المد؛ بحيث يغدو وضع إستراتيجية شاملة وبعيدة المدى، مخططة ومدروسة بدقة، تستخدم فيها الوسائل المتنوعة والمنتقاة على نحو مكافئ لما يخطط له ويوظفه المنصرون أمراً منطقياً وملحّاً.

وإذا كان تحويل الناس عن مواريثهم الروحيَّة والاجتماعيَّة يتطلب كل هذه الإمكانيات المادية والبشرية، وكل هذا التخطيط والاحتيال، فإن تثبيتها أيضاً يتطلب التحلي بنفس العزيمة والإصرار؛ مما يفرض على ولاة المسلمين، وعلمائهم، ودعاتهم، والعاملين للإسلام الغيورين عليه (النملة، 1993).

- حث المسلمين على الرجوع إلى دينهم؛ لأن ابتعادهم الكبير عنه هو السبب في تسلط الأعداء عليهم، وذلك من خلال معرفة الإسلام الصحيح الخالي من الخرافات والأباطيل والبدع، والبعد عن الشرك بكلّ أنواعه.
- نَشْر العلم الشرعي الصحيح بين المسلمين في المساجد وخارجها؛ لأن تعلّم الشريعة وقاية من الوقوع ضحية الشبهات المضلّة، والشهوات المحرّمة.
- إرسال القوافل الدعويَّة والتعليميَّة إلى البلدان الإسلاميَّة، التي تتعرَّض لهذه الهجمة الشرسة، من أجل القيام بواجب الدعوة إلى الله، وتعليم وتفقيه المسلمين، وتحصينهم بالعقيدة الصحيحة، والتعاليم الإسلاميَّة السليمة، والقدوة الحسنة حتى لا يستطيع هؤلاء المنصِّرين النيل منهم، على أن يتسلَّح

هؤلاء الدعاة بالعلم الراسخ، والقدوة الحسنة، والحكمة والبصيرة، وسَعة الصدر، والصبر، والمرونة، وعدم الشدة، والسماحة في التعامل، وحسن القول، وأدب الخطاب، وأن يتسلَّحوا باللغة أو اللهجة الشائعة بين المدعوِّين. كما أنَّ عليهم أن يتدرَّبوا ويتأهَّلوا لأساليب الدعوة إلى الله، عزَّ وجلّ، وطرق القيام بها، حتى تكون دعوتهم ناجحةً ومثمرة.

- ضرورة ابتعاد العمل الدعوي عن التقليد والنمطية، وذلك بالبحث المستمر عن الجديد في الثقافة والمعلومة، في الوسيلة والطريقة، في المكان والتوقيت، مع توخي الإفادة والمتعة والتشويق.

- البعد عن التنافس والحسد والبغضاء بين الدعاة من علماء وطلاب، فالدعوة إلى الإسلام تستلزم تظافر الجهود لا تشتتها.

- على حكَّام المسلمين وولاتهم واجبٌ كبيرٌ تجاه من يرعونهم من المسلمين، في المحافظة على عقيدتهم، وثباتهم على دينهم، وذلك بألا يسمحوا لهؤلاء المنصِّرين بممارسة نشاطهم بين المسلمين، وأن يراقبوا تحرُّكاتهم وأنشطتهم، وأن يتحركوا سياسياً لمنع هذا النشاط. كما أنَّ عليهم واجباً تجاه المسلمين يتمثَّل في إقامة المؤسسات التعليميَّة والدعويَّة والتفقيهيَّة والتثقيفيَّة، وتوفير متطلَّباتها ومسلتزماتها الماديَّة والمعنويَّة، وتوفير الدعاة والمعلِّمين والمفقِّهين الأكفاء، كما أنَّ عليهم تسخير إعلامهم لتوعية المسلمين بدينهم، وتنبيههم لخطر التنصير المحدق بهم.

- التحذير من فكرة حوار الأديان، التي يتخذها النصارى وسيلة للدعوة العلنية إلى كفرهم بين المسلمين، والتنبيه على أن الحوار معهم ينبغي أن يُجريه علماء الإسلام الذين يتميّزون بالحصانة العلمية، والقدرة على الرد على أباطيلهم، وكشف زيف ادعاءاتهم، وليس عامة المسلمين.

- كشف أهداف المنصرين من خلال تنبيه المسلمين إلى أن الديانة النصرانية إنما أنزلت على بني إسرائيل فقط، وأنها ليست ديانة عالمية، فلماذا يقوم

المنصِّرون بالتنصير بين المسلمين، ولا يقومون بالتنصير بين اليهود الذين بُعث إليهم عيسى، عليه السلام؟!

- فضح أهداف التنصير من خلال التأكيد على أنَّها أهدافٌ استعماريَّةٌ استغلاليَّة، تسعى إلى التمكين للدول النصرانيَّة.
- بيان فساد المعتقدات النصرانيَّة وضلالها وانحرافها، وعدم استقامتها على ما جاء به عيسى، عليه السلام.
- على أغنياء المسلمين أن يقتطعوا جزءاً من أموالهم يرصدونه لدعم هذه المهمَّة: لكفالة الدعاة، والمعلِّمين، والمفقِّهين، ولبناء المساجد والمدارس والمعاهد، ولدعم المنظَّمات الخيريَّة والإنسانيَّة التي تقوم بخدماتها بين هؤلاء المسلمين؛ تعليما، وصحَّة، وإغاثة، ورعاية، فلا يستغل المنصّرون حاجتهم.
- استخدام كلِّ وسيلةٍ معاصرةٍ من شأنها نشر الوعي بين المسلمين، وتحذيرهم ممَّا يخالف دينهم، مثل وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئيَّة، وتقنيَّات الاتصال التي يمكن الاعتماد عليها بشكل واسع في إيصال صوت الإسلام إلى كل أنحاء المعمورة. إن الدعوة الإسلامية تحتاج بشكلٍ ملِحٍّ إلى إعلام متميِّزٍ ومتعدد الوسائل والأساليب، وعلى الرغم من أهميَّة الوسائل التقليدية؛ كالمسجد والدعوة الفردية في التأثير، فإن وسائل الاتصال الحديثة؛ كالإنترنت والأقمار الصناعيَّة والفضائيَّات ومواقع التواصل الاجتماعي، أصبحت ضرورةً ملحة لتحقيق أهداف الدعوة الإسلاميَّة، ومواجهة زحف التنصير.
- لابد أن تكون المادَّة التي يقدِّمها الإعلام عن الإسلام شاملة؛ فتتناول الإسلام وتاريخه وحضارته وأُمَّته، وحقائق العقيدة والشريعة والعبادات والأخلاق وشتَّى المعاملات، فترسم صورةً صادقةً لرسالة الإسلام.
- لابدَّ من الاهتمام بالأقليَّات المسلمة في العالم، وإشعارهم بأنَّهم موصولون بأُمَّتهم الكبرى، حتى لا يشعروا بالقطيعة والوحشة، فيستسلموا لما يُراد بهم ويذوبوا في أديان ومذاهب أخرى.

- الاهتمام بالمسلمين الجدد وتقديم المعونة لهم لتثبيتهم على التمسك بدين الإسلام.
- إقامة المؤتمرات الدعوية على المستويات المحلية والإقليمية والدولية.
- طباعة الكتاب الإسلامي وتوزيعه.
- خلق ائتلافات إسلامية في بلاد الإسلام وخارجها، الهدف منها توحيد الجهود، وتوجيه العمل، وتضافر الطاقات.
- لابدَّ لرجال هذه الحملة أن يكونوا أطول نفَسَاً وأشدَّ غيرةً وأرسخ قدماً؛ حتى يتسنَّى لهم خدمة دينهم على الوجه الأكمل. إن الدعوة للإسلام لا تمارس بفتور واسترخاء، ولا بنظرٍ قصيرٍ قاصر، وإذا كان غيرنا يبذل في سبيل التنصير جهوداً مضنية، فإن على دعاة الإسلام أن يبذلوا في سبيل دعوة الحق جهودا أكبر.

صعوبات الدراسة

قبل أن نختم هذه الدراسة، من المهم وضع القارئ في إطار الصعوبات التي يصطدم بها الباحث الذي يريد أن يقترب من بعض الحقائق التي تخص المسيحية كديانة سماوية، ومن أهمها:

- المسيحية كدين عرفت تطورات وتركيبات تاريخية عديدة، وانتشاراً واسعاً في أرجاء العالم، جعلت البحث فيها صعباً متعثراً، ربما أكثر من الديانات السماوية الأخرى؛ لأن الآراء حولها كثيرة، والأحكام فيها تختلف إلى حد التناقض، وأهم مشكل اعترض ويعترض الباحث إلى يومنا هذا، يكمن في **النصوص المصدرية الموثوق بها**، خاصة المصادر التي تتصل بفترة المسيح، عليه السلام؛ حيث لا توجد آثار عنه أو له مباشرة، وإنما كل ما كتب ودوّن كان بعد وفاته بمدة طويلة.

- عدم وجود مصادر مباشرة متفق عليها، ويعلّق على هذه المشكلة الباحث المسيحي الكبير شارل جنيبر (Charles Guignebert) بقوله:

«وأول الصعاب التي تعترضها [أي دراسة تاريخ المسيحية] نجدها في النصوص نفسها، التي تمتاز عن سائر النصوص الأخرى **بضعف السند، وبالاضطراب، وعسر التحقيق**. وأقدم هذه النصوص وأهمها –لأنها تتناول حياة المسيح والزمن الأول للعقيدة– هي تلك التي احتواها العهد الجديد والتي استلزمت قبل إمكان الاعتمادعليها، تحقيقاً نقدياً دقيقاً مطولاً، لم يوشك بعد على الانتهاء» (جنيبر، د ت، ص. 17).

- التناقض الموجود بين المصادر المتوافرة؛ أي بين الأناجيل المعتمدة، وهذه مشكلة لا تخفى على الباحثين المختصين.

- منع رجال الدين، المثقفين والمفكرين، من دراسة المسيحية دراسة نقدية، مع إخفائهم للكثير من الوسائل المساعدة في كشف الحقيقة. ويعلق جنيبر على سلوك رجال الدين، والكنيسة المتعمد في إخفاء الحقائق، بقوله: «ولقد ظل المدخل إلى معرفة المسيحية الأولى –حتى منتصف القرن التاسع عشر– محرماً تحريماً باتاً، على العلماء المنزهين من الغرض؛ أي على هؤلاء الذين لا يعنيهم استغلال الحقيقة لمصلحة مذهب معين، بل يبغونها خالصة لوجهها» (د ت، ص. 15). وطبعاً سلوك كهذا يستدعي الانتباه والتساؤل: لماذا يمنع رجال الكنيسة غيرهم من الدراسة والنقد والتمحيص؟ والإجابة تفصح عن نفسها، فالخوف من كشف الحقائق، وفضح التزييف والتحريف لدى العامة هو المبرر لهذا السلوك، ثم لم يكون الخوف، لو لم تكن أوراق الكنيسة تفتقد للنزاهة والمصداقية؟

هكذا، ولقرون «كان الرأي العام يؤمن بأن دراسة تاريخ المسيحية، إنما هي الساحة التي لا يجول فيها إلا رجال الكنيسة وأهل اللاهوت، وكان يؤمن بأنها لازمة من لوازم الدفاع عن المسيحية، أو في تعبير أكثر دقة– صورة من صور هذا الدفاع» (جنيبر، د ت، ص. 15).

مثل هذه الصعوبات، واجهت أهل الاختصاص المسيحيين أنفسهم قبل غيرهم؛ فالمسيحية كديانة ارتبطت باسم المسيح، وشخصية المسيح ارتبطت بالمعجزة،

والغرابة، والتقديس إلى درجة التأليه، وهذا عقّد الأمور أكثر منذ بدايتها الأولى، بل مع بداية مولد المسيح الذي لم يولد ولادة عادية. وكما يقول **النشار**:

«بدأ الاختلاف في هذا الراعي الصالح، وافتتن به مجامع الناس وبخاصة أنه لم يكن هناك نص إلهي مكتوب، بل كتب بعد عهود من الزمان، وبعد اختلاف بين التلاميذ، بجانب هذا سكت أصحاب الكتاب الأول أن يذكروه لا بخير ولا بشر، وأهملوا أنه كان وجد» (1966، ص. 52).

مثل هذه الاستنتاجات أو الملاحظات تعقّد الأمور أكثر، وتبرز مدى صعوبة الحديث عن المسيحية، خاصة بالرجوع إلى مصادرها. لكن الغريب في الأمر، أن يأتي الإسلام ويحدثنا عن شخص المسيح، والعقائد المسيحية التي تشكلت حوله، وموقفه منها، وهذا بعد سبعة قرون ليكون الوثيقة الوحيدة النادرة، التي تثبت وجود المسيح الأخير من مسيحي اليهود والمتمثل في عيسى بن مريم، حيث يفتتح الوحي الإلهي حادث المسيح بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الزخرف: 59)، وهو إصرار حاسم أمام أهل التوراة، الذين أنكروه ولفظوه، ولم يدعوا له مكاناً في تاريخهم، وليست التوراة سوى تاريخ لبني إسرائيل على مرّ القرون. وإصرار حاسم أمام أهل الأناجيل الذين اعتبروه إلهاً أو ابن إله (النشار، 1966) إذن، رفض شديد للمسيح من طرف اليهود مع أنه منهم، وإقبال شديد عليه من قبل أنصاره لدرجة تأليهه.

- صعوبة أخرى لغوية تواجه الباحث في التعامل مع المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع التنصير: فهل الأصح أن نقول ديانة **مسيحية وتبشير أم نصرانية وتنصير**؟ إن الكثير من مفكري الإسلام القدامى كابن تيمية، وابن حزم، والجاحظ، والمحدثين كمحمد الغزالي، وتقي الدين العثماني، ومحمد أبو زهرة، وعبد المجيد الشرفي، يرفضون استخدام كلمة مسيحية، على أساس أن المسيحية السمحة حُرّفت وغابت معالمها، مفضلين استخدام لفظة النصرانية، كما يرفضون مصطلح التبشير، ويفضلون القول بالتنصير، لذلك من الضروري الوقوف قليلاً عند هذه الإشكالية اللغوية ليس للحسم فيها، وإنما لإزالة اللبس الذي قد يقع ولتوضيح موقفنا منها.

المسيحية

من مَسَحَ والمَسْحُ: إمرار اليد على الشيء السائل، أو المتلطخ بغرض إذهابه، قال تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ (المائدة:6). ورجل ممسوح الوجه ومسيح: ليس على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب. والمسيح هو الصِدّيق، وهو اسم سيدنا عيسى، عليه السلام: قيل سمي بذلك لصدقه، ولأنه كان سائحاً في الأرض لا يستقر، وقيل لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه... فيبرئه بإذن **الله**، وقيل لأنه مُسح بالبركة ولِمَسْح زكريا له. وقد ورد اسم المسيح في القرآن الكريم، ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ (آل عمران:45). كما جاء في لسان العرب: «وروي عن أبي الهيثم أنه قال: المسيح بن مريم الصدّيق وضد الصدّيق، الدّجال، أي الضلّيل الكذّاب. خلق **الله** المسيحيْن: أحدهما ضد الآخر مسيح الهدى ومسيح الضلالة» (ابن منظور، 1968، ص.ص. 479–480).

وعلى الرغم من هذه التفسيرات اللغوية، لا يُعثر على أصل المسيحية كما تُوظف الآن كديانة سماوية تُطلق على أتباع المسيح، عليه السلام، ولا على تاريخ استخدامها بهذا المعنى. كذلك لو رجعنا إلى المصادر الإسلامية ما وجدنا في كتاب **الله** ولا سنة رسوله هذه التسمية، فالقرآن سماهم النصارى وأهل الكتاب وأهل الإنجيل. من هنا نحاول تعرّف معنى النصرانية المصطلح الذي درج كثيراً في المؤلفات الإسلامية التراثية، وفي كتب الملل والنحل والجدل والمناظرة، وفي متون مؤرخي الأديان عموماً.

النصرانية

«من نَصَر: النّصْر: إعانة المظلوم على عدوه. قال تعالى ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الحج:78)، والأنصار أنصار النبي، قال **الله** –عز وجل–: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ (الحج:15)، والمعنى من ظن من الكفار أن **الله** لا يظهر محمداً –ﷺ– على من خالفه فليختنق غيظاً. ونَصَرى ونَصْرى ونَاصرة ونَصُوريّة: قرية بالشام والنصارى منسوبون إليها. والتَنَصُّر: الدخول في النصرانية، ونَصَّرَهُ: جعله نصرانياً» (ابن منظور، 1968، ص.ص. 647 – 648).

وفعلا أطلق الله –سبحانه وتعالى– كلمة نصارى على أتباع المسيح، عليه السلام. قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران:52)، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ...﴾ (البقرة:62). وقد سمى النصارى أنفسهم بعدة صيغ؛ كالإخوة، أو الإخوة في الله، حتى أصبحت كلمة الأخ تخص رجل الدين، إلى جانب صفة القدسيين.

وفي هذه الدراسة، من الضروري التنبيه على أن الكثير من مفكري الإسلام يستخدمون كلمة «التنصير» لا «التبشير»؛ لأنهم لا يرون في هذا العمل أي بشارة، خاصة بالنسبة للمسلم الذي فاز بالإيمان، وبالتوحيد الخالص، المنزه عن أي تشويه، لذلك يفضلون استخدام ألفاظ «التنصير والنصارى والنصرانية « على «التبشير والمسيحيون والمسيحية»، معتمدين على عديد الأدلة، منها ما ورد ذكره في القرآن الكريم كما سبقت الإشارة.

والصعوبة اللغوية نفسها نجدها عند الترجمة، التي حرصنا فيها على أن نكون أمناء في نقل الأفكار والتصورات كما هي، وألا نخضعها لأي تأويل أو تكييف مذهبي، من ذلك استخدامنا كلمة المسيحية *(CHRISTIANISME)* بدل النصرانية، التي تنتشر في المؤلفات الإسلامية الكلاسيكية والحديثة؛ لأنها الأنسب في حال الترجمة؛ فقد درج مفكرو الإسلام، على استخدام لفظ مسيحية نسبة إلى عقائد المسيح الأصيلة التي لم يلحقها التحريف، أما العقائد التي حرّفت، ففضلوا إطلاق لفظ النصرانية عليها، وعموماً كلا اللفظين شائع الاستخدام والأهم تحليل المضامين.

هذه بعض الصعوبات المتعلقة بدراسة المسيحية ، و نأمل من وراء دراستنا الوقوف بدقة –قدر الإمكان– على أسباب انتشار هذه الديانة، وتحولها من دعوة محلية إلى عالمية يؤمن بها الملايين من البشر، وكذلك الوقوف على فعل التنصير أو التبشير كأداة فعالة في هذا التحول، ومن ثم تنبيه المجتمعات المسلمة لما يحاك ضدها، من قبل أشخاص يرتدون اللباس الديني مطية لتحقيق أغراض لا علاقة لها بالدين، ولا بالقيم الإنسانية.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج التي توضح كيف تحولت المسيحية من دعوة محلية محدودة قام بها المسيح –عليه السلام– مع تلاميذه وبعض الأتباع لمدة لا تتجاوز ثلاث السنوات، إلى رسالة عالمية لها ملايين الأتباع، أهمها:

- أن المسيح عليه السلام لم يقم بالتبشير إلا بين قومه من بني إسرائيل، وأن الذين تكفلوا بالتبشير بين الأمم، أشخاص آخرون كشف عنهم البحث والنقد التاريخي الحديث والمعاصر؛ مما يعني أن ما حققته المسيحية من توسع وانتشار يعود إلى عوامل عدة لا علاقة لها بالمسيح وتلاميذه. فما قام به بولس من تحريف وتنازلات عقدية، جعل اعتناق المسيحية أمراً متاحاً لأتباع المذاهب والأديان الأخرى.
- رفض معظم عرب الجاهلية الدخول في المسيحية مفضلين الوثنية، حتى جاءهم الإسلام فتحولت الحجاز بأكملها والبلاد المجاورة إلى الدين الجديد. هذا التحول للإسلام، أثار حفيظة رجال الدين المسيحي الذين سعوا بطرق متعددة إلى الدفاع عن دينهم ونشره، ويقف على رأس هذه الطرق حملات التنصير الواسعة، التي طالت بقاع العالم بأسره لتحويل المسلمين عن دينهم.
- لتحقيق أهداف التنصير المعلنة والخفية، لم يتوان المنصرون عن استغلال جميع الوسائل المشروعة، وغير المشروعة، فاتخذوا من الطب، والتعليم، والخدمات الاجتماعية، والإعلام، ستاراً يخفي حقدهم على الإسلام والمسلمين. كما تحالفوا مع قوى الاستعمار الحديث الذي استهدف العالم الإسلامي، وهي جريمة شنيعة في حق من يسمي نفسه رجل دين وسلام. وتحالفوا مع المستشرقين في تقديم صورة نمطية سلبية عن الإسلام والمسلمين، دون أن ننسى اتخاذهم للحوار الديني مطية للتنصير وتشويه الإسلام.
- لقد تحول التنصير تدريجياً إلى علم قائم بذاته، تُشرف عليه مؤسسات رسمية، تُرصد له الأموال الطائلة، والإمكانات الهائلة، والعقول المفكرة. تُعقد له المؤتمرات الدولية، وتُوضع له الإستراتيجيات التي يجري تحديثها بشكل مستمر

تناسباً مع معطيات العصر. وفي ظل العولمة والفضاء الافتراضي المفتوح، استطاع النشاط التنصيري أن يمتد إلى فئات اجتماعية أكبر، وأن يفتح أبواباً كانت في الماضي القريب مغلقة أمامه.

- أمام هذا الوضع تتضاعف مسؤولية المسلمين في الحقبة المعاصرة، فعظمة الإسلام والتراكمات التاريخية، والالتزامات الحضارية، والتحديات المعاصرة، تفرض عليهم بذل الكثير للحفاظ على دينهم واسترجاع قوتهم، واللحاق بالركب الحضاري، وفق عقلانية وكفاءة تعيدان للمسلم قوته واحترامه بين الأمم، وللإسلام عزه ومجده الذي هو عز للإنسانية جمعاء.

بناء على ما تقدم، تنتهي الدراسة إلى جملة التوصيات التالية:

- إنشاء مراكز إسلامية لمقاومة العمل التنصيري بين المسلمين، تعمل تحت مظلّة وزارات الشؤون الإسلاميّة في دول العالم الإسلامي، تسهر على رفع مستوى الوعي الديني بين المسلمين، من خلال تصحيح المفاهيم الدينية المغلوطة، والتعريف بمنابع العقيدة الإسلامية الصحيحة، ودفع الشبهات والمغالط التي تثار حول الإسلام ورموزه المقدسة، كما تكشف عن الأساليب التنصيرية الخفية التي تستهدف عقيدة الشباب المسلم.
- إنشاء جهة متخصصة في مقاومة العمل التنصيري بين المسلمين، تعمل تحت مظلّة رابطة العالم الإسلامي، أو منظمة التعاون الإسلامي، أو غيرهما، تسهر على تنسيق الجهود الدولية الاسلامية في وضع الإستراتيجيات المناوئة للعمل التنصيري، وتشرف على تنظيم المؤتمرات السنوية لمواجهة التنصير، بمشاركة كبار علماء الأمة الاسلامية ومفكريها.
- حجب الحكومات الإسلامية للمواقع الإلكترونية التنصيرية التي تثير الشبهات والشكوك حول الإسلام، أو تتطاول على رموزه المقدسة قدحاً وسباً، مع الاستفادة من خبرات المتخصصين في مجال علوم الحاسوب والوسائط الإلكترونية في إنشاء التطبيقات المجانيّة، والبرامج الحاسوبيّة، التي تعرف بالإسلام ومبادئه السمحة.

- تفعيل وزارات الإعلام في الدول الإسلاميّة للقنوات الفضائيّة والإذاعيّة، والصحف والمجلات، والمواقع الإلكترونيّة ذات الصبغة الدينية، التي تسهر على تعميق الوازع الديني لدى الأفراد، وعرض مبادئ العقيدة الصحيحة؛ لسد الطريق أمام الجهود التنصيرية.
- تضمين مادة التربية الإسلامية في المناهج التعليمية في جميع أطوار التعليم، وتطعيمها بمحاور تعرّف الطلبة بأهداف التنصير ومخاطره، والأساليب المستحدثة التي يُمارس من خلالها عبر العالم الافتراضي.
- تأسيس مراصد علمية إحصائية تهتم بظاهرة التنصير في الدول الإسلامية، تضم مختصين وباحثين أكاديميين يسهرون على جمع الإحصائيات الدقيقة حول النشاط التنصيري، يشخّصون التغيرات التي تطرأ على التركيبة الدينية في المجتمعات الإسلامية، يكشفون عن التطورات الحاصلة في السياسة التنصيرية، يتعرّفون الخصائص الديمغرافية للمتنصرين وحقيقة دوافعهم، ويقترحون إستراتيجيات المواجهة المناسبة.

المراجع

الكتب المقدسة

القرآن الكريم

الكتاب المقدس. (ط. 3). (2003). مصر: دار الكتاب المقدس.

ابن منظور. (1968). *لسان العرب*. (مج. 3). دار صادر للطباعة والنشر.

ابن هشام. (د ت). *السيرة النبوية*. (مج. 1). دار إحياء التراث العربي.

أبو حمدة، محمد علي. (1983). *الأخطبوط الصهيوني رأي العين*. مكتبة الرسالة.

أبو زهرة، محمد. (2010). *تاريخ الجدل*. دار الفكر العربي.

أبو زيد، أحمد. (2001). *التنصير*. www.salmajed.com/node/9826 مسطر.

إدريس، نعيمة. (2011). *الحوار المسيحي الإسلامي بين المصداقية والتشكيك*. مؤسسة كنوز للنشر والتوزيع.

أسد، محمد. (1987). *الإسلام على مفترق الطرق*. (فروخ، عمر، مترجم). دار العلم للملايين.

التميمي، عبد الجليل. (1973). *من ملامح التفكير التبشيري عند المسؤولين الفرنسيين في القرن التاسع عشر. في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي*. (مج. 3). تيزي وزو، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

توينبي، أرنولد. (1967). *مختصر دراسة التاريخ* (ط. 2)، ج. 3). (شبل، فؤاد محمد، مترجم). المركز القومي للترجمة.

الجبهان، إبراهيم السليمان. (1404 هـ). *ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير*. (ط. 2). الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء.

جريشة، علي. (1986). *الاتجاهات الفكرية المعاصرة*. المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر.

الجنحاني، حبيب. (1973). *حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر. في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي* (مج. 3). تيزي وزو، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

الجندي، أنور. (1985). *سموم الاستشراق في العلوم الإسلامية*. دار الجيل.

جنيبر، شارل. (د ت). *المسيحية: نشأتها وتطورها* (محمود، عبد الحليم، مترجم). المكتبة العصرية.

جورافسكي، أليكسي. (1996). *الإسلام والمسيحية*. عالم المعرفة.

الحسيني، محمود أبو الفيض المنوفي. (1970). *الدين المقارن*. دار نهضة مصر للطبع والنشر.

الحمد، عبد القادر شيبة. (1961). *الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة*. مطبوعات الجامعة الإسلامية.

حوراني، ألبرت. (د ت). *الفكر العربي في عصر النهضة 1798 - 1939*. (عرقول، كريم، مترجم). دار النهار للنشر.

خالدي، مصطفى، وفروخ، عمر. (1986). *التبشير والاستعمار في البلاد العربية* (ط. 3). المكتبة العصرية.

ديلاسي، أوليري. (1961). *الفكر العربي ومكانه في التاريخ*. (حلمي، مصطفى، مترجم). المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

دينيه، إيتيان وسليمان، إبراهيم. (د ت). *محمد رسول الله* ﷺ. (عبد الحليم، محمد، مترجم). دار الكتاب اللبناني.

ذراع، الطاهر. (1991). *الديانات القديمة في الحجاز قبل الإسلام*. ديوان المطبوعات الجامعية.

راسل، برتراند. (1968). *تاريخ الفلسفة الغربية* (ط. 2، ج. 2). (محمود، زكي نجيب، مترجم). مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

راسل، برتراند. (1977). *تاريخ الفلسفة الغربية* (ج. 3). (الشنيطي، محمد فتحي، مترجم). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

زهري، خالد. (2008). *الصليبيون الجدد والمسلمون، أية علاقة؟ وأي رهان؟* دار الكتب العلمية.

سبينوزا. (1981). *رسالة في اللاهوت والسياسة*. (ط. 2). (حنفي، حسن، مترجم). دار الطليعة.

شاتليه. أ .ل. (1980). *الغارة على العالم الإسلامي*. (ط. 2). (الخطيب، محب الدين واليافي، ساعد،مترجمان). منشورات العصر الحديث.

الشتري، محمد بن ناصر. (2003). *الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية*. مكتبة الملك فهد.

شرف، عماد. (1975). *حقائق عن التبشير*. المختار الإسلامي.

الشرفي، عبد المجيد. (1968). *الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/ العاشر*. الدار التونسية للنشر.

الشرقاوي، محمد عبد الله. (1993). *الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر*. دار الفكر العربي.

شلبي، رؤوف. (2005). *المجتمع العربي قبل الإسلام*. المكتبة العصرية.

شلبي، عبد الودود. (1987). *رسالة إلى البابا بولس السادس*. دار الأنصار.

شلبي، عبد الودود. (1989). *الزحف إلى مكة: حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي*. الدار السعودية للنشر.

شلبي، كرم. (1991). *الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب*. مكتبة التراث الإسلامي.

العالم، جلال. (1982). *قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله*. دار الأرقم.

عبد الرحمان، محمود. (2009). *التنصير والاستغلال السياسي*. دار النفائس.

عبد الوهاب، أحمد. (1981). *حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر*. مكتبة وهبة.

عبده، محمد. (1994). *رسالة التوحيد*. دار الشروق.

عثمان، فتحي. (1966). *مع المسيح في الأناجيل الأربعة* (ط. 2). دار القومية للطباعة والنشر.

العثماني، محمد تقي الدين. (1982). *ما هي النصرانية*. رابطة العالم الإسلامي.

علي، إبراهيم عكاشة. (1987). *ملامح من التنصير في الوطن العربي*. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

علي، توفيق. (1978). *الإسلام أمام افتراءات المفترين*. مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الغزالي، محمد. (1965). *كفاح دين*. دار الكتب الحديثة.

الغزالي، محمد. (1992). *صيحة تحذير من دعاة التنصير*. دار الثقافة والنشر والتوزيع.

الغزالي، محمد. (2005). *التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية*. نهضة مصر للطباعة والنشر.

الفاسي، علال. (1973). *نشاط التبشير ودوره الاستعماري التخريبي بالأمس واليوم وما يجب القيام به إزاء الخطر*. *في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي* (مج. 3). تيزي وزو، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

فروخ، عمر. (1966). *تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون*. دار العلم للملايين.

فوكوياما، فرانسيس. (1993). *نهاية التاريخ والانسان الأخير*. (شاهين، فؤاد وآخرون، مترجمون). مركز الإنماء القومي.

القعيد، إبراهيم حمد (1982). *المخططات التنصيرية بين المسلمين: تقييم لفلسفتها وإطارها الحركي*. رابطة الشباب المسلم العربي.

كساب، أكرم. (2004). *التنصير*. مركز التنوير الإسلامي.

الكعاك، عثمان. (1973). *التبشير والتخطيط التبشيري*. *في الملتقى السابع لتعرف الفكر الإسلامي (مج. 3)*. تيزي وزو، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

ماكوري، دون. م. (د. ت). *التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي*.

مطر، أميرة حلمي. (1998). *الفلسفة عند اليونان*. (ط. 2). دار الثقافة للنشر والتوزيع.

مظهر، سليمان. (1995). *قصة الديانات*. مكتبة مدبولي.

موسى، سلامة. (1927). *حرية الفكر وأبطالها في التاريخ*. إدارة الهلال.

الميداني، عبد الرحمن حنبكة. (1980). *أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها* (ط. 2). دار القلم.

النبهان، محمد فاروق. (2012). *الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره*. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

النشار، علي سامي. (1966). *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام* (ط. 4، ج. 4). دار المعارف.

النملة، علي إبراهيم. (1993). *التنصير: مفهومه، وأهدافه، ووسائله، وسبل مواجهته*. دار الصحوة للنشر.

هنتنغتون، صامويل. (1999). *صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي* (ط. 2). ترجمة الشايب، طلعت. سطور.

Brillant, M., & Aidrain, R. (1954). *Histoire des religions* (tome 2). Bloud et Gay.

Bouamama, A. (1988). *La littérature polémique contre le christianisme depuis ses origines jusqu'au XIIIe siècles.* Entreprise nationale de livre.

Bultman, R. (1950). *Le christianisme primitif dans le cadre des religions antiques.* Traduit par Jundt, Payot.

Corbon, J. (1985). *Le dialogue Islamo- chrétiens dans la conjoncture du monde chrétien de 1950 - 1980* (Tome11). Islamo, Christiana.

Abstract

This paper aims to reveal a number of facts about Christianity and how it evolved from a local religious movement limited to the Israelites to a global faith. The researchers believe that this transformation was the result of distortions of the original message by Christian missionaries, probably the most notable of whom is Saul the Jew, better known as St. Paul the apostle who first proposed the concepts of the holy trinity, the edification, crucifixion, and reincarnation of Jesus. This paper also aims to define the historical relations between Christianity and Islam. For many fanatical Christians, this new religion, Islam was a serious threat, especially as it succeeded to spread quickly, that needed to be opposed through carefully planned proselytization. In their missionary efforts, these Christian extremists resorted to questionable methods that contravened the tenants of their religion. It is necessary, therefore, to reveal the true dangerous face of the missionary work underfoot in the Muslim world. This study adopted a historical approach to follow the development of Christianity and Christian proselytization, which has evolved into an independent field with clear aims and approaches. In addition, this study adopted the descriptive approach to present the contemporary overt and covert attempts at proselytization in the Muslim world. The researchers also employed the critical approach to determine the motives and objectives of the missionary activities in the target areas. Based on the findings of the study, it was concluded that Christian proselytization has not focused on convincing people to convert to Christianity, a religion of love and tolerance, as much as it has sought to fight Islam and weaken its influence wherever it exists. These proselytizing efforts receive significant financial and logistical support from particular anti-Islam secular entities, such as the European colonial authorities in Muslim countries, a number of orientalist scientific institutions, and political organizations. In addition, missionaries have tended to prey on vulnerable Muslims whether at home or overseas. Therefore, it is essential to view the activities of missionaries in Muslim countries with a reasonable degree of suspicion and to counter all proselytization efforts while raising the awareness of young Muslims of the danger they may be facing.

Key words: Christianity, Proselytization, Christianization, Missionary work, Islamic world.

The Author:

Dr. Ouassila Yaiche Khezzar

- Associate Professor, Higher School of Teachers, Assia Jabbar Constantine, Algeria, from 2012 to 2017.
- Professor, Higher School of Teachers, Assia Jabbar Constantine, Algeria, from 2017 to 2018.
- Associate Professor, Department of Sociology, University of Sharjah, from 2018 till now.
- Academic Coordinator for the College of Arts, Humanities, and Social Sciences at the University of Sharjah's Al Dhaid branch from 2019 to 2023.

Publications:

A - Books:

1- Ideology and Sociology: The Dialectics of Separation and Communication – Lebanon, Al-Ma'arif Forum, 2013.

2- Survey Design and Deployment Techniques – Algeria, Alfa Documents, 2018.

B - Articles :

1- “Women's Entrepreneurship in the United Arab Emirates: Characteristics, Motivations, and Challenges”, Al-Adab Journal (148), Baghdad University, Accepted for publication, 2024.

2- “Islamic Coexistence in the West and Its Challenges: A Sociological Study in Light of the Quran and Sunnah”, Journal of the University of Sharjah for Islamic Studies and Legal Sciences, 20 (2), 2023.

3- "Female Entrepreneurship: A Descriptive Analytical Study.", Al-Adab Journal (145), Baghdad University, 2023.

4- “Human Resource Development in Dubai from a Leadership Perspective: A Field Study on a Sample of Leaders in the Government, Semi-Government, and Private Sectors.”, Al-Adab Journal (146), Baghdad University, Accepted for publication, 2023.

5- "The Reality of Human Development for Emirati Women in Dubai: A Sociological Study on a Sample of Female Workers in Dubai.", Journal of the University of Sharjah for Humanities and Social Sciences, Sharjah University, Accepted for publication, 2023.

6- “The Effects of School Bullying on Victims of Bullying from the Teachers' Point of View and Ways to Confront it: A Field Study on a Sample of Teachers in Al Shula Private Schools in Sharjah.”, Al-Adab Journal (143), Baghdad University, 2022.

7- "An Examination of ibn Khaldun's Educational Views from a Sociological Perspective.", Al-Adab Journal (139), Baghdad University, 2021.

8- "Review of Previous Studies: Regulations and Considerations.", Al-Adab Journal (134), Baghdad University, 2020.

9- "Transformational Leadership among Department Heads at Mohammed Seddik Ben Yahia University, Algeria.", Al-Adab Journal (132), Baghdad University, 2020.

10- "Ideology in Western Thought: Diverse Perspectives and Multiple Meanings.", Al-Adab Journal (130), Baghdad University, 2019.

The Author:

Prof. Naima Idris

- PhD in Christian and Western Philosophy.
- Director of the Laboratory for Formation of Societies and Regional Dynamics, FOSDYT since 2012 till now.
- Chair of the Scientific Committee of the Philosophy Department, 2018.
- Member of the Scientific Council of the Higher School of Teachers, Assia Jabbar Constantine, Algeria.
- Member of the University Professor Ethics Committee.

Publications:

A - Books:

1- Abu Imran Alsheikh, Man of Civilizational Dialogue - Algeria, Al-Watan Publications, 2022.

2- Hassan Hanafi's Approach to Heritage, the Philosophy from Deconstruting Reality to its Reconstruction, in Hasan Hanafi from Heritage and Renewal to Restoration and Establishment, Philosophical Papers 82-83, UNESCO Chair of Philosophy, Zagazig University Branch, 2022.

3- Humanism in Religion and its Extensions in the Arab and Islamic World, Laboratory of Doctrinal Studies, and Comparative Religions, 2022

4- Anglo-American Philosophy from Deconstruting Reality to its Reconstruction. Algeria, Difaf Publications, AL-Ikhtilaf Publications, 2016

5- Applied Ethics: The Controversy of Values and Current Contexts of Science, Difaf Publications, Al-Ikhtilaf Publications, Lebanon, 2015.

6- The Philosophy of History, the Controversy pf the Beginning and the End and the Eternal Return, Ibn Al-Nadim Publishing, Dar Al-Rawafed Cultural Publishers, 2013.

7- Moral Philosophy from the Question of Meaning to the Dilemma of Procedure, Difaf Publications, AL-Ikhtilaf Publications, 2013

8- The Christian-Islamic Dialogue between Credibility and Skepticism. Algeria, Treasures of Knowledge, 2011.

B - Articles :

1- "The Perfect human Being between the Religious and Sufi Authority in the Islamic Sufi Discourse between the Contents of Privacy and the Goals of Morality and Coexistence". Algeria, Research Laboratory in Doctrinal Studies and Comparative Religions, 2019.

2- "Contemporary Islamic Thought and the Problem of the Method, Arkoun's Applied Islamism as a Model". Algeria, Treasures of Wisdom Foundation, 2018.

3- "Shawki Al-Zein, Features of His Thought. in the Encyclopedia of Contemporary Arab Philosophers". Egypt, Arab Philosophers Forum, 2017.

4- "Women's Liberation and the Authority of the Religious Text." Journal of the Egyptian Philosophical Society. Cairo, Al-Kitab Center for Publishing, 2017.

5- "Kant's Philosophy of Religion". Algeria, Professor's Forum Journal. Higher School of Teachers, 2016.

Doi 10.34120/0757-044-635-001
Monograph (635)

Christianity From a Local Movement to a Global Faith : A Study of the Causes of the Spread and the Techniques Used in Proselytization in the Muslim World

Prof. Naima Idris
Director of Laboratory For
Formation of Societies
Algeria

Ouassila Yaiche Khezzar,Ph.D.
Department of Sociology
University of Sharjah
United Arab Emirates

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES - KUWAIT UNIVERSITY

Editorial Board

- **Prof. Taghreed Alqudsi**
  Editor - in - Chief
  Department of Information Studies
  Kuwait University
- **Prof. Baqer Salman Alnajjar**
  Bahrain University - Bahrain
  Visiting Prof. Sociology and Social Service Department - Kuwait University
- **Prof. Numan M. Jubran**
  Irbid University - Jordan
  Visiting Prof. History Department - Kuwait University
- **Prof. Adnan Y. Alotoum**
  Psycology Department - Yarmouk University - Jordan
- **Prof. Mashael Al-Hamly**
  English Department and Literature
  Kuwait University
- **Dr. Abdullah Mohamed Aljasmy**
  Philosophy Department
  Kuwait University
- **Dr. Ibraheem Nagy Al-Hadban**
  Department of Political Science
  Kuwait University
- **Dr. Ahmed Mubarak AlHasem**
  Geography Department
  Kuwait University
- **Dr. Asad H. AL-Saleh**
  Arabic Department
  Indiana University - USA
- **Maha Ibrahim Al-Msad**
  Editorial Manager

Advisory Board

- **Prof. Basil Hatim**
  American University
  Sharjah - United Arab Emirates
- **Prof. Ibrahim Al-Sa'afin**
  Department of Arabic Language and Literature - Jordan University
- **Prof. Hamdi Hasan Abul Enein**
  Faculty of Mass Communication
  Misr International University
- **Prof. Sari Hanafi**
  President of the International Sociological Association - American University- Beirut
- **Prof. Mona Baker**
  Manchester University
  United Kingdom
- **Prof. Abdul Qader Al-Fasi Al Fehri**
  Department of Arabic Language and Literature -Mohammed V University
- **Prof. Abdullah Al-Walee'i**
  Geography Department
  King Saud University
- **Prof. Ma'moun Fandi**
  Director of London Institute of Strategic Studies - United Kingdom

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

Academic Publication Council - Kuwait University

REFEREED SCIENTIFIC QUARTERLY IN THE HUMANITIES, SOCIAL SCIENCES & LITERATURE

Volume 44, 2023

Rates:

Kuwait: K.D. 0.500, Bahrain: BD 1, Qatar: RQ 10, Emirates: DH 10,
Saudi Arabia: RS 10.

Cost per issue in Arab Countries: Equivalent to one US dollar

Cost per issue in other Countries: Equivalent to three US dollar

● Annual Subscription (individuals):

1 Year: Kuwait: 4 K.D., Arab Countries: 6 K.D., Foreign Countries 22 dollars.
2 Year: Kuwait: 7 K.D., Arab Countries: 10 K.D., Foreign Countries 37 dollars.
3 Year: Kuwait: 10 K.D., Arab Countries: 14 K.D., Foreign Countries 52 dollars.
4 Year: Kuwait: 13 K.D., Arab Countries: 18 K.D., Foreign Countries 67 dollars.

● Annual Subscription (institutions):

1 Year: Kuwait: 22 K.D., Arab Countries: 22 K.D., Foreign Countries 90 dollars.
2 Year: Kuwait: 37 K.D., Arab Countries: 37 K.D., Foreign Countries 150 dollars.
3 Year: Kuwait: 53 K.D., Arab Countries: 53 K.D., Foreign Countries 210 dollars.
4 Year: Kuwait: 67 K.D., Arab Countries: 67 K.D., Foreign Countries 270 dollars.

All correspondence and enquiries must be addressed to:

Editor

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES
P.O.BOX 17370 EL-KHALDIAH - KUWAIT 72454
Tel: 24830256 - Fax: 24830256
ISSN 1560-5248 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab
E-mail: aass@Ku.edu.Kw
http:// apc. kuniv.edu.kw/AASS/

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى:
EBSCO Publishing Products
دار المنظومة: www.mandumah.com
UIrich's Periodicals Directory 263117

The Publications of The Academic publiction Council

journal of the Social Sciences 1973, Kuwait Journal of Science and Engineering 1974, journal of the Gulf and Arabian Peninsula Studies 1975, Authorship Translation and Puplication Committee 1976, Journal of law 1977, Annals of the Arts and Social Sciences 1980, Arab Journal for the Humanities 1981, The Sducational Journal 1983, Journal of Sharia and Islamic Studies 1983, Arab Journal of Administrative Sciences 1991.

ANNALS OF THE
ARTS AND SOCIAL SCIENCES

A Refereed Academic Quarterly, Academic Publication Council - University of Kuwait

المسيحية من دعوة محلية إلى ديانة عالمية:
دراسة اجتماعية فلسفية في أسباب الانتشار
وآليات التنصير في العالم الإسلامي

Christianity From a Local Movement to a Global Faith : A Study of the Causes of the Spread and the Techniques Used in Proselytization in the Muslim World

Prof. Naima Idris
Director of Laboratory For
Formation of Societies
Algeria

Ouassila Yaiche Khezzar,Ph.D.
Department of Sociology
University of Sharjah
United Arab Emirates

جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

Academic
Publication Council

ISSN: 1560 - 5248

Monograph 635 - Volume 44

1445 A.H / December 2023